المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة جازان

مجلة جامعة جازان

فرع العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة

المجلد ١ العدد ١ محرم ١٤٣٣هـ (ديسمبر ٢٠١١م)

ردمد : ١٦٥٨-٦٠٥٠

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة جازان

مجلة

جامعة جازان

دورية علمية محكمة

المجلد ١ العدد ١ محرم ١٤٣٣هـ (ديسمبر ٢٠١١م)

رقم الإيداع : ١٤٣٣/٢٢٨

مطابع مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية
الرقم: ٣٣٠٥٠٩

ردمد : ١٦٥٨-٦٠٥٠

مجلة جامعة جازان

فرع العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة

المجلد ١ العدد ١ محرم ١٤٣٣هـ (ديسمبر ٢٠١١م)

المشرف العام

أ. د. محمد بن علي آل هيازع

نائب المشرف العام

أ. د. محمد بن علي ربيع

رئيس هيئة التحرير

أ. د. عبدالله بن يحيى باصهي

مدير التحرير

أ. إبراهيم بن أحمد مسملي

هيئة التحرير

أ. د.علي بن محمد عريشي

أ. د. علي بن أحمد الكاملي

أ. د. سلطان بن حسن الحازمي

د. محمد بن حسن أبو راسين

د. يحيى بن محمد حكمي

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس هيئة التحرير

مجلة جامعة جازان

٤٤٢١- حي الروابي

وحدة رقم ٨

جازان ٨٢٨٢٢-٦٥٦١

المملكة العربية السعودية

أو على البريد الإلكتروني

jju@jazanu.edu.sa

© ٢٠١١م (١٤٣٣هـ) جامعة جازان

جميع حقوق الطبع محفوظة. لا يسمح بإعادة طبع أي جزء من المجلة أو نسخه بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من رئيس تحرير المجلة.

فهرس المحتويات

الموضوع صفحة

بلاغة الوصف في الحديث النبوي من خلال الصحيحين "دراسة بلاغية تحليلية"
محمد أبوالعلا الحمزاوي ٥

منهج الأمم السابقة في التعامل مع دعوة الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم (الأنواع والمقومات)
المثنى عبد الفتاح محمود ٢٨

المناخ وزراعة أشجار الفاكهة في سهل تهامة بمنطقة جازان. (دراسة في جغرافية المناخ التطبيقي)
عائشة علي العريشي ٤٣

رؤية استراتيجية لقيادة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية
قاسم بن عائل الحربي ٧٦

شروط تكفير المُعَيَّن
محمد بن مرعي الحارثي ١١١

الأساليب النبوية في تنمية المسؤولية الاجتماعية
عبد الرحمن علوش مدخلي ١٢٦

بلاغة الوصف في الحديث النبوي من خلال الصحيحين
دراسة بلاغية تحليلية

محمد أبوالعلا الحمزاوي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة جازان

المُلخّص

هذا البحث دراسة بلاغية تحليلية للوصف في الحديث النبوي من خلال الصحيحين (البخاري ، ومسلم) ، ويتضمن تعريف الوصف عند اللغويين ، والبلاغيين ، والنحويين ، وبيان العلاقة بين الوصف والتصوير ، وعلاقته بالخيال ، وتنوع الوصف في البيان النبوي . وبعد ذلك يأتي التطبيق على بعض أحاديث الوصف في الصحيحين ، وبيان ما فيها من أسرار الجمال ، ودقة الوصف ، مع استخراج خصائص الوصف من خلال التطبيق والتحليل ، وتأتي الإشارة إلى هذه الخصائص ، مع بيان مواضع أحاديث الوصف الأخرى في الصحيحين في نهاية البحث . ولقد جمعت بين الاتجاه العلمي ، والاتجاه الأدبي في التحليل البلاغي ؛ نظراً لأهمية الأخير وأثره في إبراز أسرار الجمال في الحديث ، ونقله للإحساس بجمال النص إلى القارئ بعيداً عن الاصطلاحات البلاغية التي لا يعرفها إلا المتخصصون ، وذلك مع عدم إغفال الأول لأهميته. ولقد اقتصر البحث على الصحيحين لشهرتهما ، وصحتهما ، وكثرة أحاديث الوصف فيهما ، وللإيجاز في البحث من ناحية أخرى . وهذا لا ينفي صحة أحاديث الوصف الأخرى في كتب السنة. ولقد سرت في التطبيق على ترتيب الكتب والأبواب في الصحيحين مع تقد يم منهج البخاري لما ضمنه في أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار بما فيها من الدقة والفقه وحسن الترتيب . أما إذا كان الحديث في صحيح مسلم وحده فاعتمد على ترتيبه . وهذا المنهج يسهل على القارئ مراجعة الحديث في كتابه وبابه.

الكلمات المفتاحية: بلاغة الوصف، أحاديث الوصف، دراسة بلاغية، البيان النبوي، تنوع الوصف، بلاغيين.

مُقدّمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على صاحب الحوض المورود ، واللواء المعقود ، من أوتي جوامع الكلم ، وروائع الحكم ، محمد بن عبد الله ، إمام البلغاء ، وسيد الفصحاء.

وبعد فإن أحاديث نبينا ﷺ قد حوت صنوف البلاغة ، وألوان الجمال والفصاحة ، وعبرت أدق تعبير عن سمو النفس التي خرجت منها ، وبينت المنبع العذب الذي نهلت منه ، وكما يقول الجاحظ عن بلاغته ﷺ « : ... فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام ، وقلة عدد الكلام ... ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط هو أعم منه نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين فحوى من كلامه ﷺ [1] وهذا الجمال الفني في بلاغته ﷺ إنما يرجع إلى سموه الروحي ، واتصاله بالملأ الأعلى ، حيث أراد الله عز وجل أن يكون النبي بدعوته نقطة تحول في حياة البشرية وتاريخها . ولقد بدأ في أمة تنقاد للبيان ، وتخضع لسلطان الفصاحة ، فلا عجب أن كان أبلغهم وأفصحهم « فكلامه كلما زدته فكراً زادك معنى ، وتفسيره قريب كالروح في جسمها البشري ، ولكنه بعيد كالروح في سرها الإلهي ... ، فهو لسان وراءه قلب وراءه نور وراءه الله جل جلاله [2] ولأجل

(١) البيان والتبيين ١٧/٢ ، ١٨ للجاحظ – ط دار الجيل – (١٤١٠) هـ (١٩٩٠) م.

(٢) وحي القلم ٦/٣-٩ للرافعي – ط دار الكتاب العربي – بيروت .

البريد الإلكتروني : mohamed_elhamzawy2001@yahoo.com
ردمد : ١٦٥٨-٦٠٥٠

ذلك بنيت البلاغة النبوية على أصول ودعائم[٣] ومع مكانة هذا البيان النبوي ، وما له من شرف ومنزلة في دنيا الناس ، لم **نحظ بدراسات بلاغية كثيرة** له في تراث الإسلام الحفيل تتناسب مع مكانته ومنزلته، ونجد في كتب الأدب والبلاغة إشارات موجزة إلى منزلة البيان النبوي ، أو ذكر لبعض الخطب والأحاديث التي تشتمل على أسرار بلاغية وهي أحاديث معروفة ومشهورة ينقلها اللاحق عن السابق [٤]كما في البيان والتبيين للجاحظ ، والمثل السائر لابن الأثير ، وغيرهما من كتب البلاغة والأدب. وكأن بلاغته ﷺ تنحصر في هذه الأحاديث دون غيرها. **ولقد قام بعض الباحثين العصريين بمحاولات طيبة، وجهود مخلصة لدراسة البيان النبوي**[٥] ، وهي بحاجة إلى إضافة باستمرار لنكشف للناس عن أسرار هذا البيان المبدع ، ولسد العجز في مكتبتنا العربية في هذا الجانب المهم . ولقد لاح لي فيما يتصل بناحية التصوير في البيان النبوي جانب « **الوصف** » ، ولقد كتبت هذه الصفحات إسهاماً بجهدي المتواضع لخدمة البيان النبوي في هذه الناحية . **ولكن هناك عدة أمور تتصل بمنهج البحث وخطته ، ولابد من بيانها قبل الشروع فيه.**

أولاً– هذا البحث يقوم على دراسة الوصف في البيان النبوي من خلال الصحيحين (البخاري ومسلم)[٦] ، ولقد تتبعت الأحاديث التي اشتملت على ألوان من الوصف فيهما دون غيرهما **لشهرتهما ، وكثرة أحاديث الوصف فيهما ، مع صحتهما ، وللإيجاز في البحث من ناحية أخرى.** ولا أدعي أنني ألممت بكل أحاديث الوصف فيهما محللاً ومبيناً ، بل أتناول بعضها بالتحليل البلاغي مع الإشارة إلى المواضع الأخرى لمن أراد التوسع . ومما تجدر الأشارة إليه أن هذا الإيجاز في البحث لاينفي صحة أحاديث الوصف الأخرى في كتب السنن وغيرها من دواوين السنة ، ولكن المقام هنا مقام الإشارة لا الحصر ، كما أن ما في الصحيحين مجمع على صحته ومقدم على غيره كما ذكر المحققون من العلماء[٧]

ثانياً– منهج التحليل للأحاديث المشتملة على الوصف يقوم على الجمع بين اتجاهين : الاتجاه العلمي، والاتجاه الأدبي ، مع ظهور الاتجاه الأدبي نظراً لأهميته ودوره في إبراز أسرار البيان النبوي . ولكن العناية بالمظهر الفني لا تعني إغفال الجانب العلمي لأن إغفاله معناه الانزلاق إلى ميدان الأهواء والأذواق الساذجة ، وهذا يسلمنا إلى فوضى لا مثيل لها[٨] ، وإنما من غايات الاتجاه الأدبي نقل الإحساس بجمال النص إلى المتلقى أو القارئ بعيداً عن الناحية الاصطلاحية التي لا يعرفها إلا المتخصصون ، والبواعث الحقيقية لهذا الاتجاه إنما ترجع إلى القرآن الكريم ، وأحاديث النبي لما حوياه من صنوف الجمال ، مع مخاطبتهما للعقل والوجدان .

ثالثاً– التطبيق على الأحاديث المشتملة على الوصف يسير على ترتيب الكتب والأبواب في الصحيحين (البخاري ومسلم) مع تقديم منهج البخاري في التبويب لما ضمنه في أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار بما فيها من الدقة والفقه ، وحسن الترتيب[٩] ، أما إذا كان

(٣) يرى الرافعي أن بلاغة النبي ﷺ بنيت على ثلاث دعائم : الخلوص ، والقصد ، والاستيفاء . والتفصيل في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٨٢– ط مكتبة الإيمان – ط أولى – (١٤١٧) هـ

(٤) مثل قوله ﷺ : « هذا حين حمي الوطيس « ، وقوله : « هدنة على دخن « . والحديث الأول أخرجه مسلم من حديث العباس بن عبد المطلب – كتاب الجهاد – باب غزوة حنين – ١١٦/١٢ . والحديث الثاني أخرجه أبو داود من حديث حذيفة – كتاب الفتن والملاحم – باب ذكر الفتن ودلائلها – ٢١٢/١١

(٥) منها : كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي في الجزء الخاص بالبيان النبوي ، وبحث في بداية الجزء الثالث من كتابه وحي القلم ، والحديث النبوي من الوجهة البلاغية للأستاذ الدكتور / عز الدين السيد ، والبيان النبوي للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ، والتصوير الفني في الحديث الشريف للأستاذ الدكتور / محمد لطفي الصباغ ، والبيان المحمدي للأستاذ الدكتور/ مصطفي الشكعة ، وغيرها من البحوث والدراسات .

(٦) البخاري هو أبوعبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي أمير المؤمنين في الحديث توفي سنة (٢٥٦) هـ ، وكتابه « الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه « ومسلم هو أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري توفي سنة (٢٦١) هـ ينظر مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي – ط دار إحياء التراث العربي ، وهدي الساري مقدمة فتح الباري ص ١٠، ٥١٨ لابن حجر – ط الرياض.

(٧) تدريب الراوي ٧٤/١ للسيوطي – ط دار الكتاب العربي – (١٤١٧)هـ ، وقواعد التحديث ص ٨٣ للقاسمي – ط دار الكتب العلمية .

(٨) ينظر في معالم الاتجاهين الأدبي والعلمي كتاب تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية للأستاذ الدكتور / مهدي صالح السامرائي – ط المكتب الإسلامي .

(٩) اتفق العلماء على أن البخاري أصح من مسلم وأكثر فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة ، كما صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ، ويعترف بأنه لا نظير له في علم الحديث . وهذا هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الإتقان والحذق ، والغوص على أسرار الحديث . ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/١، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ٢٢،

الحديث موضوع البحث في صحيح مسلم فقط، فأعتمد على ترتيبه . وهذا المنهج يسهل على القارئ الرجوع إلى الحديث في كتابه أو بابه .

وبعد هذه المقدمة أنتقل إلى فصول البحث ومباحثه، حيث يتضمن هذا البحث ثلاثة فصول ، وخاتمة ، وفهارس.

الفصل الأول : الوصف ومعناه ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول : الوصف عند اللغويين والبلاغيين والنحويين .

المبحث الثاني : العلاقة بين الوصف والتصوير .

المبحث الثالث : العلاقة بين الوصف والخيال .

المبحث الرابع : تنوع الوصف في البيان النبوي .

الفصل الثاني : بلاغة الوصف في الحديث النبوي من خلال الصحيحين ، وهو الجزء التطبيقي والتحليلي من البحث .

الفصل الثالث : خصائص الوصف في البيان النبوي ، مع بيان مواضع أحاديث الوصف الأخرى في الصحيحين لمن أراد التوسع .

وبعد ذلك تأتي الخاتمة متضمنة أهم النتائج بإيجاز ، يليها ثبت المصادر والمراجع ، ثم فهرس الموضوعات .

والله أسأل أن يتقبل منا صالح العمل ، وأن يتجاوز عما في هذه الصفحات من زلة قدم ، وأن يصوب فهمي ، ويسدد قلمي ، وأن يجمع بيننا وبين حبيبه وخليله ﷺ في جنات النعيم . إنه سميع قريب مجيب .

* * *

الفصل الأول : الوصف ومعناه

المبحث الأول: الوصف عند اللغويين والنحويين والبلاغيين

الوصف عند اللغويين:

« الوصف من وصف الشئ له وعليه وصفاً وصفة: حَلاَّه، والهاء عوض من الواو، وقيل: الوصف المصدر والصَّفة: الحِلْية، وقال الليث: الوصف وصفك الشئ بحليته ونعته.. وقوله عز وجل: ﴿... وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[١٠] أراد ما تصفونه من الكذب[١١]. والوصف أصله من الكشف والإظهار.

يقال وصف الثوب الجسم إذا نم عنه ولم يستره .

والوصف: ما ينعت به الشئ من صفات ونعوت، وقوله تعالى: ﴿... وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ ...﴾[١٢] أي تقول الكذب وتحققه[١٣] ويقال: هو مأخوذ من قولهم: وصف الثوب الجسم إذا أظهر حاله وبين هيئته[١٤] والوصف والصفة مترادفان عند أهل اللغة، والمراد بالوصف ليس صفة عرضية قائمة بجوهر كالشباب والشيخوخة ونحوهما، بل يتناول جوهراً قائماً بجوهر آخر يزيد قيامه به حسناً له وكمالاً، ويورث انتقاصه عنه قبحاً له ونقصاناً[١٥]

وفي التعريفات: الوصف: عبارة عما دل على الذات باعتبار معنى وهو المقصود من جوهر حروفه، أي يدل على الذات بصفة كأحمر فإنه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود وهو الحمرة. والوصف والصفة مصدران كالوعد والعدة»[١٦] ومن خلال كلام اللغويين حول الوصف يتضح لنا أن الوصف: توضيح الشئ وإظهاره، وبيان حاله وهيئته.

أما عن الوصف عند البلاغيين والنقاد: فلقد عرف

(١٠) من الآية (١١٢) من سورة الأنبياء.

(١١) أساس البلاغة ٥١٠/٢ للزمخشري - ط دار الكتب – ط ثانية – (١٩٧٢) م ، واللسان مادة «وصف» ٣٥٦/٩- لابن منظور - ط دار صادر بيروت- ط ثالثة (١٤١٤هـ) (١٩٩٤م)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ٢٢٣، ٢٢٤ للفيروزابادي - ط المكتبة العلمية بيروت .

(١٢) من الآية (٦٢) من سورة النحل.

(١٣) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص٥٧٦ للأستاذ/ محمد إسماعيل إبراهيم- ط دار الفكر- ط ثالثة (١٣٨٨هـ) (١٩٦٨م).

(١٤) المصباح المنير مادة « وصف « ص ٢٥٤ للفيومي - ط مكتبة لبنان – (١٩٨٧) م .

(١٥) الكليات ص٩٤٢ لأبي البقاء الكفوي- ط مؤسسة الرسالة- ط أولى (١٤١٢هـ).

(١٦) التعريفات ص٣٢٦ للجرجاني- ط الريان. أما عند النحويين فالصفة : الاسم الدال على بعض أحوال الذات نحو طويل وقصير ، والذي تساق له الصفة هو التفرقة بين المشتركين في الاسم ، والصفة والنعت واحد ، وذهب بعضهم إلى أن النعت يكون بالحلية نحو طويل وقصير ، والصفة تكون بالأفعال نحو ضارب وخارج والصفة : لفظ يتبع الموصوف في إعرابه تحلية وتخصيصاً له بذكر معنى في الموصوف أو في شئ من سببه ، والصفة لا تكون إلا مأخوذة من فعل أو راجعاً إلى معنى الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة . شرح المفصل ٤٦/٣- ٤٨ لابن يعيش النحوي – ط عالم الكتب ، ولسان العرب ٣٥٧/٩ .

وهدي الساري ص١٧،٤٩٤،٤٩٧لابن حجر، وتدريب الراوي ٧٢/١

قدامة بن جعفر الوصف بقوله: «هو ذكر الشئ بما فيه من الأحوال والهيئات. ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم أظهرها فيه وأولاها، حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحس بنعته»[١٧].

ويقول ابن القيم: «والوصف أصله الكشف والإظهار. وأحسنه ما يكاد يمثل الموصوف عياناً ولأجل ذلك قال بعضهم: «أحسن الوصف ما قلب السمع بصراً، ومنه في القرآن العظيم كثير مثل قوله تعالى في وصف البقرة التي أمر بنو إسرائيل بذبحها لما سألوا أن توصف لهم بقولهم: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ... ﴾[١٨] وقوله لما سألوا أن يصف لهم لونها: ﴿... قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾[١٩] وقوله لما سألوه بيان فعلها: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا.. ﴾[٢٠] فجمع في هذه الآية جميع الأحوال التي يضبط بها وصف الحيوان، فإن الحيوان عند البيع والإجارة، وسائر وجوه التمليكات يحتاج فيه إلى معرفة سنه ولونه وعمله، ثم يفتقر فيه إلى معرفة عيوبه فنفي الله سبحانه وتعالى عن تلك البقرة كل عيب بقوله ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ فجمع في هذه الآية جميع وجوه الوصف، فإنه في الأول وصف سنها، وفي الثاني وصف لونها، وفي الثالث وصف خلقها وعملها... ومن هذا الباب في القرآن كثير لا يحصى، وكذلك السنة النبوية، وكذلك الشعر...»[٢١]

ويكاد البلاغيون ، والنقاد يجمعون على أن أجود الوصف هو الذي يستطيع أن يحكي الموصوف حتى يكاد يمثله عياناً للسامع، وذلك بأن يأتي الشاعر بأكثر معاني ما يصفه وبأظهرها فيه وأولاها بأن يمثله للحس. وفي ذلك يقول نجم الدين بن الأثير:« وأحسن الوصف ما نعت به الشئ حتى يمثل للسامع حضور المنعوت، وتنزيل النعوت التي نعت بها على الأجزاء الموصوفة[٢٢] [٢٣].

ومن خلال كلام البلاغيين والنقاد يلاحظ عدة أمور:

أولاً– الوصف ذكر الشئ بأحواله وهيئاته.

ثانياً– أجود الوصف ما اشتمل على أكثر المعاني التي يتركب منها الموصوف .

ثالثاً– أحسن الوصف هو الذي يستطيع أن يحكي الموصوف حتى يكاد يمثله عياناً للسمع فيقلب السمع بصراً.

وكلام النقاد وإن كان حول الوصف كغرض من أغراض الشعر إلا أنه تحديد دقيق لهذا الفن من فنون الكلام؛ ولهذا أخذ به ابن القيم وطبقه على بعض آيات القرآن موضحاً أنه كثير في القرآن، والسنة، وكلام العرب، وما يعنينا هنا هو فن «**الوصف في الحديث الشريف**». وسيتضح لنا إن شاء الله تعالى أن فن الوصف في الحديث الشريف ينطبق عليه ما ذكره البلاغيون والنقاد حول تعريفه، كما سيتضح لنا أثره في بلاغة البيان النبوي . **ومما يتصل بالبحث بيان العلاقة بين الوصف والتصوير.**

* * *

المبحث الثاني:
العلاقة بين الوصف والتصوير

«الوصف وسيلة من وسائل التصوير المتعددة، فلقد اعتمد العرب على وسائل كثيرة في التصوير : كالتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والوصف، والقصة، والتجسيم، والتشخيص ، والموازنة، والإشارة، والرسم» ، والوصف من الأغراض الشائعة في شعر العرب ، فهو كما يقول عنه ابن رشيق : « الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف

(١٧) نقد الشعر ص ١٣٠ لقدامة بن جعفر – ط مكتبة الكليات الأزهرية – ط أولى – (١٣٩٨) هـ

(١٨) من الآية (٦٨) من سورة البقرة .

(١٩) من الآية (٦٩) من سورة البقرة .

(٢٠) من الآية (٧١) من سورة البقرة .

(٢١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ص ١٦٨ ، ١٨٧ لابن القيم – ط مكتبة القرآن .

(٢٢) ولذلك نهى ﷺ عن أن تنْعت المرأةُ المرأةَ لزوجها حتى كأنه يراها ، وما ذلك إلا لأنه يطلع الرجل بوصف المرأة على جميع هيآتها عندما يمثلها خاطره . العمدة ٢٩٤/٢ ، وجوهر الكنز ص٧١

(٢٣) الصناعتين ص ٨٤ ، وما بعدها لأبي هلال العسكري – ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤٠٩) هـ ، والعمدة ٢٩٤/٢ ، ٢٩٥– ط دار الجيل – ط خامسة – (١٤٠١) هـ ، وأسس النقد الأدبي عند العرب ص ٢٧٧ للأستاذ الدكتور / أحمد بدوي – ط نهضة مصر .

ولا سبيل إلى حصره واستقصائه « وهذا الرأي هو ما يراه البلاغيون والنقاد أيضاً بعد ابن رشيق كضياء الدين بن الأثير ، ونجم الدين بن الأثير ، وغيرهما ، ولقد ذكروا في بعض مؤلفاتهم أمثلة كثيرة لغرض الوصف عند العرب[٢٤].

وقديما برع الشعراء في فنون الوصف المختلفة ، وتميز كل واحد منهم بفن من الوصف أجاد فيه ، وعرف به، «فعرف امرئ القيس بوصف الخيل ، وأبو نواس في الخمر ، وكعب بن زهير في الإبل ، والشماخ في وصف الوحش ، والمتنبي في وصف المعارك والحروب» كما أن الشعراء يتفاضلون في الأوصاف فمنهم من يجيد فيه ، ومنهم من يُقصّر ، ومنهم من يكون وصفه متوسطاً ، وذلك كله بحسب ميل نفوسهم واستعدادهم لمواد ما يصفونه كما يقول نجم الدين بن الأثير [٢٥]

أما عن البيان النبوي فلقد اشتمل على فنون التصوير المختلفة لما لهذه الفنون من أثر في توضيح المعاني ، ولمعرفة الناس بها شعراً ونثراً، ولما لها من أثر في حياتهم حيث كان للوصف كما سبق مكان كبير في كلامهم شعره ونثره . ومن هنا نجد البيان النبوي حافلاً بفن الوصف كوسيلة من وسائل التصوير . فالنبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، وأدبه ربه فأحسن تأديبه؛ ولهذا لم يغفل البيان النبوي في تصويره الدقيق هذه الوسائل .

أما عن العلاقة بين الوصف والتشبيه:

« فالوصف قريب من التشبيه إلا أن الفرق بينهما أن التشبيه مجاز، والوصف راجع إلى حقيقة الشئ وذاته»[٢٦]. يقول ابن رشيق : «... وهو [أي الوصف] مناسب للتشبيه ، مشتمل عليه وليس به ؛ لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه . والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشئ ، وأن ذلك مجاز وتمثيل»[٢٧]

ويقول نجم الدين بن الأثير « فالوصف تارة يطلق ويراد به الخصوص ، وتارة يراد به العموم . فأما إذا ورد على وجه العموم فإنه يتناول جميع المعاني النظمية والنثرية حتى القصص والأخبار ، فعلى هذا يكون المدح وصفاً للممدوح ، والهجاء وصفاً للمهجو ، والافتخار يكون وصفاً للمفتخر ، والرثاء يكون وصفاً للميت ، والتشبيه وصف الشئ بأنه يشبه شيئاً آخر ... وإذا ورد على وجه الخصوص فإنه يكون ذكر الشئ وما فيه من الهيئات الخاصة به من غير تعرض للموصوف بخلاف التشبيه فإنه ذكر وصف الشئ بأحواله وهيئآته التي يشارك فيها غيره . فقد صارت المشاركة فرقاً.

وإذا أتى الشاعر بشئ من الوصف أو التشبيه فينبغي له أن يتوخى فيهما مطابقة الموجود ، ويحذر من مجاوزة الحد ، وليتخيل تلخيص المعاني في ذهنه ، وإبرازها في صفات التكميل »

وكلام ابن رشيق وابن الأثير حول الفرق بين الوصف والتشبيه كلام دقيق ، وليس لأحد من البلاغيين مثل هذا الكلام الدقيق في الفرق بين الوصف والتشبيه فيما أعلم.

* * *

المبحث الثالث:
العلاقة بين الوصف والخيال

« الكلام في وصف الطبيعة والجمال والحب على طريقة الأساليب البيانية إنما هو باب من الأحلام إذ لابد فيه من عيني أو نظرة عاشق، وهنا نبي يوحى إليه فلا موضع للخيال في أمره إلا ما كان تمثيلاً يراد به تقوية الشعور الإنساني بحقيقة ما في بعض ما يعرض من باب الإرشاد والموعظة... فعمله أن يهدي الإنسانية لا أن يزين لها، وأن يدلها على ما يجب في العمل لا ما يحسن في صناعة الكلام، وأن يهديها إلى ما تفعله لتسمو به لا إلى ما تتخيله لتلهو به. والخيال هو الشئ الحقيقي عند النفس في ساعة الانفعال والتأثر به فقط، ومعنى هذا أنه لا يكون أبداً حقيقة ثابتة فلا يكون كذباً على الحقيقة، ثم هو ﷺ ليس كغيره من بلغاء الناس بتصل بالطبيعة

(٢٤) العمدة ٢/٢٩٥-٣٠١ لابن رشيق – ط دار الجيل – ط خامسة (١٤٠١) هـ (١٩٨١) م ، وكفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب صـ٩٥ -٩٨ لضياء الدين بن الأثير - منشورات جامعة الموصل ، وجوهر الكنز صـ٧١-٨٣ لنجم الدين بن الأثير ، والتصوير الفني في الحديث النبوي صـ٤٩١ للأستاذ الدكتور/ محمد لطفي الصباغ- ط المكتب الإسلامي- ط أولى (١٤٠٩هـ).

(٢٥) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب صـ٩٥ ، وجوهر الكنز صـ٧١ ٧٢،

(٢٦) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان صـ١٨٧ لابن القيم .

(٢٧) العمدة ٢/٢٩٤ ولقد نقل من جاء بعد ابن رشيق كلامه في الفرق بين الوصف والتشبيه كضياء الدين بن الأثير في كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب صـ٩٥ ، ونجم الدين بن الأثير في جوهر الكنز صـ٧١ ، ٧٢

ليستملي منها، بل هو نبي مرسل متصل بمصدرها الأزلي ليملي فيها...»[٢٨].

«فوجود الخيال في الحديث النبوي أمر غير متوقع إلا عندما يكون مصدراً للتشبيه والتمثيل والتصوير...»[٢٩]

فالوصف النبوي الذي يعتمد التصوير الذي يعتمد بدوره الخيال يأتي في أعلى درجات الصدق، وعلى ذروة سنام البلاغة ؛ لأنه متصل بهذه النفس الصافية التي تربعت على قمة السمو الروحي . وهذا يدفعنا للحديث عن الخيال كطريق من طرق التعبير عن المعاني الصادقة ، والتصورات المعقولة طالما نتحدث عن الخيال وصلته بفن الوصف في البيان النبوي.

« إن إطلاق لفظ التخيل أو الخيال في صدد الحديث عن المعاني الصادقة، والتصورات المعقولة لايحط من قيمتها أو يمس حرمتها بنقيصة، فإن علماء البلاغة أنفسهم قد أطلقوه على مايأتي به البليغ في الاستعارة المكنية[٣٠] من الأمور الخاصة بالمشبه به ويثبته للمشبه فقالوا : الأظفار أو إضافتها في قولك : أنشبت المنية أظفارها»[٣١] تخييل أو استعارة تخييلية، وأطلقوه في الفصل والوصل حين تكلموا على الجامع بين الجملتين وقسموه إلى: عقلي، ووهمي، وخيالي ، وأطلقوه في فن البديع على تصوير ما سيظهر في العيان بصورة المشاهد، ولم يبالوا أن يضربوا لجميع تلك المباحث أمثلة من آيات الكتاب العزيز ، وغيره من الأقوال الصادقة.

« ولقد كان من أساليب القرآن في الدعوة أن ضرب الأمثال الرائعة، وصاغ التشابيه الرائقة، والاستعارات الفائقة، والكنايات اللطيفة، ويضاف إلى ذلك ما كان ينطق به الرسول ﷺ من الأقوال الطافحة بضرب الأمثال والاستعارات والكنايات التي لم تخطر على قلب عربي قبله ، فكان مطلع الإسلام مما زاد البلغاء خبرة في تصريف المعاني وترقى بهم في صناعة التخييل »[٣٢]

والوصف الدقيق النابع من البصيرة النافذة ، وحسن الإدراك، والتدفق العاطفي أبلغ من التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو الوسائل المألوفة في التصوير، إنه ينقل لك أمام عينيك المشهد حتى تكاد تحس به بحواسك ، وتلمسه بيديك»[٣٣].

وسيتضح لنا من خلال التطبيق أن الوصف النبوي من أبرز المقومات الحيوية المباشرة في إقامة الصورة»[٣٤]

* * *

المبحث الرابع:
تنوع الوصف في البيان النبوي

استخدم النبي ﷺ « الوصف» لأجل تعليم الناس وإرشادهم إلى ما يقربهم إلى ربهم ، ولبيان حقائق الدين ، كما استخدمه في تحذيرهم وتخويفهم مما يبعدهم عن جنابه ورحمته. والنبي ﷺ داع إلى الله ومبشر، ونذير، ومبلغ عنه كما نطقت بذلك آيات القرآن، وأحاديثه ﷺ. ومن هنا فلقد جاء في البيان النبوي «الوصف» الذي يقلب السمع بصراً، والمعقول محسوساً، والمتخيل مشاهداً، ويحيط بالموصوف من جهاته المختلفة حتى يحكيه ويمثله للعيان.

وهذه الناحية الفنية والبلاغية لا تتخلف في أي موضوع من الموضوعات في البيان النبوي، كما لا يلحقها

(٢٨) وحي القلم ٢/٣ ، ٢٣ للرافعي .

(٢٩) الحديث النبوي مصطلحه ، وبلاغته ، وكتبه ص ٢٧ للأستاذ الدكتور / محمد الصباغ – ط المكتب الإسلامي .

(٣٠) ينقسم التصرف في المعاني على ما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى تحقيق وتخييل ، والفارق بينهما أن المعنى الحقيقي ما يشهد له العقل بالاستقامة ، وتتضافر العقلاء في كل أمة على تقريره ، والعمل بموجبه . والتخييلي : هو الذي يرده العقل ويقضي بعدم انطباقه على الواقع إما بديهة أو بعد نظر قليل..، ويفهم من وجه التفرقة بين القسمين أن مجرد الاستعارة عندهم لا يدخل في قسم التخييل ، وقد صرح الجرجاني بهذا في كتاب أسرار البلاغة ناظراً إلى أن المستعير لا يقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة حتى يكون الكلام مما ينبو عنه العقل ، وإنما يعمد إلى إثبات شبه بين أمرين في صفة ، والتشابه بين المعاني لا ينازع العقل في صحتها . أسرار البلاغة ص ٢٣٨- ٢٤٠ – ط دار الكتب العلمية – ط أولى – (١٤٠٩) هـ (١٩٨٨) م ، ويراجع أيضاً الخيال في الشعر العربي ص ١٠ للشيخ / محمد الخضر حسين – ط تونس – ط ثانية – (١٣٩٢) هـ.

(٣١) جزء من بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وتمامه : وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع . والشاهد فيه : الاستعارة بالكناية ، والاستعارة التخييلية ، فهو شبه المنية في نفسه بالسبع في اغتياله للنفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ، ولا رقة لمرحوم ، فأثبت لها الأظفار التي لا يكمل الاغتيال في السبع بدون تحقيقها للمبالغة في التشبيه . فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية ، وإثبات الأظفار لها استعارة تخييلية . ينظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١٦٤/٢ للعباسي – ط عالم الكتب – بيروت – (١٣٧٦) هـ (١٩٤٧) م.

(٣٢) الخيال في الشعر العربي ص ١٢ ، ١٣ ، ٦٧

(٣٣) التصوير الفني في الحديث النبوي ص ٤٩١

(٣٤) القصص في الحديث النبوي ص ١٧٨ للأستاذ الدكتور / محمد حسن الزير – ط دار طيبة – الرياض – ط رابعة – (١٤١٨) هـ (١٩٩٧) م.

الخلل أو الاضطراب في أي ناحية من النواحي. فنجد في البيان النبوي وصف الإيمان في الأمور العقدية والقلبية، ووصف الصلاة والزكاة والذكر في الأمور الحسية، ووصف الفتن والجنة والنار في الأمور الغيبية ، إلى غير ذلك من ألوان الوصف التي سأشير إلى بعضها.

وهذه اللوحات الوصفية مع تنوعها واختلاف موضوعاتها تأتي على درجة واحدة في البلاغة لأنها خرجت من مشكاة النبوة(٣٥)

وسأتناول بمشيئة الله تعالى الوصف في الحديث النبوي على ترتيب الكتب والأبواب في الصحيحين ، مع تقديم تبويب البخاري نظراً لما في تبويبه من الدقة والفقه وحسن الترتيب ، كما شهد بذلك المحققون من العلماء، وسأبين بعون الله ما ينطوي عليه الوصف النبوي من صور فنية، وأسرار بلاغية.

الفصل الثاني : بلاغة الوصف في الحديث النبوي من خلال الصحيحين

وصف النخلة وتمثيلها بالمسلم:

قال رسول الله ﷺ: « **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مَثَلُ المسلم، فحدثوني ما هي؟** « فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت . قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «**هي النخلة**»(٣٦).

في هذا الحديث الشريف يضرب النبي ﷺ مثلاً للمسلم، وفي ضرب الأمثال زيادة في الإفهام، وتصوير للمعاني لترسخ في الذهن. وهنا جاء الوصف معتمداً على التشبيه(٣٧) حيث شبهت النخلة بالمسلم ، وجاء الوصف أولاً للنخلة لقوله ﷺ: « **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها**»

وهذا الوصف من أبرز أوصاف النخلة التي امتازت به من سائر الأشجار ألا وهو عدم سقوط ورقها، وليست هذه كل صفات النخلة. ويبدو لي في ذلك سر بلاغي، فالنبي ﷺ بذكره لهذا الوصف من أوصاف النخلة يريد أن يبين أن النخلة لا ينقطع عطاؤها وخيرها بحال من الأحوال، فورقها فيها سواء أخرج منها الثمر أم لم يخرج. وفي هذا إشارة إلى أن الخير مستمر في المسلم في كل حال لأن نفسه مجبولة على حب الخير والعطاء، لا يفارقه حب الخير، ولا يفارق هو فعل الطاعات، فلا ينفصل أحدهما عن الآخر، كما أن النخلة لا يسقط ورقها بحال من الأحوال، ولهذا عقب النبي ﷺ بعد هذا الوصف للنخلة بتمثيلها بالمسلم، وكأنه يلفت الأنظار بداية إلى أن هذه الخصيصة في وصف النخلة هي أبرز السمات والصفات التي تشابه فيها المسلم، فهذا الترتيب بين الوصف أولاً، والتشبيه. ثانياً- فيما يبدو لي- أمر مقصود إليه في البيان النبوي.(٣٨)

وكما سبق أن النبي ﷺ ذكر هذه الصفة وحدها من صفات النخلة مع أن لها صفات أخرى كثيرة »(٣٩) موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها . فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً ، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب، والليف في الحبال ، ومن خشبها ، وورقها ، وأغصانها يستعمل جذوعاً ، وحطباً ، وعصياً ، ومخاصر ، وحصراً، وأواني ، وغير ذلك»(٤٠). فاكتفي النبي ﷺ بذكر أبرز

(٣٥) ومشكاة النبوة قبست من نور القرآن ، وقبست من بلاغته ، ولذلك سأحرص على أن أبين أثر القرآن في كل حديث من الأحاديث موضوع البحث قدر المستطاع سواء أكان هذا الأثر في الناحية البلاغية ، أو في ناحية الموضوع . وفي هذا ربط للحديث النبوي بمنبعه الأصيل .

(٣٦) رواه البخاري من حديث ابن عمر- رضي الله عنه- كتاب العلم- باب قول المحدث حدثنا وأخبرنا- ح (٦١) فتح الباري ١/١٧٥، ورواه مسلم - باب مثل المؤمن مثل النخلة - ١٧/ ١٥٣.

(٣٧) استخدم النبي صلى الله عليه وسلم وسائل مختلفة للوصف من أهمها : اعتماده التشبيه والتصوير ، وقد سبق في مقدمة البحث بيان العلاقة بين الوصف والتصوير . ومما هو معلوم أن من أغراض التشبيه : تقرير صفة المشبه في ذهن السامع ، وهذا الغرض يكثر في تصوير الأمور المعنوية والذهنية في صورة حسية مشاهدة حتى تتمكن الصورة في نفس السامع ، وتستقر في ذهن المخاطب ؛ لأن النفس إلى الحس أميل ، وكما قالوا : من فقد حساً فقد فقد علماً . ينظر الإيضاح ٣/٣٥ للخطيب ، وشروح التلخيص ٣/٣٩٨ ، ٣٩٩، والبيان في ضوء أساليب القرآن ص ٧٩ للأستاذ الدكتور / عبد الفتاح لاشين – ط دار الفكر – القاهرة – ط ثانية – (١٤٢٠) هـ (٢٠٠٠) م .

(٣٨) ولذلك قال العلماء : إن وجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق .

(٣٩) قال العلماء: شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة، ولقد روى البزار بإسناد صحيح عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مثل المؤمن مثل النخلة ما أتاك منها نفعك « وينظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/١٥٤ ، وفتح الباري ١/١٧٧ لابن حجر.

(٤٠) جاء ذكر النخيل في عشرين موضعاً من القرآن بألفاظ « النخل» في عشرة مواضع، و» نخلاً « في موضع واحد، و» النخلة « في موضعين، و» النخيل « في سبعة مواضع» المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٦٩٠ لمحمد فؤاد عبد الباقي. وللنخل أهمية كبيرة ولها منزلة عظيمة في حياة العرب، ولقد نقل ابن ناقيا

الصفات، وترك الباقي ليربط المسلمون بين الصفة المذكورة وبين المسلم ثم يبحثون بعد ذلك عن باقي وجوه الشبه بين المسلم وبين النخلة، وإذا كانت الصفات التي سبق ذكرها موجودة في النخلة في حال خَضِرها وفي حال خَضْرها[٤١] فكذلك المسلم خيره مستمر في حال حياته وبعد مماته، ففي حياته بالطاعات وفعل الخيرات وغير ذلك من وجوه البر، وبعد موته بالصدقات الجارية وما كان سبباً فيه في حال حياته، وما ورَّثَه من خير، وبدعوة الناس له، وبدخوله الجنة يوم القيامة، فالمؤمن كله خير ومنافع في حال حياته وبعد مماته.[٤٢]

ومن صفات النخلة جمال النبات، وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع وخير وجمال وكذلك المؤمن خير كله بكثرة طاعاته، ومكارم أخلاقه، ومواظبته على صلاته وصيامه وقراءته وذكره وصدقته، وسائر وجوه البر. ومن صفات النخلة «الثبات والارتفاع عن الأرض، فكذلك الإيمان ثابت في قلب المؤمن، وعمله عال مرتفع في السماء ارتفاع فروع النخلة، وما يكسب من بركة الإيمان وثوابه كما يُنال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والبُسْر[٤٣] والبلح والزهو والتمر والطلع»[٤٤] كما أن من صفات النخل: الاستقامة والاعتدال، والمسلم مستقيم على طريق الطاعة معتدل في أمور دينه ودنياه، وإن كان يوجد في بعض النخل إعوجاج فكذلك بعض المسلمين قد يكون فيهم شئ من الإعوجاج في السلوك، وهذا لا ينفي عنهم صفة الإسلام، والمؤمن لا يعرى من لباس التقوى كما لا تعرى النخلة عن الورق، والتقوى خير زاد وخير لباس»

وهذا الوصف النبوي الذي اعتمد التشبيه قد سلك طريق الإيجاز[٤٥] بذكر أبرز الصفات التي تشابه فيها النخلة المسلم ليلفت الأنظار إلى الصفات الأخرى التي لم تذكر في الحديث، وليشحذ المسلمون أفكارهم ويتأملوا وجوه الشبه بين المسلم والنخلة فيزدادوا معرفة بصفات المسلم من خلال النظر في صفات النخلة، وهذا الأسلوب من أساليب توضيح المعقول بالمحسوس[٤٦] وحث للفكر على النظر فيما بين الأشياء من وجوه الاتفاق ووجوه الاختلاف .

عن بعض العرب في فضل النخل قوله: نعم المال باسقات النخل، الراسخات في الوَحل، المطعمات في المحل يعني: التي تشرب بعروقها من الأرض» ولقد وضع العرب لها ولثمارها ولأجزائها أسماءً وأوصافاً، وهم لا يفعلون ذلك إلا فيما له منزلة ومكانة عندهم، ولقد عقد ابن قتيبه في كتابه- أدب الكاتب- باباً للنخل كما عقد الثعالبي في كتابه- فقه اللغة – ثلاثة فصول: الخامس: في قصر النخل وطولها، والسادس: في ترتيب سائر نعوتها، والسابع: مجمل في ترتيب حمل النخل، ولهم في وصف النخل أشعار كثيرة يراجع بعضها في كتاب «الجمان في تشبيهات القرآن» لابن ناقيا البغدادي ، ولقد ألف الجاحظ كتابه الموسوم بـ «الزرع والنخل والزيتون والأعناب في المفاضلة بين التمر والعنب» وأطال الحجاج والتفضيل من الجانبين، ولقد عقد ابن القيم الفصل الثامن والخمسين في كتابه «مفتاح دار السعادة» للكلام على خلق النخلة وما فيها من العجائب موضحاً وجوه الشبه بينها وبين المسلم وكان مما ذكره:١- طيب ثمرتها وحلاوتها وعموم المنفعة بها كذلك المؤمن طيب الكلام طيب العمل فيه المنفعة لنفسه ولغيره. ٢- دوام لباسها وزينتها فلا = = يسقط عنها صيفاً ولا شتاءً كذلك المؤمن لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها حتى يلاقي ربه تعالى .٣- سهولة تناول ثمرتها وتيسره، أما قصيرها فلا يحتاج المتناول إلا أن يرقاها، وأما باسقها فصعوده سهل بالنسبة إلى صعود الشجر الطوال وغيرها، فتراها كأنها قد هيئت منها المراقي والدرج إلى أعلاها وكذلك المؤمن خيره سهل قريب لمن رام تناوله لا بالغر ولا باللئيم. ٤- أن النخلة أصبر الشجر على الرياح والجهد، وغيرها من الدوح العظام تميلها الريح تارة وتقلعها تارة وتقصف أفنانها، ولا صبر لكثير منها على العطش كصبر النخلة، فكذلك المؤمن صبور على البلاء لا تزعزعه الرياح.٥- أنها كلما طال عمرها ازداد خيرها وجاد ثمرها، وكذلك المؤمن إذا طال عمره ازداد خيره وحسن عمله. ٦- أن قلبها من أطيب القلوب وأحلاه، وهذا أمر خصت به من دون سائر الأشجار، وكذلك قلب المؤمن من أطيب القلوب. ٧- أنها لا يتعطل نفعها بالكلية أبداً، بل إن تعطلت منها منفعة ففيها منافع أُخر حتى لو تعطلت ثمارها سنة لكان للناس في سعفها وخوصها وليفها وكربها منافع، وكذلك المؤمن لا يخلو عن شئ من خصال الخير قط إن أجدب منه جانب من الخير أخصب منه جانب فلا يزال خيره مأمولاً وشره مأموناً». ينظر مفتاح دار السعادة ٣٥٥/١- ٣٥٩ باختصار لابن القيم- ط المكتبة التوفيقية، ولمزيد من التفصيل ينظر أدب الكاتب ص٨٠ لابن قتيبة، وفقه اللغة وسر العربية ص٣١٢، ٣١٣ للثعالبي، والجمان في تشبيهات القرآن ص١٤٤- ١٥٠ لابن ناقيا البغدادي- ط دار الفكر- بيروت- ط أولى (١٤٢٣هـ) (٢٠٠٢م)، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٦٩٠ لمحمد فؤاد عبد الباقي- ط دار الحديث- ط أولى- (١٤٠٦هـ) (١٩٨٦م)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص ٥١٩ ، ٥٢٠

(٤١) الخَضِر بفتح الخاء وكسر الضاد: الزرع الغَضُّ الأخضر والنخل، والخَضْرُ بفتح الخاء وسكون الضاد: ما قطع وهو أخضر، يقال خَضَر الرجل النخل خَضْراً: قطعه. المعجم الوسيط ٢٤٠/١، ٢٤١مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٤٢) قال القرطبي: وجه التشبيه بينهما من جهة أن أصل دين المسلم ثابت، وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب، وأنه لا يزال مستوراً بدينه، وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حياً وميتاً، فتح الباري ١٧٧/١ .

(٤٣) البُسْرُ: تمر النخل قبل أن يُرْطِبَ جمعه بِسارٌ. المعجم الوسيط ٥٦/١.

(٤٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٧/٥ للقرطبي – ط دار الكتب العلمية- بيروت- ط خامسة- (١٤١٧هـ) (١٩٩٦م).

(٤٥) وهذه السمة «سمة الإيجاز» من أبرز سمات البيان النبوي . وانظر أمثال الحديث ص ٢٢٣ للدكتور/عبد المجيد محمود — ط مكتبة التراث — ط أولى — (١٩٧٥) م.

(٤٦) وذلك لأن المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم ، فإذا ذكر ما يلائمها من المحسوسات ترك الحس والخيال المنازعة ، وانطبق المعقول على المحسوس ، فحصل الفهم التام . ينظر شروح التلخيص ٣٩٨/٣ ، ٣٩٩ ، وحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٢٦٥/٥ .

وهذا الوصف النبوي إنما هو قبس من آثار المثل القرآني الدقيق في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥] «فأكثرالمفسرين على أن الشجرة الطيبة هي النخلة[٤٧] ولقد قرأ النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ... ﴾ وقال: «**هي النخلة**»[٤٨] ولقد وصف هذه الشجرة بأربعة أوصاف: الأول: قوله « **طَيِّبَةً** » أي كريمة المنبت . الثاني: رسوخ أصلها وذلك يدل على تمكنها، وأن الرياح لا تقصفها فهي بطيئة الفناء، وما كان كذلك حصل الفرح بوجدانه . والثالث: علو فرعها وذلك يدل على تمكن الشجرة ورسوخ عروقها، وعلى بعدها من عفونات الأرض، وعلى صفائها من الشوائب . الرابع: ديمومة وجود ثمرتها وحضورها في كل الأوقات»[٤٩]

وهذه الأوصاف تنطبق على المؤمن تمام الانطباق، فالإيمان راسخ وثابت في قلب المؤمن لا تزعزعه البلايا والمحن، وهو إيمان مثمر بالعمل الصالح الذي يدل على صلاح المؤمن المتصل بالملأ الأعلى، وهو إيمان يعلو على شهوات الدنيا وملاذها، ويحلق في آفاق من السمو الروحي. وهذه الأوصاف في الشجرة الطيبة تنطبق على أوصاف المؤمن التي سبق ذكرها تمام الانطباق، «فالمقصود بالمثل المؤمن، والنخلة مشبهة به، وهو مشبه بها، وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك .

فليتأمل المؤمن في هذا المثل القرآني، وهذا المثل النبوي، وليتصور هذه المعاني التي تحتاج إلى إعمال العقل، وينطبق فيها المعقول على المحسوس تمام الانطباق[٥٠] ﴿... وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (إبراهيم : ٢٥).

وصف حال أول من يدخلون الجنة ، والذين يلونهم ، ونعيمهم :

قال رسول الله ﷺ « **أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان: كل واحدة منهما يُرى مخُ ساقها من وراء لحمها من الحسن. يسبحون الله بكرة وعشياً، لا يسقمون ، ولا يمتخطون ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة** — قال أبو اليمان: يعني العود — **ورشحهم المسك**»[٥١]

إننا هنا أمام لوحات وصفية رائعة لمشاهد من عالم الغيب لمنازل المؤمنين وما أعد الله لهم من النعيم في الجنة. ولقد جاء هذا الوصف النبوي الدقيق معتمداً على التشبيه في بعض أجزائه، ومعتمداً على العبارة الوصفية التي لا تعتمد على الصورة البيانية المعهودة من التشبية والاستعارة والكناية في أجزاء أخرى. وبدأ هذا الوصف النبوي بذكر مراحل النعيم التي يمر بها أول زمرة تدخل الجنة من بداية دخولهم إلى حين استقرارهم. بدأ هذا الوصف بتشبيه صورة أول زمرة تدخل الجنة بصورة القمر ليلة البدر، وتشبيه الذين يلونهم بصورة أشد كوكب إضاءة. وهنا سر بلاغي في الفرق بين التشبيهين: فالتشبيه الأول جاء بصورة « **القمر ليلة البدر**» والوجه فيه الهيئة والحسن والضوء. والتشبيه الثاني بـ « **أشد كوكب دري**» والوجه فيه الإضاءة فقط[٥٢].

وهنا نقف أمام هذا النور الذي يشع من أجسادهم وصورهم، هذا النور الذي يخطف الأبصار ويبهر

(٤٧) وهو قول ابن مسعود ، وابن عباس ، وأنس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وابن زيد . ينظر الكشاف ٥١٩/٢ للزمخشري ، والبحر المحيط ٤٣١/٦ لأبي حيان الأندلسي ، وتفسير ابن كثير٤٨٥/٢، ، وتفسير أبي السعود العمادي ١٨٨/٣ ، ١٨٩ .

(٤٨) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أنس . فتح الباري ١٧٨/١

(٤٩) الأمثال في القرآن ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ لابن القيم — ط دار المعرفة (١٩٨١) م ، و البحر المحيط ٤٣٢/٦ .

(٥٠) ذكر ناصح الدين ابن الحنبلي هذا الحديث موضوع البحث في أكثر من موضع من كتابه أقيسة النبي المصطفي صلى الله عليه وسلم ص ٩٤ ، ١١١ ، ١٤٦ ط المكتبة العصرية — بيروت — (١٤١٥) هـ (١٩٩٤) م .

(٥١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة —كتاب بدء الخلق — باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة — ح (٣١٣٨) — ٣٦٧/٦ ، وأخرجه مسلم — كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها — ١٧٣/٩

(٥٢) وقوله: «كأشد كوكب « أفرد المضاف ليفيد الاستغراق في هذا النوع من الكوكب. يعني إذا تقصيت كوكباً كوكباً رأيتهم كأشده إضاءة. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٥٣/١٠، ٢٥٤ للتبريزي.

المتأملين، فصورة القمر ليلة البدر وما هو عليه من الضوء معروفة بما فيها من جمال شكله وحسن هيئته. إنهم حين يدخلون الجنة يكونون في قمة الجمال والكمال والبهاء والحسن فلا يصيبهم أي مظهر من مظاهر النقص، فلقد مضت الدنيا بنقصها وبلائها، وهم اليوم في دار الكمال لا النقصان. أما الذين يلونهم فصورتهم معروفة حين ننظر إلى الكوكب الدري يلمع في وسط السماء في الليل ، ولكن التشبيه هنا جاء في الإضاءة وحدها ، وهذا لا يعني نقصان حالهم ولكن يعني اختلافهم في درجات النعيم مع استوائهم في أصل الكمال ، والبعد عن كل مظاهر النقص.(٥٣)

لقد وصفهم في الزمرة الأولى والذين يلونهم بالإضاءة عند دخولهم الجنة، وهذا النور والضوء إنما هو نور وضوء الأعمال الصالحة، فطالما صلوا بالليل والناس نيام(٥٤) وطالما تحملوا بلاء الدنيا وعناءها. إن طاعتهم لله قد أثمرت ذلك النور الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حيث بين ذلك القرآن بإضافة النور إليهم في أكثر من موضع **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم(٥٥) بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ(٥٦) قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾(٥٧) وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٥٨)

ولم يقف الوصف النبوي الدقيق لهذا المشهد الرائع المهيب عند الصورة الظاهرة وإنما انتقل إلى الصورة الباطنة، فبين أن «**قلوبهم على قلب رجل واحد**»(٥٩) فلا اختلاف بينهم ولا تباغض. إننا هنا أمام صورة مكتملة المعالم في الظاهر والباطن، في الظاهر بالضياء والحسن والبهاء، والباطن بالطهارة والنقاء والصفاء، وهذا يظهر بلاغة الوصف في البيان النبوي، ويؤكد ما سبق ذكره من أنه **وصف كاشف جامع لكل معالم الصورة !**

وبعد الحديث عن كمالهم في ذاتهم انتقل إلى الحديث عن النعيم الذي أعد لهم، فذكر الزوجين من الحور العين، وبين صفاء ورقة بشرتيهما فقال:« **لكل امرئ منهم زوجتان**(٦٠) **كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن**» إن هاهنا صفاءاً

(٥٣) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٢ – ٤) وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة». ينظر هذه الأحاديث وغيرها في كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح – الباب السابع عشر – في درجات الجنة – ص ١٠٩– ١١٨ لابن القيم – ط دار ابن رجب – ط ثانية (١٤٢٦) هـ (٢٠٠٥) م.

(٥٤) وفي الحديث الصحيح : «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» رواه أبو داود والترمذي من حديث بريدة بن الخصيب مرفوعاً. مشكاة المصابيح ٢٨٥/٢، ، وصحيح سنن أبي داود للألباني ١٦٧/١.

(٥٥) لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فجعل النور في الجهتين شعاراً لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا، وبصحائفهم البيض أفلحوا فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور جنيباً لهم ومتقدماً. الكشاف ٤٧٣/٤ للزمخشري .

(٥٦) لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة. وانظرونا وانظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به . الكشاف ٤٧٣/٤

(٥٧) الآيتان (١٢، ١٣) من سورة الحديد.

(٥٨) الآية (٨) من سورة التحريم.

(٥٩) قوله: «على قلب رجل واحد» من التشبيه المحذوف الأداة أي كقلب رجل واحد وقد فسره بقوله: «لا تحاسد بينهم ولا اختلاف» أي أن قلوبهم طهرت من مذموم الأخلاق. فتح الباري ٣٧٤/٦.

(٦٠) يقول الطيبي: الظاهر أن التثنية للتكرار لا للتحديد كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٤) لأنه قد جاء أن للواحد من أهل الجنة العدد الكثير من الحور العين. ويقول ابن القيم: ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لما في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للعبد فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً» ينظر شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٥٤/١٠، وحادي الأرواح ص ٣١٠، ٣١١.

وبياضاً في عظامهن ولحمهن ظاهراً وباطناً ليناسب حال هؤلاء المؤمنين في الصفاء والنقاء، فيزداد النور والبهاء، ويتم الحسن والضياء. فما أروع هذه الصورة النبوية حين نتخيلها أمام أعيننا وقد امتزج النوران بين هؤلاء الداخلين إلى الجنة والحور العين اللائي وصفهن القرآن بأنهن: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[٦١] إن هذا النعيم المقيم والعطاء الجزيل ليلهمهم التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس[٦٢] وليس المقصود بالتسبيح بكرة وعشياً الحقيقة لفناء الدنيا، وإنماالمقصود هو الديمومة[٦٣]

وبعد هذا الوصف الدقيق لصورتهم وما أعد لهم من الحور العين انتقل البيان النبوي إلى وصف حالهم «**فهم لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون،آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب**». ما أروع هذا الوصف الدقيق الجامع، فلقد تناول في هذا الوصف حالهم في الداخل، وما يحتاجون إليه في الخارج من الأواني والأمشاط. وهنا سر دقيق فهم لا يسقمون ولا يمتخطون ولايبصقون، وهذا ما يناسب ما هم عليه من الضياء والصفاء والحسن ، كما أن آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة وفيهما من الصفاء واللمعان والبريق ما هو معلوم... فهنا ضياء ونور وصفاء في كل شئ، في ظاهرهم وباطنهم، وفي كل ما يحيط بهم[٦٤] ويبدو لي هنا لوحة وصفية يشع النور من كل أجزائها في تناسق والتئام وتلاحم، هاهم المؤمنون والنور يشع منهم، وها هي الحور العين في صفائها ونقائها، وها هي الآنية والأمشاط في لمعانها وبريقها، هل بقي شيء؟ نعم بقيت المجامر[٦٥] وهي «الألوّة»[٦٦] ولكن جعلت مجامرهم نفس العود بأن يشتعل بغير نار[٦٧] بل بقوله:«كن» لقد أحيط هذا الضياء بهذه الرائحة الطيبة مع رشحهم المسك، فلقد جاءت الرائحة الطيبة من رشحهم ومن حولهم لتكتمل معالم الصورة.

وبهذا يكون البيان النبوي قد وصف لنا حال هؤلاء الداخلين إلى الجنة وصفاً كاشفاً جامعاً. وهو وصف لمشاهد من عالم الغيب عرضها علينا في إيجاز وفي تناسق وفي تلاحم عجيب ، جمع فيه بين أجزاء الصورة التي شاع النور وانتشر في جميع أجزائها وهذه الصور الرائعة هناك روابط وقواسم مشتركة بينها وهي الضياء، والبهاء، والحسن، والصفاء ، واللمعان !

لقد جاء نورهم من أعمالهم الصالحة، وجاء حسنهم وبهاؤهم من طهارتهم الحسية والمعنوية في الدنيا، فلينظر كل منا ومن خلال هذا الحديث الرائع إلى ما قدم من نور لنفسه يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٦٨] في تصوري مهما أوتي المرء من بلاغة وبراعة لا يستطيع أن يصف حال أهل الجنة بأبلغ مما وصفه به البيان النبوي ؛ لأن النبي ﷺ يصف وصف من رأى وسمع مع ما أوتي من جوامع الكلم، والاتصال بالملأ الأعلى في كل حين.

(٦١) قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان. شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان، ويدل عليه ما قاله عبد الله: إن المرأة من نساء الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله تعالى يقول: « كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ» (الرحمن: ٥٨) ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر» الكشاف ٤٥١/٤، و حادي الأرواح ص٢٩٩

(٦٢) وهذا ما فسره به جابر رضي الله عنه في حديثه عند مسلم. ووجه الشبه أن تنفس الإنسان لا كلفه فيه عليه ولابد منه، فجعل تنفسهم تسبيحاً، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه، وامتلأت بحبه، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره» فتح الباري ٣٧٥/٦

(٦٣) كما تقول العرب: أنا عند فلان صباحاً ومساءً لا يقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة. وقيل: يسبحون بكرة وعشياً أي قدرها. شرح الطيبي على المشكاة ٢٥٤/١٠، وفتح الباري ٣٧٥/٦.

(٦٤) فبناء الجنة كما جاء في الحديث: «لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها (الطين الذي يجعل بين ساقي البناء) المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران» رواه أحمد والترمذي والدارمي من حديث أبي هريرة وهو حديث ضعيف وفي الحديث:»ما في الجنة شجرة إلا وساقها ذهب» رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وهو حديث ضعيف أيضاً. مشكاة المصابيح ٢٦٣/١٠ ، ٢٦٤.

(٦٥) يقال: ثوب مجمر ومجمر: أي مبخر بالطيب، ولعله مأخوذ من جمر النار لأن الغالب في البخور أن يجعل الجمر في المجمر ، ومنه نعيم المجمر الذي كان يلي إجمار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الجبَّان: يقال للذي يلي ذلك جامر...» ينظر المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث مادة «جمر» ٣٤٦/١ للإمام محمد بن عيسى المديني الأصفهاني – ط دار المدني – جدة – ط أولى – (١٤٠٦)هـ (١٩٨٦) م.

(٦٦) بفتح الهمزة وضم اللام: أي العود الهندي الذي يبخر به. صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٢/٩.

(٦٧) قال الإسماعيلي: ينظر هل في الجنة نار؟ ويجاب باحتمال أن يشتعل بغير نار بل بقوله «كن» وإنما سميت مجمرة باعتبار ما كان في الأصل، ويحتمل أن يشتعل بنار لا ضرر فيها ولا إحراق، أو يفوح بغير اشتعال... فتح الباري ٣٧٣/٦.

(٦٨) الآية (١٢) من سورة الحديد.

وصف الخوارج:

عن أبي سعيد قال: بعث علي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذهيبة، فقسمها بين أربعة : الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي ، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب. فغضبت قريش والأنصار قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا. قال: إنما أتألفهم. فأقبل رجل غائر العينين،مشرف الوجنتين ، كثّ اللحية، محلوق فقال: اتق الله يا محمد فقال: «**من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني؟**» فسأله رجل قتله – أحسبه خالد بن الوليد – فمنعه فلما ولي قال: «**إن من ضِئْضئ هذا – أو في عقب هذا – قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[٦٩] وفي رواية: « **إنه يخرج من ضئضئ**[٧٠] **هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»، وأظنه قال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**»[٧١]

وقال رسول الله ﷺ: «**يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة**»[٧٢].

في هذا الحديث الشريف نحن أمام وصف دقيق يتخطى حدود الزمان والمكان ليكشف لنا عن أوصاف بعض من ينتسبون إلى المسلمين ولكنهم عبء عليهم، وحرب لهم، وأمان وسلم لعدوهم..، هذه الفئة التي نراها ونعايشها اليوم كما كانت بالأمس وفي الماضي، وكما ستكون في المستقبل وضع لنا البيان النبوي أوصافاً لها تكشف عن حقيقتها ، وتوضح فكرها ومدى فهمها للدين، وعوار هذا الفهم. والوصف النبوي هنا ينطبق عليه الخصيصة التي تحدثنا عنها من قبل، وهي أنه وصف يتجاوز حدود الزمان والمكان ليربط الماضي بالحاضر والمستقبل، وذلك لأنه خرج ممن لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٧٣].

ولقد ذكر النبي ﷺ أوصافهم في أكثر من حديث، وسأجمع هذه الأوصاف كما جاءت في الصحيحين وأتناولها بالتحليل البلاغي والأدبي . إنهم قوم يقرؤون القرآن وفي رواية «يتلون كتاب الله ليناً رطباً لا يجاوز حناجرهم». «لا يجاوز إيمانهم حناجرهم». «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم[٧٤] وليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء». «يقولون من قول خير البرية». «حدثاء أو أحداث أو حداث الأسنان. سفهاء الأحلام. يقتلون أهل الاسلام، ويدعون أهل الأوثان». هذه عبادتهم كما جاء في وصفهم: يقرءون القرآن ليناً رطباً لا يجاوز حناجرهم. ما أدق هذا الوصف ! فهم لا نصيب لهم من القرآن إلا ترديد الألسنة ؛ لأن القرآن لم ينفذ إلى قلوبهم، إنه عند الحناجر[٧٥] لا يتجاوزها، فلم تشرب قلوبهم حبة وفهمه

(٦٩) رواه البخاري من حديث أبي سعيد –كتاب الأنبياء – باب قول الله عز وجل: (وإلى عاد أخاهم هود) ح (٣٢٣٢) – ٤٣٣/٦، وأخرجه مسلم – باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه – ١٦١/٧ – ١٧١.

(٧٠) الضئضئ: بضادين معجمتين مكسورتين بينهما تحتانية ساكنة وفي آخره تحتانية مهموزة هو أصل الشيء، والمراد به النسل والعقب. يقال ضئضئ صدق ، وضؤضؤ صدق يريد أنه يخرج من نسله وعقبه ومن رأيه ومذهبه. قالوا: ولأصل الشئ أسماء كثيرة : منها : الضئضئ ، والنجار بكسر النون ، والنحاس، والسنح بكسر السين وإسكان النون، والعنصر، والأرومة. صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٢/٧، وشرح الطيبي ١٢١/١١، وفتح الباري ٦٦٨/٧، وعون المعبود ١٣/ ٧٧ لمحمد شمس الحق العظيم آبادي – ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(٧١) رواه البخاري من حديث أبي سعيد –كتاب المغازي – ح (٤١٨٣) – فتح الباري ٧٣٠/٨.

(٧٢) رواه البخاري من حديث سويد بن غفلة –كتاب المغازي –كتاب فضائل القرآن – باب إثم من راءى بقراءته القرآن أو تأكل به أو فجر به – ح (٤٨٦٩) – فتح الباري ٧٣٠/٨، وفي كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم – باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم – ح(٦٦٨٦) – فتح الباري ٢٩٥/١٢.

(٧٣) الآية (٤) من سورة النجم.

(٧٤) جاء في رواية لمسلم من حديث علي: «يخرج قوم من أمتي يقرؤن القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ...» الحديث – باب التحريض على قتل الخوارج ١٧١/٧.

(٧٥) الحناجر بالحاء المهملة والنون ثم الجيم جمع حنجرة بوزن قسورة وهي الحلقوم والبلعوم، وكله يطلق على مجرى النفس ، وهو طرف المرئ مما يلي الفم. وقال في النهاية: الحنجرة رأس الغلصمة حيث تراه ناتئاً من خارج الحلق والجمع حناجر. النهاية ١/ ٤٤٩ لمجد الدين بن الأثير، وشرح الطيبي ١٢٣/٧، وفتح الباري ٣٠١/١٢.

كما يجب أن يكون، إنه لين[٧٦] رطب بالنسبة لهم، سهل عليهم في الحفظ والتلاوة، أما في الفهم والعمل فهم لا رصيد لهم[٧٧] فهم يرددونه ويلوون ألسنتهم به تحريفاً لمعانيه ، وميلاً لأهوائهم، فصورتهم وهم يقرءون القرآن صورة خادعة لمن لم يعرف حقيقة فكرهم، فمن رآهم وهم يقرءون القرآن بسهولة ولين ظنهم من العالمين الفاقهين حيث لان القرآن لهم في التلاوة.

إن صورتهم الخادعة في العبادة لا تقف عند قراءة القرآن، بل إن من أوصافهم «**أنكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وقراءتكم مع قراءتهم، وصيامكم مع صيامهم**»، فهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويكثرون من التلاوة للقرآن، بل ويقولون من خير قول البرية ! ولكن ليس لهم روح العبادة وإنما لهم مظاهرها وظاهرها، فهم لا يعرفون من الدين إلا القشور وكما جاء في وصفهم « **لا يجاوز إيمانهم حناجرهم**». فكما أن القرآن لم يستقر في قلوبهم فهماً وعملاً كذلك الإيمان إيمان باللسان لا بالجنان، إيمان بالأقوال لا بالأفعال، وما أبعد هذا الصنف من الناس عن حقيقة الدين. فالإيمان لم ينفذ إلى قلوبهم وإنما وقف عند حلاقيمهم، وما وقف عند الحلاقيم لا يصل إلى القلب! ولذلك فهم «**يقولون من خير قول البرية**»[٧٨] كما وصفهم البيان النبوي، فكلامهم في الظاهر حسن معسول، ولكن في الباطن فهمهم للدين مدخول، إن عبادتهم كلها ظواهر لا رصيد لها من إيمان أو إخلاص، وقراءتهم كلها حركات للألسنة والحناجر لا وزن لها من فهم أو عمل سديد.

ولكن هل يقف وصفهم عند هذا الحد؟ لا، فهم «أحداث[٧٩] الأسنان» صغار السن لم يسبروا غور العلم، ولم يعيشوا في رحابه وقتاً كافياً فهماً وعملاً، ولم يكتسبوا الخبرة الكافية لصغر سنهم وضيق عطنهم وأفن عقولهم. وعن هذه العقول فحدث ولا حرج، ولن تجد لوصف عقولهم أبلغ من قوله ﷺ: «**سفهاء الأحلام**»[٨٠].

فعقولهم ضعيفة رديئة صغيرة[٨١] لا قدرة لها على الفهم والتحليل والاستنباط ، ولا عناية لها بمعالي الأمور وإنما عنايتهم بسفاسف الأمور، يهتمون بالقشور ويتركون الجوهر، يهتمون بالظاهر ويغفلون عن الباطن، ولا صبر لهم على فهم الدين والفقه لمقاصده، ولا ثبات عندهم أمام الشبهات، ولا رسوخ لأقدامهم في الحق، فهم متزعزعون عند الفتن، متخبطون في النوازل، يضعون الأدلة في غير مواضعها، انطلقوا إلى آيات نزلت في الكافرين فجعلوها على المؤمنين.ولهذا فهم «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[٨٢] وما أروع هذا الوصف الدقيق لحالهم مع الدين فهم كما يكفرون الناس على أهون الأسباب، ويأثمونهم على أصغر الأمور، هم كذلك يخرجون من الدين بنفس السرعة التي دخلوه بها، فلا ثبات لهم على الحق ولا نصيب لهم من الصبر[٨٣].

(٧٦) في أكثر النسخ «ليناً» بالنون أي سهلًا، وفي كثير من النسخ «لياً» بحذف النون. وأشار القاضي إلى أنه أكثر رواية شيوخهم ومعناه: سهلاً لكثرة حفظهم قال: وقيل: لياً أي يلوون ألسنتهم به أي يحرفون معانيه وتأويله، قال: ويكون من اللي في الشهادة وهو الميل قاله ابن قتيبة. صحيح مسلم بشرح النووي. ١٦٣/٧ ، ١٦٤

(٧٧) وقال الطيبي: لا تتجاوز قراءتهم عن ألسنتهم إلى قلوبهم فلا يؤثر فيها، أو لا يتصاعد من مخرج الحرف وحيز الصوت إلى محل القبول والإنابة. شرح الطيبي على المشكاة ١٢٠/١١.

(٧٨) هو من المقلوب والمراد: «من قول خير البرية « أي من قول الله وهو القرآن فهو خير قول البرية، ويحتمل أن يكون على ظاهره والمراد: القول الحسن في الظاهر وباطنه خلاف ذلك كقولهم: «لا حكم إلا لله» في جواب على ويحتمل أن يكون المراد بـ «خير البرية» النبي صلى الله عليه وسلم. ويرى الطيبي أن الوجه الأول أولى لأن «يقولون» بمعنى يحدثون ويأخذون من خير ما يتكلم به البرية. وينصره ما روى في شرح السنة أن ابن عمر رضي الله عنه كان يرى الخوارج شرار الخلق ويقول: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين وما ورد في حديث أبي سعيد: «يدعون إلى كتاب الله وليسوا منا في شئ» شرح الطيبي على ١٢٢/٧.

(٧٩) الأحداث: جمع حدث بفتحتين. والحدث: الصغير السن. هكذا في أكثر الروايات، ووقع للسرخسي والمستملي حداث بضم أوله وتشديد الدال ومعناه شباب جمع حديث السن أو جمع حدث، وهو كناية عن الشباب وأول العمر.

(٨٠) الأحلام جمع حلم بكسر أوله، والمراد به العقل. والمعنى: أن عقولهم رديئة صغيرة. قال النووي: يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة عن كمال السن وكثرة التجارب وقوة العقل. وقال ابن حجر: ولم يظهر لي وجه الأخذ منه فإن هذا معلوم بالعادة لا من خصوص كون هؤلاء كانوا بهذه الصفة. فتح الباري ٣٠١/١٢.

(٨١) السفة في الأصل: الخفة والطيش، وسفه فلان رأيه إذا كان مضطرباً لا استقامة له. شرح الطيبي ٢٢/٧.

(٨٢) الرمية بفتح الراء وكسر الميم وتشديد التحتانية. قال في النهاية : الرمية الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك . وقيل هي كل دابة مرمية . النهاية ٢٦٨/٢ لمجد الدين المبارك بن الأثير – ط دار إحياء التراث العربي ، وعون المعبود ٧٩/١٣.

(٨٣) يقول الشريف الرضي: وفي هذا القول مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام شبه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة من غير أن يتعلقوا منه بعقدته أو يعيقوا (أي يلتصقوا) بطيئته بالسهم الذي أصاب الرمية ثم خرج مسرعاً من جسمها ولم يعلق بشئ من فرثها ودمها. وذلك من صفات السهم الصائب ؛ لأنه لا يكون شديد السرعة إلا بعد أن يكون قوي النزعة. قال الطيبي: يريد أن دخولهم في الدين ثم خروجهم منه ولم يستمكنوا منه بشئ كالسهم الذي دخل في الرمية

ويبدو لي في هذا التصوير النبوي الدقيق أكثر من سر بلاغي: السر الأول: هو الصلابة والشدة عند هؤلاء في التعامل مع الناس وفي أمور الدين، وخاصة في سفاسف الأمور . ويبدو ذلك واضحاً من خلال قوله « **كما يمرق السهم من الرمية** » وذلك من صفات السهم الصائب الصلب ؛ لأنه لا يكون شديد السرعة إلا بعد أن يكون قوي النزعة ! فالصلابة في السهم والقوة والسرعة في اندفاعه تدفعه إلى الرجوع والخروج من الصيد بعد إصابته.

وهذا وصف دقيق لحالهم، فهم لا رفق عندهم في التعامل مع الناس، ويغلب عليهم جفاف الروح، وتقطيب الجبين، وتعقيد الأمور، وتضخيم الصغير، وتصغير الكبير، وهذا واقع يعرفه من عامل هؤلاء وعرف حقيقة طباعهم.

كما أن صلابة السهم موجودة في آرائهم، فهم لا يتنازلون عن آرائهم الباطلة وفهمهم المدخول، ولا يزعنون للحق(٨٤).

فصلابة الرأي من سماتهم مع فساد ما هم عليه وهذه حقيقة تاريخية معروفة عن الخوارج، وحقيقة واقعية معروفة عن أشباههم اليوم! فهم يؤثرون أن يكونوا رؤوساً في الباطل على أن يكونوا ذيولاً في الحق! وهناك سر آخر وهو السرعة والاندفاع عند هؤلاء، وذلك أيضاً من خلال قوله ﷺ: « **يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** »(٨٥)

والسرعة عندهم في الحكم على الناس بالفسق والكفر ، والاندفاع في التعامل مع الناس ، وعدم الصبر على تحصيل العلم، والسرعة في اتهام الناس زوراً وبهتاناً لأنهم لا يؤيدونهم فيما يذهبون إليه(٨٦).

ثم نفذ فيها ؛ وتخرج منها ولم يتعلق منها بشي. ينظر المجازات النبوية ص ٣٧ للشريف الرضي، وشرح الطيبي على المشكاة ١٢٣/٧.

(٨٤) ومعلوم ما عاناه وكابده سيدنا علي رضي الله عنه من الخوارج، فلم يرجع إلى الحق إلا أقلهم ، ورفض أكثرهم الرجوع إلى الحق بعد أن سفكوا الدماء الذكية الطاهرة من دماء أبناء الصحابة وغيرهم.

(٨٥) يقول الطيبي: ضرب مثلهم في دخولهم في الدين وخروجهم منه بالسهم الذي لا يكاد يلاقيه شئ من الدم لسرعة نفوذه تنبيهاً على أنهم لا يتمسكون من الدين بشئ ولا يلوون عليه . شرح الطيبي على المشكاة ١٢٩/٧.

(٨٦) وكم رأينا من أمثال هؤلاء الذين يسارعون إلى تكفير الناس لمجرد أنهم يخالفونهم في الرأي، ويندفعون في التمسك بآرائهم الفاسدة، ويبادرون إلى اتهام الناس في نياتهم، نسأل الله لهم الهداية والرشاد .

إنهم يخرجون من الدين بنفس السرعة التي دخلوا بها فيه، وتشاهد كثيرا من ذيول هؤلاء في عصرنا ، لا يلبث أحدهم في طريق الالتزام قليلاً حتى يحيد عن الحق، ويرجع إلى سابق عهده في الفسق ؛ لأنه لم يتعلق من الدين إلا بالقشور، بقدر ما يدخل السهم في الصيد ويخرج منه بسرعة !

وليس هناك تصوير دقيق يصور حالهم مع الإيجاز أبلغ من هذا التصوير النبوي، فهذا الحديث فضلاً عن أنه معجزة من معجزات النبي ﷺ يشتمل على أسرار بلاغية ، ووصف دقيق لحقيقة هؤلاء في كل زمان ومكان.

إن أفن عقولهم، وسوء فهمهم للدين، وصلابتهم في التمسك بالباطل، واندفاعهم في رفض الحق يدفعهم إلى أن «**يقتلوا أهل الاسلام، ويدعوا أهل الأوثان**» كما وصفهم البيان النبوي(٨٧) وهذا وصف دقيق لهؤلاء المارقين في كل زمان ومكان، فهم يفعلون ذلك بالمسلمين استناداً إلى تأويل فاسد لآيات القرآن، وفهم مدخول لحقيقة الدين، وهذه حقيقتهم في عصرنا كما كانت حقيقتهم في الماضي، وكما ستكون في المستقبل(٨٨)

إن الوصف النبوي هنا يتميز بخصيصته الظاهرة وهي أنه **وصف جامع كاشف مركز على أبرز صفات هؤلاء الخوارج**(٨٩) وهو وصف متخطي لحدود الزمان والمكان.

(٨٧) وقد حدث ذلك في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين خرجوا عليه، وكان ممن قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذوه فأضجعوه وذبحوه على ضفة النهر، وأقبلوا على امرأته وهي حبلى متم فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طئ، وقتلوا أم سنان الصيداوية، وبعث إليهم علي رضي الله عنه الحارث بن مرة العبدي يسألهم فيما بلغه عنهم فقتلوه أيضاً، ورفضوا تسليم القتلة فقاتلهم علي رضي الله عنه في معركة النهروان المشهورة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة حتى قضى على أكثرهم. وينظر في أخبارهم تاريخ الطبري ١١٣/٣-١٢٥- ط دار الكتب العلمية ، والملل والنحل ١٠٦/١ ، وما بعدها للشهرستاني – ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤١٣) هـ (١٩٩٢) م .

(٨٨) وكم شاهدنا من أمثال هؤلاء في بلادنا الذين يقتلون الأبرياء بحجة الإصلاح والعودة إلى المجتمع الإسلامي، ويستبيحون أموالهم ؛ لأنهم يخالفونهم في الدين أو الرأي، وهذا فعل المكفرين وغيرهم كما هو معلوم. ولقد عبر عن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:» إن من ضئضئ هذا « أي من نسله وعقبه ، ومن رأيه ومذهبه ، ومن على شاكلته ممن عرفهم التاريخ ، وعرفهم عصرنا الذي نعيش فيه.

(٨٩) جاءت أحاديث أخرى في وصفهم منها: ما جاء في سنن أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل،

لقد قال رسول الله ﷺ: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**» وفي رواية «**لأقتلنهم قتل ثمود**»[٩٠]وفي رواية:«**فأينما لقيتموهم فأقتلوهم،فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة** »[٩١] وفي ذلك معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، فهم مع نهية عن قتل أصلهم (وهو الرجل الذي قال لرسول الله اتق الله يا محمد) أراد إدراك خروجهم واعتراضهم المسلمين بالسيف، ولم يكن ظهر ذلك في زمانه، وأول ما ظهر في زمان علي رضي الله عنه كما هو مشهور . فهؤلاء بسفكهم للدماء، وفهمهم المدخول للدين، وعدم نفاذهم إلى حقيقة الاسلام يمثلون خطراً عظيماً على المسلمين، لأنهم يزعمون أنهم من المسلمين بينما يقتلون أهل الاسلام، ويدعون أهل الأوثان[٩٢]

فهم رأس الفتنة، ومنبع البلوى، ومصيبة المسلمين فيهم أكبر من مصيبتهم من أعدائهم. فما أروع وأدق هذا الوصف النبوي الموجز المعبر أدق تعبير عن حقيقة هؤلاء الخارجين في كل زمان ومكان[٩٣].

وصف قلب المؤمن بالكرم:

قال رسول الله ﷺ : «**ويقولون : الكرم، إنما الكرم قلب المؤمن**»[٩٤] وفي رواية مسلم: « ... **ولا يقولن أحدكم للعنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم**» وفي رواية له: «**لا يقولن أحدكم الكرم، فإنما الكرم قلب المؤمن**»[٩٥].

نحن هنا أمام وصف من نوع آخر، وشاهدنا في هذا الحديث قوله ﷺ: «**إنما الكرم قلب المؤمن**» وقوله: «**فإن الكرم الرجل المسلم**» والوصف النبوي هنا جاء لتصحيح لفظ طالما وضع لغير معناه الحقيقي في حياة العرب في ذلك الوقت، وروعي في تصحيحه الجانب الذهني ، والناحية الفكرية عند الناس.

فلقد كانت العرب تطلق لفظة « **الكرم** » على شجر العنب، وعلى العنب، وعلى الخمر المتخذة من العنب[٩٦] فكره الشرع هذا الاسم لأنه يربط بين العنب والخمر المتخذة منه في أذهانهم، ولأن فيه خطأً في الفهم حيث وصفت الخمر بغير صفتها، وسميت بغير اسمها، وهذا مما يؤدي إلى التباس الأمر على بعض الناس، ويهيج في نفوسهم الاتجاه إلى مقاربتها، ولذلك جاءهم بالاسم الحقيقي الذي لا يلتبس بغيره وهو العنب، والحَبَلة[٩٧].

وبلاغة الوصف هنا في أن جعل «**الكرم**» «**قلب المؤمن**» أو «**الرجل المسلم**» فلم حول النبي ﷺ الوصف هنا إلى الرجل المسلم أو قلبه المؤمن؟

ويبدو لي هنا أكثر من سر: **الأول** : لفت انتباه المسلم، وتحويل فكره عن كل ما يذكر بالمعصية أو

يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه (موضع الوتر من السهم) هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منا في شئ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم» قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟ قال «التحليق» رواه أبو داود –كتاب السنة – باب في قتال الخوارج – ح(٤٧٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح (٤٧٦٥) ٣/ ١٦٩– وابن ماجة – المقدمة – باب في ذكر الخوارج . والتحليق المذكور في آخر الحديث فيه وجهان: أحدهما: استئصال الشعر من الرأس ترويحاً لخبثه وإفساده على الناس وهو كوصفهم بالصلاة والثاني: أن يراد به تحليق القوم وإجلاسهم حلقاً حلقاً. مشكاة المصابيح ٢٨/٧، وشرح الطيبي ١٣٠/٧.

(٩٠) وهما روايتان للبخاري ومسلم كما سبق.

(٩١) وهي رواية للبخاري.

(٩٢) يقتلون أهل الإسلام لتكفيرهم إياهم بسبب ارتكاب الكبائر، ويدعون: أي يتركون أهل عبادة الأصنام من الكفار. عون المعبود ٧٨/١٣، ٧٩.

(٩٣) يقول تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِيَن اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *إِ نَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ٩، ١٠). هذا ولقد ذكر ناصح الدين ابن الحنبلي هذا الحديث ضمن أقيسه النبي صلى الله عليه وسلم. ص ١٢٠.

(٩٤) رواه البخاري من حديث أبي هريرة –كتاب الأدب – باب قول النبي : (إنما الكرم قلب المؤمن)– ح (٥٩٦٣) – فتح الباري ٥٨٢/١٠.

(٩٥) رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وفي رواية أخرى لعلقمة بن وائل عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا تقولوا الكرم، ولكن قولوا: الحبلة يعني العنب» وفي رواية أخرى عنه قال: « لا تقولوا الكرم، ولكن قولوا : العنب والحبلة « صحيح مسلم بشرح النووي – باب كراهة تسمية العنب كرماً – ٤/١٥، ٥.

(٩٦) قال الأزهري: وسمي العنب كرماً لأنه ذلل لقاطفه وليس فيه سلّاء يعقر جانيه، ويحمل الأصل منه مثل ما تحمل النخلة فأكثر، وكل شئ كثر فقد كرم، ولكن كره الشرع إطلاق هذه اللفظة على العنب وشجره لأنهم إذا سمعوا اللفظة ربما تذكروا بها الخمر، وهيجت نفوسهم إليها فوقعوا فيها، أو قاربوا ذلك . وقال الخطابي ما ملخصه: إن المراد بالنهي تأكيد تحريم الخمر بمحو اسمها، ولأن في تبقية هذا الاسم تقريراً لما كانوا يتوهمون من تكرم شاربها، فنهى عن تسميتها كرماً. وحكى ابن بطال عن ابن الأنباري أنهم سموا العنب كرماً لأن الخمر المتخذة منه تحث على السخاء، وتأمر بمكارم الأخلاق حتى قال شاعر: * والخمر مشتقة المعنى من الكرم * فلذلك نهى عن تسمية العنب بالكرم حتى لا يسموا أصل الخمر باسم مأخوذ من الكرم، وجعل المؤمن الذي يتقي شربها، ويرى الكرم في تركها أحق بهذا الاسم. صحيح مسلم بشرح النووي ٤/١٥ ، ٥.

(٩٧) كما في وراية مسلم السابقة، والحبلة بفتح الحاء والباء، وإسكان الباء، والفتح أشهر: شجرة العنب، وقيل : أصل الشجرة، وقيل القضيب، وقيل: الأصل من أصوله فتح الباري ٥٨٣/١٠، ٥٨٤.

يقاربها، وتحويل الفكر إلى كل ما يذكر بالطاعة ويحض عليها. ويبدو ذلك واضحاً من إرادته ﷺ أن يصرف أذهانهم وأفكارهم عن كل ما يتصل بالخمر من قريب أو بعيد[٩٨] وتحويل أفكارهم إلى ما يقرب من الطاعة بربطه هذا الاسم بصفة من صفات المسلم أو قلبه المؤمن، وهي من الصفات التي يحبها الله. **الثاني**: ربط المسلم بالقرآن الكريم، فوصف المسلم بـ «**الكرم**» جاء في القرآن حيث يقول تعالى:﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣].

وفي هذا تحويل للمسلم إلى الوجهة السليمة مع إضافة معانٍ جديدةٍ تتصل بالمسلم، وما يجب أن يكون عليه من تقوى الله عز وجل . وهذا التصويب النبوي فيه معجزة ظاهرة، فكما كانت العرب قديماً تسمي الخمر بغير اسمها فلقد نبتت نابتة اليوم تسلك نفس السبيل[٩٩]

ومن أسرار جمال هذا الحديث وصف المسلم، ووصف قلبه المؤمن بـ « **الكرم** » فالنبي ﷺ لما بين لهم أن الخمر أم الخبائث والرجس الذي هو من عمل الشيطان صوب رأي من رأى استحقاق هذا بقلب المؤمن الطاهر عن أوضار الرجس والآثام، وأنه معدن مكارم الأخلاق، ومنبعها، ومركز التقوى، وأحرى أن يسمى كرماً، **قَالَ** تَعَالَىٰ:﴿... فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وقال: ﴿... أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ...﴾[١٠٠] كأنه ﷺ نبه المسلمين على التحلي بالتقوى، والتزين بها، وأنها رأس مكارم الأخلاق لا ما ذهب إليه الجاهلية . فسمي «**قلب**» المؤمن كرماً لما فيه من الإيمان، والهدى والنور، والتقوى، والصفات المستحقة لهذا الاسم، وكذلك الرجل المسلم[١٠١]. وللإمام أبي محمد بن أبي جمرة تحليل دقيق حول الوصف في هذا الحديث وملخصه « لما كان اشتقاق الكرْم من الكرَم، والأرض الكريمة هي أحسن الأرض فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة إلا عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء ؛لأن المؤمن خير من الحيوان، وخير ما فيه قلبه لأنه إذا صلح صلح الجسد كله، وهو أرض لنبات شجرة الإيمان، قال : ويؤخذ منه أن كل خير — باللفظ أو المعنى أو بهما أو مشتقاً منه أو مسمى به — إنما يضاف بالحقيقة الشرعية لأن الإيمان وأهله وإن أضيف إلى ماعدا ذلك فهو بطريق المجاز، وفي تشبيه الكرم بقلب المؤمن معنى لطيف، لأن أوصاف الشيطان تجري مع الكرمة كما يجري الشيطان في بني آدم مجرى الدم، فإذا غفل المؤمن عن شيطانه أوقعه في المخالفة، كما أن من غفل عن عصير كرمة تخمر فتنجس، ويقوي التشبيه أيضاً أن الخمر يعود خلاً من ساعته بنفسه أو بالتخليل فيعود طاهراً. وكذا المؤمن يعود من ساعته بالتوبة النصوح طاهراً من خبث الذنوب المتقدمة التي كان متنجساً باتصافه بها إما بباعث من غيره من موعظة ونحوها وهو كالتخليل، أو بباعث من نفسه وهو كالتخلل. فينبغي للعاقل أن يتعرض لمعالجة قلبه لئلا يهلك وهو على الصفة المذمومة[١٠٢]. وفي « الكرمة »

(٩٨) فالإسلام كما حرم الانتفاع بالخمر بكل الوسائل المباشرة وغير المباشرة نهى عن ما يدعو إلى تذكرها من الألفاظ ليسد منافذ الحرام، فلقد نهى الشرع عن تخليل الخمر، أو التداوي بها، أو بيعها، أو إهدائها بعد تحريم شربها، فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر يتخذ خلاً ؟ فقال: « لا « رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه. وعن وائل بن حجر أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه عنها فقال: « إنما أصنعها للدواء. قال : إنه ليس بدواء ولكنه داء « رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه. نيل الأوطار ٤٩/٩، ٦٩، ٨٧ للشوكاني— ط دار الفكر — بيروت — (١٤١٩) هـ (١٩٩٨) م.

(٩٩) ولقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الفئة من الناس في أكثر من حديث فقال: (ليشربن أناس من أمتي الخمر، ويسمونها بغير أسمها) رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي مالك الأشعري، وقال (لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه) رواه أحمد وابن ماجة من حديث عبادة بن الصامت، وقال ابن ماجة (تشرب) مكان (تستحل) وقال صلى الله عليه وسلم : (لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب طائفة من أمتي الخمر، ويسمونها بغير اسمها) رواه ابن ماجة من حديث أبي أمامة، وهذه الأحاديث منها ما سنده جيد ، ومنها ما سنده صحيح، وهي أحاديث يقوي بعضها بعضاً كما قال الشوكاني، ويراجع تخريج هذه الأحاديث في نيل الأوطار ٦١/٩، ٦٣ قلت : ذكر ابن القيم في إغاثة اللهفان أنهم كانوا يسمونها في زمنه (أم الأفراح) وفي عصرنا يسمونها (مشروبات روحية) ونحو ذلك فليتأمل المسلم!

(١٠٠) من الآية (١٣) من سورة الحجرات.

(١٠١) صحيح مسلم بشرح النووي ٤،٥/١٥، وشرح الطيبي على المشكاة ٨٣/٩، وفتح الباري ٥٨٣/١٠.

(١٠٢) بهجة النفوس ١٨٠ /٤ لابن أبي جمرة — ط مطبعة الصدق (١٣٤٨) هـ ، وفتح الباري ٥٨٣/١٠ هذا والوصف بـ « الكرم « قد جاء في أحاديث أخرى تبين ما لهذه الصفة من مكانة ومنزلة لأجلها استحق قلب المؤمن أن يوصف بها ففي الحديث: « قيل : من أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: مجالس الذكر في المسجد» رواه أحمد، وحديث : « سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم» رواه أحمد، وحديث : « إن الله كريم يحب الكرم» رواه الترمذي، وحديث: « كرم الرجل دينه « رواه أحمد، وغير ذلك من الأحاديث، ويراجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في مادة «كرم « أ . ونسنك ٣-١/٦ مطبعة بريل — ليدن — ١٩٦٧م.

شبه من المؤمن لأنها لينة ، قريبة الجنى ، حلوة المذاق ، وتغني عن الطعام لأكلها ، وتغني عن الماء لمن استعملها « كما قال ابن أبي جمرة في الموضع السابق .

وكما جاء تصحيح الاسم والوصف من النبي ﷺ في هذا الحديث بتحويل الوصف بـ «**الكرم**» إلى الرجل المسلم، أو قلبه المؤمن **جاء وصف آخر في مقام النهي عن وصف النفس** بـ «**الخبث**» فقال ﷺ:«**لا يقولن أحدكم خبثت نفسي،ولكن ليقل لقست نفسي**»(١٠٣).

فلفظاً «**الخبث واللقس**» وإن كان المعنى المراد يتأدى بكل منهما إلا أن لفظ «**الخبث**» قبيح، ويجمع أموراً زائدة، فالخبث يطلق على الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح في الفعال، وعلى الحرام، والصفات المذمومة القولية والفعلية(١٠٤) فكره لفظ «**الخبث**» لبشاعة الاسم، وعلمهم الأدب في الألفاظ، واستعمال حسنها، وهجران خبيثها(١٠٥) أما «**اللقس**» فمعناه غثت وضاقت، ويختص بامتلاء الأمعاء(١٠٦) .

وهكذا يصحح النبي ﷺ تصورات المسلمين وأفكارهم، وما ينبغي أن يوصف به المؤمن حتى ولو كان في جانب الذم، فلا ينبغي أن يصف نفسه أو يصفه غيره بما تناهى قبحه ؛ لأن المؤمن لا يخلو من خير ، فيجب أن يظهر جانب الخير فيه وينمى .

* * *

الفصل الثالث:
خصائص الوصف في البيان النبوي

بعد هذه الرحلة الممتعة في رياض البيان النبوي أنتقل إلى الحديث عن أبرز خصائص الوصف في حديث نبياً ﷺ من خلال ما سبق بحثه، وهذه الخصائص تشمل أحاديثاً أخرى، وهي الأحاديث التي سأشير إليها وإلى مواضعها في نهاية هذا الفصل. ولولا خشية الإطالة لتناولتها بالبحث والتحليل البلاغي الذي يكشف عن أسرار جمال الوصف فيها، ولعل هذا العمل يكون فاتحة خير لي ولغيري.

ومن أبرز خصائص الوصف في البيان النبوي:

١- الاقتباس من القرآن، وتفصيل ما أجمله القرآن. ولقد اتضح لنا من خلال الأحاديث التي سبق تحليلها كيف أن البيان النبوي يفسر ما أجمله القرآن معتمداً على الوصف البليغ. كما في حديث « **وصف النخلة وتمثيلها بالمسلم** » وجدنا الوصف النبوي تفصيل لمعنى الإيمان والإخلاص في الآية السابقة.

٢- الوصف النبوي وصف يقلب السمع بصراً، والمعقول محسوساً، ويصور الأمور المعنوية في صورة حسية. وذلك كما في حديث « **وصف النخلة وتمثيلها بالمسلم** »فقد رأينا كيف جسد أخلاقيات المسلم من خلال وصف النخلة.

٣- الوصف النبوي، وصف جامع، وكاشف، وموجز. وهذه الخصيصة من أبرز خصائص الوصف، وقد مضى أمثلة كثيرة لها ومنها حديث: « **وصف النخلة، وتمثيلها بالمسلم**»، فلقد اتضح لنا كيف جمع صفات المسلم، وكشف عن حقيقته من خلال ذكر وصف من أوصاف النخلة، وترك الباقي ليربط المسلم بين صفاته وصفات النخلة، وقد سبق في بداية البحث عند تعريف الوصف عند البلاغيين أن أحسن الوصف ما جاء بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه ويمثله للحس بنعته، ومن أمثلة هذه الخصيصة أيضاً حديث « **وصف الخوارج** » الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ... كيف أتى على أوصافهم في إيجاز دقيق جامع كاشف لا يغادر صفة من صفاتهم.

٤ - الوصف النبوي وصف مفتوح مع الزمان. فالبيان النبوي لكل العصور، ولكل الناس في كل زمان ومكان، وهذه الخصيصة موجودة في كثير من الأحاديث، وأبرزها الأحاديث التي تتعرض للفتن التي تكون بين يدي الساعة كما في حديث « **وصف الخوارج** » الذي سبقت الإشارة إليه في الخصيصة السابقة.

٥- تلاحم الوصف النبوي مع الغرض المقصود.

(١٠٣) رواه البخاري من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه –كتاب الأدب – باب لا يقل: خبثت نفسي – ح (٥٩٦٠) – فتح الباري ٥٧٩/١٠ ، وأخرجه مسلم من حديث عائشة – باب كراهة قول الإنسان خبثت نفسي – صحيح مسلم بشرح النووي ٨/١٥.

(١٠٤) عون المعبود ٢٢١/١٣

(١٠٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/١٥

(١٠٦) فتح الباري ٥٨٠/١٠

وهذه خصيصة بارزة في كل مواضع الوصف، وأذكر منها حديث: «**وصف حال أهل الجنة ونعيمهم**» فالنور في ظاهرهم، وباطنهم، وفيما حولهم ... والضياء والصفاء واللمعان والنقاء شعارهم وحالهم، وهذا هو الغرض الذي يرمي إليه الحديث، ولقد جاء الوصف بلوحاته الرائعة ليرسم لنا صورة عن حال هؤلاء تتناسب وتتلاحم مع الغرض السابق.

٦- الوصف النبوي يعتمد التشبيه، والاستعارة، والكناية. والأمثلة على ذلك كثيرة، فالوصف وسيلة من وسائل التصوير، إلا أن التشبيه مجاز، والوصف راجع إلى حقيقة الشئ وذاته . ومثال هذه الخصيصة حديث: « **وصف الخوارج**».

٧- ومن خصائص الوصف في البيان النبوي: **واقعيته وانسجامه مع البيئة.** كما في حديث: « **وصف النخلة**» فإن المعاني التي يشتمل عليها الوصف وصوره المستخدمة من البيئة التي يعيش فيها الناس، وهذا مما يقرب الوصف، ويوضحه، ويمثله للعيان،ويربط بين المعنى المقصود والواقع الذي يعيش فيه الناس، وذلك من خلال الربط بين الوصف والمعنى المقصود. وبعد هذا العرض الموجز لأبرز خصائص الوصف في البيان النبوي —كما ظهرت لي — من خلال التطبيق على الأحاديث التي سبق ذكرها أنتقل إلى الإشارة إلى بعض مواضع أحاديث الوصف التي جاءت في الصحيحين مرتبة على حسب الكتب والأبواب فيهما؛ وذلك لتكتمل معالم البحث، وليرجع إليها من أراد التوسع في معرفة أسرار هذا الفن من فنون البيان النبوي.

من أحاديث الوصف في صحيح البخاري

١- وصف حال المؤمنين والنصارى واليهود في العمل والتمسك بالدين — كتاب مواقيت الصلاة — باب من أدرك ركعة العصر قبل الغروب — ح (٥٤٤ ، ٥٤٥) —٢/٤٦.

٢- وصف المنافق وآياته — كتاب الإيمان — باب علامات المنافق —ح(٣٣) —١/١١١.

٣- وصف جزاء مانع الزكاة —كتاب وجوب الزكاة — باب إثم مانع الزكاة - ح (١٣٧٠) —٣/٣١٤.

٤- وصف حركة الشيطان في جسد ابن آدم — أبواب الاعتكاف — باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟ — باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه ؟ ح (١٩٨٧) — ٤/٣٣١

٥- وصف نار جهنم وحرها — كتاب بدء الخلق — باب صفة النار وأنها مخلوقة ح (٣١٤٩) —٦/٣٨٠.

٦- وصف الواعظ المنافق وعذابه — كتاب بدء الخلق — باب صفة النار وأنها مخلوقة - ح (٣١٥٨) —٦/٣٨١.

٧- وصف الرجاء مع الخوف —كتاب الرقاق — باب الرجاء مع الخوف - ح (٦٢٤٣) —١١/٣٠٧.

من أحاديث الوصف في صحيح مسلم

١- وصف حال آخر أهل النار خروجاً منها — باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار - ٣/٢٩.

٢- وصف من يخرجون من النار — باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار - ٣/٥١.

٣- وصف وسوسة الشيطان في الصلاة — باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه — ٤/٩٢،٩

٤- وصف صلاة المنافق — باب استحباب التبكير بالعصر - ٥/١٢٣.

٥- وصف أرواح الشهداء ومكانها — باب في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ١٣/٣١.

٦- وصف الحوض — باب إثبات حوض نبينا ﷺ —١٥/٥٣- ٦٣.

٧- وصف حركة الشيطان في جسم ابن آدم — باب دفع ظن السوء — باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول : هذه فلانة ليدفع ظن السوء به — ١٤/١٥٥- ١٥٧

٨- وصف من يأتي بعد القرون الفاضلة — باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - ١٦/٨٥.

٩- وصف شجرة في الجنة —كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - ١٧/١٦٧.

١٠- وصف خيمة المؤمن في الجنة —كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - ١٧/١٧٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفي ﷺ

وبعد ،

فلقد اتضح من خلال البحث النتائج التالية :

١- من خلال الفصل الأول ومباحثه اتضح معنى الوصف عند اللغويين، والبلاغيين، والنحويين، والعلاقة بين الوصف والتصوير، وعلاقة الوصف بالخيال، وتنوع الوصف في البيان النبوي.

٢- واتضح لنا من خلال الفصل الثاني - وهو الجانب التطبيقي من البحث على بعض أحاديث الوصف في الصحيحين- أهمية الاتجاه الأدبي في التحليل البلاغي للبيان النبوي، وقد جمعت في الجانب التطبيقي بين الاتجاهين: الأدبي والعلمي مع ظهور الاتجاه الأول لأهميته في هذا الميدان للأسباب التي سبق ذكرها ، واتضح لنا كذلك من خلال الجانب التطبيقي ارتباط البيان النبوي بمنبعه الأصيل وهو البيان القرآني، وذلك من خلال الربط بين أحاديث الوصف، والآيات القرآنية المتفقة معها في الموضوع.

٣- وفي الفصل الثالث تبين لنا خصائص الوصف في البيان النبوي، وهذه الخصائص لاحظتها من خلال الجانب التطبيقي من البحث،وبعد ذلك جاءت الإشارة إلى بعض أحاديث الوصف الأخرى في الصحيحين، مرتبة حسب الكتب والأبواب في الصحيحين حتى يسهل الرجوع إليها لمن أراد التوسع في معرفة أسرار هذا الفن من فنون البيان النبوي.

والله أسأل أن يتقبل منا صالح العمل ، وأن يجنبنا الزلل ، وألا يحرمني أجره، وأن يعلمني ما ينفعني، وينفعني بما علمني إنه سميع قريب مجيب.وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم
٢. (إبراهيم) محمد إسماعيل . معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ط دار الفكر العربي – ط ثالثة – (١٣٨٨) هـ (١٩٦٨) م .
٣. (ابن الأثير) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت (٦٠٦)هـ . النهاية في غريب الحديث والأثر – ط دار إحياء التراث العربي – (١٣٨٣)هـ (١٩٦٣)م – تحقيق الأستاذ/ الطاهر أحمد الزاوي، والدكتور/ محمود الطناحي .
٤. (ابن الأثير) ضياء الدين أبو الفتح محمد بن محمد الجزري ت (٦٣٧)هـ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر– ط بولاق – (١٢٨٢) هـ، وكفاية الطالب فة نقد كلام الشاعر والكاتب – تحقيق الأستاذ الدكتور/ نوري القيسي ، والأستاذ الدكتور/حاتم الضامن– منشورات جامعة الموصل .
٥. (ابن الأثير الحلبي) نجم الدين أحمد بن إسماعيل ت (٧٣٧)هـ . جوهر الكنز – تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة – ط منشأة المعارف بالإسكندرية – تحقيق الأستاذ الدكتور / محمد زغلول سلام .
٦. (الألباني) محمد ناصر الدين . سلسلة الأحاديث الصحيحة – ط مكتبة المعارف – الرياض – ط أولى – (١٤١٦)هـ (١٩٩٦)م ، وصحيح سنن أبي داود – ط مكتبة المعارف – الرياض – ط أولى – ١٤١٩هـ (١٩٩٨)م .
٧. (البخاري) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت (٢٥٦) هـ . صحيح ط الرياض – ط أولى– (١٤٢١)هـ (٢٠٠١)م .
٨. (بدوي) أحمد . أسس النقد الأدبي – ط نهضة مصر – (١٩٩٦)م.
٩. (أبوالبقاء الكفوي) أيوب بن موسى الحسيني ت (١٠٩٤)هـ . الكليات ط مؤسسة الرسالة – ط أولى (١٤١٢) هـ (١٩٩٢) م.
١٠. (البيومي) محمد رجب . البيان النبوي– ط دار الوفاء – ط ثانية – (١٤٢٣)هـ (٢٠٠٢)م.
١١. (التبريزي) محمد بن عبد الله الخطيب ت:٧٤٠هـ . مشكاة المصابيح ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى (١٤٢٢)هـ (٢٠٠١) م.
١٢. (الترمذي) أبو عيسى محمد بن سورة ت (٢٧٩) هـ

. جامع الترمذي ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى (١٤١٠)هـ (١٩٩٠) م.
١٣. (التفتازاني) سعد الدين ت (٧٩١) هـ . المختصر– ضمن شروح التلخيص – ط دار السرور – بيروت – بدون تاريخ.
١٤. (الثعالبي) أبو منصور بن عبد الملك ت:٤٢٩هـ فقه اللغة وسر العربية ط دار الكتب العلمية – بيروت.
١٥. (الجاحظ) أبو عثمان عمرو بن بحر ت:٢٥٥هـ . البيان والتبيين تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون – ط دار الجيل – (١٤١٠) هـ (١٩٩٠) م.
١٦. (الجرجاني) عبد القاهر ت (٤٧١) هـ . أسرار البلاغة تحقيق العلامة/ محمد رشيد رضا – ط دار الكتب العلمية – ط أولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
١٧. (الجرجاني) علي بن محمد ت (٨١٦) هـ . التعريفات تحقيق الأستاذ / إبراهيم الإبياري – ط الريان – بدون تاريخ.
١٨. (ابن جعفر) أبو الفرج قدامة ت:٣٣٧هـ
١٩. نقد الشعر تحقيق الأستاذ الدكتور/ عبد المنعم خفاجي – ط أولى (١٣٩٨) هـ (١٩٧٨) م.
٢٠. (ابن أبي جمرة) أبو محمد عبد الله الأندلسي ت (٦٩٩)هـ . بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري المسمى جمع النهاية في بدء الخير والغاية ط مطبعة الصدق (١٣٤٨) هـ ، وط مجلة الأزهر (١٤٢٣)هـ
٢١. (حسين) محمد الخضر . الخيال في الشعر العربي– ط تونس – ط ثانية(١٣٩٢)هـ .
٢٢. (ابن الحنبلي) ناصح الدين عبد الرحمن الأنصاري المعروف ت (٦٣٤) هـ . أقيسة النبي المصطفي محمد ﷺ تحقيق الأستاذ/ أحمد حسن جابر، والأستاذ/ علي أحمد الخطيب – ط المكتبة العصرية – بيروت – (١٤١٥)هـ (١٩٩٤) م.
٢٣. (أبو حيان الأندلسي) محمد بن يوسف ت (٧٥٤) هـ . البحر المحيط تحقيق الأستاذ/ صدقي محمد جميل – ط دار الفكر – بيروت – (١٤١٢) هـ (١٩٩٢) م.
٢٤. (الخطيب القزويني) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ت (٧٣٩) هـ . الإيضاح لتلخيص المفتاح تحقيق الأستاذ/ عبد المتعال الصعيدي – ط مكتبة الاداب – (١٤١٧)هـ (١٩٩٧) م.
٢٥. (الخن) مصطفي وآخرين . نزهة المتقين في شرح رياض الصالحين ط مؤسسة الرسالة – ط الثالثة والعشرون – (١٤١٦) هـ (١٩٩٦) م.
٢٦. (الدسوقي) محمد بن أحمد بن عرفة المالكي ت (١٢٣٠) هـ . حاشية الدسوقي على مختصر سعد الدين التفتازاني ط دار السرور – بيروت.
٢٧. (الدينوري) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت(٢٧٦) هـ .أدب الكاتب تحقيق الشيخ/ محمد محيي الدين عبد الحميد – ط ثانية.
٢٨. (الراغب الأصفهاني) أبو القاسم الحسين بن محمد ت (٥٠٢) هـ . المفردات في غريب القرآن تحقيق الأستاذ/ محمد خليل عيتاني – ط دار المعرفة – بيروت – ط ثانية (١٤٢٠) (١٩٩٨) م.
٢٩. (الرافعي) مصطفي صادق . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ط مكتبة الإيمان – ط أولى – (١٤١٧)هـ (١٩٩٧) م.
٣٠. وحي القلم – ط دار الكتاب بيروت – بدون تاريخ.
٣١. (الزركشي) بدر الدين محمد بن عبد الله ت (٧٩٤) هـ . البرهان في علوم القرآن تحقيق الأستاذ/ محمد أبي الفضل إبراهيم – ط المكتبة العصرية – بيروت.
٣٢. (الزمخشري) جار الله أبوالقاسم محمد بن عمر ت (٥٣٨) هـ . أساس البلاغة– ط مطبعة دار الكتب – ط ثانية – (١٩٧٢).
٣٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تحقيق الأستاذ / عبد الرزاق المهدي – ط دار إحياء التراث العربي – ط أولى – (١٤١٧) هـ (١٩٩٧) م.
٣٤. (الزير) محمد حسن . القصص في الحديث النبوي– ط مكتبة طيبة – الرياض – ط رابعة (١٤١٨) هـ (١٩٩٧) م.
٣٥. (الساعاتي) أحمد عبد الرحمن البنا . الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني – ط دار

إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٦. (السامرائي) مهدي صالح . تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية– ط المكتب الإسلامي.
٣٧. (السبكي) بهاء الدين ت (١٣١٧) هـ . عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ط دار السرور – بدون تاريخ .
٣٨. (السجستاني) سليمان الأشعث ت (٢٧٥) هـ . سنن أبي داود ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤١٥)هـ (١٩٩٥) م.
٣٩. (السكاكي) أبو يعقوب يوسف بن محمد ت (٦٢٦) هـ . مفتاح العلوم ط مصطفي البابي الحلبي – ط أولى .
٤٠. (السيوطي) جلال الدين ت (٩١١) هـ . تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي تحقيق الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم – ط – دار الكتاب العربي – (١٤١٧) هـ .
٤١. (الشريف الرضي) محمد بن حسين بن موسى ت (٤٠٦) هـ . تلخيص البيان في مجازات القرآن. تحقيق الأستاذ / محمد عبد الغني حسن – ط دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي – بدون تاريخ.
٤٢. المجازات النبوية تحقيق الأستاذ/ طه عبد الرؤوف سعد – ط مصطفي البابي الحلبي – ط الأخيرة (١٣٩١) هـ (١٩٧١) م.
٤٣. (شمس الحق) أبو الطيب محمد العظيم آبادي . عون المعبود شرح سنن أبي داود– ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤١٥) هـ (١٩٩٥) م.
٤٤. (الشهاب الخفاجي) شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي ت (١٠٦٩) هـ . حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للعلامة – ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٥. (الشهرستاني) محمد بن عبد الكريم ت (٥٤٨) هـ تحقيق الأستاذ / أحمد فهمي محمد ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤١٣) هـ (١٩٩٢) م .
٤٦. (الشوكاني) محمد بن علي بن محمد ت:١٢٥٥هـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ط دار الفكر – بيروت – (١٤١٩) هـ (١٩٩٨) م.
٤٧. (الصباغ) محمد لطفي . التصوير الفني في الحديث الشريف– ط المكتب الإسلامي – ط أولى – ١٤٠٩هـ (١٩٨٨)م.
٤٨. الحديث النبوي مصطلحه ، بلاغته ، كتبه – ط المكتب الإسلامي – ط سادسة – (١٤١١) هـ (١٩٩٠) م.
٤٩. (الصنعاني) محمد بن إسماعيل الأمير ت:١١٨٢هـ . سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام تحقيق الشيخ / طارق عوض الله – ط دار العاصمة – الرياض – ط أولى – (١٤٢٢)هـ (٢٠٠١) م.
٥٠. (الطيبي) الحسين بن عبد الله ت (٧٤٣) هـ . شرح الطيبي على مشكاة المصابيح والمسمى الكاشف عن حقائق السنن ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى – (١٤٢٢) هـ (٢٠٠١) م.
٥١. (العباسي) عبد الرحيم بن أحمد ت (٩٦٣) هـ . معاهد التنصيص على شواهد التلخيص تحقيق الشيخ / محمد محيي الدين عبد الحميد – ط عالم الكتب – بيروت – (١٣٦٧) هـ (١٩٤٧) م.
٥٢. (عبد الباقي) محمد فؤاد . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ط دار الحديث – ط أولى ١٤٠٦هـ (١٩٧١) م.
٥٣. (العسقلاني) أحمد بن علي بن حجر ت:٨٥٢هـ . فتح الباري شرح صحيح البخاري ط الرياض – ط أولى – (١٤٢١)هـ (٢٠٠١) م.
٥٤. هدي الساري مقدمه فتح الباري– ط الرياض.
٥٥. (العسكري) أبوهلال الحسن بن عبد الله ت (٣٩٥)هـ . الصناعتين الكتابة والشعر تحقيق الأستاذ الدكتور/ مفيد قميحة – ط دار الكتب العلمية – ط ثانية – (١٤٠٩)هـ .
٥٦. (العقدة) فتحية فرج . من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف– ط مطبعة الأمانة ط أولى (١٤١٤) هـ (١٩٩٣) م.
٥٧. (العمادي) أبو السعود محمد ت (٩٥١) هـ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ط دار الفكر – بدون تاريخ.

٥٨. (الفيروزآبادي) مجد الدين محمد بن يعقوب ت (٨١٧) هـ . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تحقيق الشيخ / علي النجار – ط المكتبة العلمية – بدون تاريخ.
٥٩. (الفيومي) أحمد بن علي ت (٧٧٠) هـ . المصباح المنير ط مكتبة لبنان (١٩٨٧)هـ.
٦٠. (القاسمي) محمد جمال الدين . قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ت (١٣٣٢) هـ ط دار الكتب العلمية .
٦١. (القرطبي) أبو عبد الله بن أحمد ت (٦٧١) هـ الجامع لأحكام القرآن ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط خامسة – (١٤١٧) هـ .
٦٢. (القشيري) أبو الحسين مسلم بن الحجاج ت (٢٦١)هـ . صحيح مسلم ط دار إحياء التراث العربي.
٦٣. (قطب) سيد . التصوير الفني في القرآن – ط دار الشروق – ط الثانية عشرة – ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٦٤. (القيرواني) أبوعلي الحسن بن رشيق ت (٤٥٦)هـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق الشيخ / محمد محيي الدين عبد الحميد – ط دار الجيل – ط خامسة – (١٤٠١) هـ (١٩٨١) م.
٦٥. (ابن القيم) شمس الدين محمد بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية ت (٧٥١) هـ . الأمثال في القرآن تحقيق الأستاذ/ سعيد محمد نمر – ط دار المعرفة – بيروت.
٦٦. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان تحقيق دكتور / محمد عثمان الخشت – ط مكتبة القرآن.
٦٧. (ابن كثير)عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ت (٧٧٤)هـ . الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث تحقيق الشيخ / أحمد شاكر – ط مكتبة دار التراث – (١٤٢٣) هـ (٢٠٠٢) م.
٦٨. تفسير القرآن العظيم تحقيق الأستاذ / خالد محمد محرم – ط المكتبة العصرية – ط أولى (١٤١٦)هـ (١٩٩٦) م.
٦٩. (لاشين) عبد الفتاح . البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم– ط دار الفكر العربي – (١٤٢٠)هـ (٢٠٠٠) م .
٧٠. (المباركفوري) أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ت (١٣٥٣) هـ . تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى – (١٤١٠)هـ (١٩٩٠) م.
٧١. (مجمع اللغة العربية) المعجم الوسيط – ط الثانية – ط الشروق الدولية – ط الرابعة – (١٤٢٦) هـ (٢٠٠٥) م.
٧٢. (محمود) عبد المجيد . أمثال الحديث مع تقدمة في علوم الحديث– ط مكتبة التراث – ط أولى .
٧٣. (المديني) أبو موسى محمد بن أبي عيسى ت (٥٨١) هـ . المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث تحقيق الأستاذ / عبد الكريم الغرباوي – ط دار المدني – جدة – ط أولى (١٤٠٦)هـ (١٩٨٦) م.
٧٤. (المغربي) أبو يعقوب ت (١١١٠)هـ . مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ط دار السرور – بيروت – بدون تاريخ.
٧٥. (ابن منظور) جمال الدين محمد ت (٧١١) هـ . لسان العرب ط دار صادر – بيروت – ط ثالثة – (١٤١٤) هـ (١٩٩٤) م.
٧٦. (ابن ناقيا) أبوالقاسم عبد الله بن محمد البغدادي ت (٤٨٥) هـ . الجمان في تشبيهات القرآن تحقيق الكتور/ محمد الداية – ط دار الفكر ط أولى – (١٤٢٣) هـ .
٧٧. (النووي) يحيى بن شرف الدين . صحيح مسلم بشرح النووي ت (٦٧٦) هـ ط دار إحياء التراث العربي.
٧٨. (ونسنك) أ. ي. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي – مطبعة بريل – ط ليدن.
٧٩. (ابن يعيش) موفق الدين يعيش النحوي ت (٦٤٣) هـ . شرح المفصل ط عالم الكتب – بيروت – بدون تاريخ.

Rhetorical analystic Study for Descriptive Hadith Applied in the Tow Books of Hadith for El-Bukhari and Muslim

M.A.Al-Hmzawi

Faculty of Arts and Humanities - Jazan University

Abstract

This research is a rhetorical analystic study for descriptive Hadith applied in the tow books of Hadith for El-Bukhari and Muslim . It includes the definition of description according to linguists ، whetaricalists and grammarians . It shows the relation at description and imagination . It also shows the descriptive diversions in what Prophet Muhammed (peace be upan him) explained . The application also concerns some of descriptive sayings in the two books showing the secrets of beauty and accuracy of description with bringing up the characteristics of it through application and analyzing . At the end of the research we draw the reader's attention to these characteristic with explaining the places of other descriptive sayings in those books . I combined between the suentitic and literary dimentions in a rhetorical analystic way – 1concentrated on the last one (literary) because of it's effects on bringing out the secrets of beauty in the hadith and transforming it to the readers ،so the realer feel and sense that beautiness in the text far away from the rhetorical termonologies which are dilticult for non-spacialist .This research concerns the two books for EL-Bukhari and Muslim only that is because of their tame ، correctness and Intensity of descriptive sayings in one hand، and for summarizing the research in other hand .This choice for Al-Bukharis Muslim`s not means the other's are not correct or have no descriptive sayings .My system of application in the resarrch touows the same order of books and units in these books with introducing Al-Bukhari`s system because of his translating units which bewilder openions and ideas . In addition to it's accurly ، Islamic rules and better ardering . I also depend the order of the Hadith it is only found in mulslims .This system will make it easy for the reader to find the Hadith in it's book and unit .

Keywords: Rhetorical analystic - Hadith applied – El-Bukhari – Muslim – Literary.

E-mail: mohamed_elhamzawy2001@yahoo.com ISSN: 6050-1658

منهج الأمم السابقة في التعامل مع دعوة الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم (الأنواع والمقومات)

المثنى عبد الفتاح محمود
قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية - جامعة جازان

المُلخّص

تناول البحث قضية مهمة من قضايا القرآن المتصلة بقصصه الحكيم، وهذه القضية تتمثل في منهج الأمم السابقة في التعامل مع دعوة الأنبياء والمرسلين، ومقومات تلك المناهج التي مارسوها، ومن خلال هذه القضية الهامة التي تثير القارئ وتوقفه على حقائق القرآن الواضحة، وفائدة البحث هي استنباط منهج القرآن في التعامل مع الأمم، وكيف الطريق لطرح قاعدة فقه الأولويات وفقه الموازنات وفقه المرحلة، بما يكون عوناً على الوصول إلى منهج الإسلام المتميز بوسطيته وتسامحه، وقد خلص الباحث إلى أن الأمم السابقة قد سلكت ثلاثة مناهج في تعاملها مع دعوة الأنبياء والمرسلين، وهي المنهج البدائي، والمنهج الشوري، والمنهج الاستبدادي، وكان بيان هذا كله في المبحث الأول، أما المبحث الثاني فقد تناول الباحث فيه المقومات التي اعتمدتها الأمم السابقة في وقوفها في وجه الدعوة النبوية عموماً، وجاء في ستة مطالب وهي: المقومات العقدية والسياسية والاجتماعية والأمنية والمادية والأخلاقية، ثم كانت خاتمة البحث، وهو بحث يعطي استنارة في معرفة طرق التعامل مع من يقف في وجه الدعوة الإسلامية بمثل تلك المناهج، وهو يعطي الأولوية لحقائق التاريخ القرآني في تسديد الخطى، ورفع التهم والشبهات عن كل ما يحيق بالتاريخ الإسلامي للأنبياء والمرسلين، ويوقفنا كذلك على أخلاق الأنبياء الحقيقية التي تمثل موقف الأمة كما يريد خالقها سبحانه وتعالى، نسأله سبحانه أن يرزقنا الفهم والسداد، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الكلمات المفتاحية: التفسير، قصص القرآن، الأنبياء، الأمم السابقة، بيان القرآن.

مُقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، وبعد؛ فإن فكرة هذا البحث تتلخص في استثارة الآيات القرآنية واستنطاقها لمعرفة منهج الأمم السابقة في التعامل مع دعوة الأنبياء والمرسلين، وكيف عالج القرآن نظرة المسلم لتلك المناهج عند الأمم السابقة، وما هي أنواع مناهج تلك الأمم في التعامل مع دعوة الأنبياء والمرسلين، وكيف أبرز القرآن مقومات تلك الأمم في الوقوف في وجه الدعوة عموماً، وكيف طرح منظومة القيم الحضارية المرتبطة بنهضة الأمم السابقة وموقفه منها.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يُثري الأطروحة القرآنية حول الرأي السديد ممن يقف موقفاً يشابه تلك المناهج، وكيفية التعامل معه، من خلال الإفادة من تاريخ الأمم السابقة كما جاء في الطرح القرآني، بما يكون عوناً للمسلم المعاصر على فهم التجارب السابقة برؤية قرآنية وتوجيه قرآني، وما في ذلك من مساهمة في سبيل نشر الوعي بالقرآن على المستوى الفكري والدعوي، كل ذلك استجابة لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[النساء:٨٢]؛ ولذلك فإن الذي يعنينا أولاً وأخيراً؛ هو الوقوف على تلك المحطات القرآنية التي تشرح لنا الواقع الحقيقي لمسيرة الإنسان في طريق تحقيق مسيرته الحضارية، ضمن ما تسعى له المجتمعات البشرية على اختلاف أشكالها وألوانها وأديانها، والذي نؤمن به وندين لله به، أن القرآن لم يترك صغيرة ولا كبيرة فيما يخص نظرة المسلم تجاه الأمم الأخرى إلا وأجاب عنها فيما يخدم قضيته الاستخلافية التعبدية، التي كان لأجلها

البريد الإلكتروني : almuthnna100@yahoo.com
ردمد : ١٦٥٨-٦٠٥٠

الإنسان في هذه الحياة.

والذي نعنيه في هذا البحث من الأمم السابقة هو: الأمم التي تحدث عنها القرآن من غير الأمة المهدية، فهي تلك الأمم التي تصدت لدعوة الأنبياء والمرسلين، ونتج عن هذا التصدي البقاء على الكفر والشرك، كما هو بالنسبة لمعظم الأمم السابقة، أو الدخول في دين الله تعالى كما كان الحال مع ملكة سبأ وقومها، والذي دعاني لهذه الدراسة مجموعة من الأهداف؛ وهي:

أولاً: المعرفة الدقيقة لمنهج الأمم السابقة في التعامل مع دعوة الأنبياء والمرسلين.

ثانياً: معرفة أنواع مناهج تلك الأمم في التعامل مع الدعوات النبوية.

ثالثاً: الوقوف على مقومات الأمم السابقة التي تصدت من خلالها لدعوة الأنبياء والمرسلين.

رابعاً: معرفة أسباب إخفاق تلك الأمم في الاستجابة الصحيحة التي تقود للهدى والخير.

خامساً: إعادة النظر في مسيرة الأمة اليوم في الوصول إلى موقف واضح صحيح من خلال الاقتداء بدعوة الأنبياء والمرسلين.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة ومبحثين وتسعة مطالب وخاتمة، احتوى المبحث الأول على أنواع مناهج الأمم السابقة في موقفها من دعوة الأنبياء والمرسلين، مما أثمر ثلاثة مطالب تُمثِّلُ أنواع مناهج تلك الأمم، وهي المنهج البدائي والشوري والاستبدادي، بينما احتوى المبحث الثاني على مقومات تلك الأمم في التصدي لدعوة الأنبياء والمرسلين، مما أفرز ستة مطالب، وهي المقومات العقدية والسياسية والاجتماعية والأمنية والمادية والأخلاقية، ثم كانت خاتمة البحث، أسأله سبحانه أن يقينا الزلل، ويبعدنا عن الفتن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: أنواع مناهج الأمم السابقة في التعامل مع دعوة الأنبياء والمرسلين:

من خلال دراسة الآيات القرآنية المتحدثة عن الأمم السابقة، نجد أن لتلك الأمم مناهج متعددة في التعامل مع دعوة الأنبياء والمرسلين، فمن تلك المناهج المنهج البدائي، والمنهج الشوري، والمنهج الاستبدادي، وسأتحدث عنها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المنهج البدائي:

وهو المنهج المرتبط بالانتصار للآلهة المزعومة، بقطع النظر عن صحة الطرح الجديد من عدم ذلك، فهم يأبونه ويرفضونه لمجرد الرفض، وكان هذا الشكل واضحاً في قوم إبراهيم عليه السلام، ويبين هذا المنهج درجة البدائية وانعدام العلم والمعرفة بطرق الحوار والنقاش للوصول إلى الغاية المرجوة، وقد كان لهذا المنهج مجموعة من المعالم تتمثل في النقاط الآتية:

١- تقليد الآباء عن عماية في عبادة الأصنام وترك الاستدلال الصحيح (ابن عادل : ١٤١٨هـ)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:٥٣]، وقال: ﴿ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء:٧٤].

٢- العكوف على عبادة الأصنام دون بيانٍ لتلك العبادة أو تعليل[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٥١-٥٢]، وقال: ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [الشعراء:٧١].

٣- عدم القدرة على مناقشة حجج الخصم (ابن كثير : ١٤١٤هـ)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء:٦٤-٦٧].

٤- اللجوء إلى أسلوب التهديد بالقتل والتحريق

(١) وقد رأينا الجاهليين في زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد عللوا عبادة الأصنام - وإن كانوا كاذبين في دعواهم -، فقال تعالى: {.. وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ..} [الزمر:٣]، فالفرق واضح بين القومين، فقوم إبراهيم يعبدون لأجل التقليد لا غير، والجاهليون لأجل التقليد والتقرب إلى الله، وهي علة واضحة وسبب فكري بين، فيه مجال للأخذ والعطاء، وإن كانا في ذاتهما فاسدين باطلين لبطلان وسيلة التقرب إلى الله، والعبرة في ذلك هو أن الجاهليين ولجوا دائرة الحوار الفكري بخلاف قوم إبراهيم عليه السلام.

انتصاراً للآلهة بعد العجز عن الرد الفكري (ابن عادل: ١٤١٨هـ)، يقول تعالى على لسان والد إبراهيم: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم:٤٦]، وعلى لسان قومه: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:٦٨]، وقال: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات:٩٧].

يتبين لنا من هذه المعالم أن قوم إبراهيم كانوا على درجةٍ من البدائية والسطحية في التعامل مع المخالف، فهم لا يمتلكون الحجج للحوار والنقاش؛ ولأجل ذلك فإن القرآن لم يذكر لهم مقوماتٍ في التصدي لدعوة الأنبياء والمرسلين سوى هذا الأسلوب المادي القديم، وهو يدل على أن منهجهم في الانتصار لآلهتهم بدائي غير متطور، وفي قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ[٢] ﴾ [الشعراء:٧٦] دليل على ذلك، وفيه بيان لطول الزمان الذي عاش فيه هؤلاء، وبالتالي فإن إمكانية التغيير مع وجود هذه الطبيعة البدائية لهو من الصعوبة بمكان، وهذا ما يزيد إيماننا بأبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويزيد من تفهمنا لحقيقة تصدي قومه لدعوته، وما عاناه عيه السلام مع أولئك البدائيين في موقفهم من الدعوة الإسلامية.

المطلب الثاني: المنهج الشوري:

وهو ما وقفته بعض الأمم السابقة من دعوة الأنبياء والمرسلين، في اعتمادها قاعدة التشاور وتقبل الرأي الآخر كمنهج عام في التعايش، وقد كان لهذا الشكل الشوري عدة معالم نستطيع أن نلخصها في النقاط الآتية:

١- اعتماد قاعدة التشاور بين الحاكم والأمة التي يمثلها الملأ في معظم أمور الحياة.

٢- قام التشاور على هدف واضح وهو الوصول إلى نتيجة تؤدي إلى المصلحة العامة المبتغاة.

٣- الرجوع إلى أهل الخبرة والعلم فيما يخص الأمور المتشاور فيها، ويشهد لهذه النقاط الثلاث قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾[النمل:٣٢].

٤- إحقاق الحق ونصرة المظلوم وإنصافه.

٥- تحقيق التعايش السلمي بأمثل صوره، ويمثل هاتين النقطتين ما حصل ليوسف عليه السلام مع الملك، في نصرته وتعيينه على خزائن الدولة.

من خلال بيان القرآن نجد أنه قد تحدث عن صورتين أوجدهما الشكل الشوري، وهما صورة التعايش السلمي، وصورة الاستجابة لدعوة الحق والهدى:

الصورة الأولى: صورة التعايش السلمي: وخير مثال على ذلك قصة يوسف عليه السلام، فمع الاختلاف الديني؛ فإننا نجد أن هذا المجتمع الذي اعتمد الشورى شكلاً من أشكال الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، قد حقق أمثل صور التعايش السلمي، وترسخت فيه قواعد العدل، تمثل ذلك في:

١- إخراج يوسف عليه السلام من السجن إنصافاً له، وتقديراً لعلمه وأمانته.

٢- اعتماد التعبير الذي قدمه يوسف عليه السلام، باعتباره حلاً اقتصادياً يعم خيره الأمة.

٣- تعيين يوسف عليه السلام على مالية الدولة (الغزالي : ١٤٢٣هـ)؛ لتحقيق المقصد في إنقاذ الناس مما سيقعون فيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:٥٤-٥٦].

٤- تقبل الدولة الشورية مسلماً يحكم بما يوافق دينه؛ ولذلك فإن يوسف عليه السلام رفض أن يحكم على أخيه حكم الملك لاختلاف الدين، ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [يوسف:٧٦]؛ ولأن حكم الملك[٣] لا يحقق مقصوده من استبقاء أخيه عنده.

إذن تمثل هذه الصورة علاقة المسلم الضعيف بالحضارات القائمة على الشورى[٤]، بقطع النظر عن

(٢) فلم يقل مثلاً: الأسبقون، أو السابقون، مما يدل على أن القدم مقصود لذاته، فهم ضاربون في القدم على هذه العبادة.

(٣) كان حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم مثلي ما سرق، وهذا ما لا يريده يوسف عليه السلام، (النيسابوري : ١٤١٦هـ).

(٤) يقول محمد رشيد رضا: «كان يوسف – عليه السلام – يكتفي منه بما كان

نظرتها العقدية؛ فإن الذي يصب في مصلحة الأمة الإسلامية هو الارتقاء الحضاري من خلال الانتفاع بالآخر، حواراً وتعايشاً دون أن يخدش بالمسلمات الثابتة.

الصورة الثانية: صورة الدخول في دين الله: وخير مثال عليها قصة ملكة سبأ(٥)، ونجملها فيما يلي:

١- اعتماد قاعدة التشاور مع الملأ قبل إصدار القرار، ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ(٦) ﴾ [النمل:٣٢]، وهذا دليل الحرية في إبداء الآراء مع المستشارين.

٢- التفكير في الحل الأمثل الذي فيه خير الناس قبل استخدام القوة مع توافرها، ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل:٣٣]، وهذا دليل استقلالية اتخاذ القرار.

٣- اختبار القرار الذي سيصدر قبل إصداره لمعرفة مدى صحته من عدمها(٧)، ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل:٣٥]، وهذا دليل صدق الأداة.

٤- الرجوع إلى الحق والهدى بعد رؤية البينات والدلائل وعدم المكابرة، ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل:٤٤]، وهذا دليل صدق المقصد.

تمثل هذه الصورة علاقة المسلم القوي بالحضارات القائمة على الشورى والعدل، وكيفية إدخالها في دين الله تعالى؛ لتحقيق معاني الرحمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى من خلال التعامل بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، بما يصب في مصلحة البشرية عموماً.

المطلب الثالث: المنهج الاستبدادي:

وهو منهج معظم الأمم التي قامت على استبداد المخالفين لها بجميع المقومات التي تمتلكها انتصاراً للوجود والبقاء، وإلغاءً للمخالف، سواءٌ أكان على خير أم غير ذلك، والفرق بين هذا المنهج والمنهج البدائي أن المنهج الاستبدادي خطوة متقدمة على المنهج البدائي، فأصحاب المنهج البدائي يرفضون دون حوار أو نقاش، والرفض عندهم هو الأصل، أما أصحاب المنهج الاستبدادي فنجدهم يرفضون بعد حوار ونقاش، كما سنرى ذلك في كثير من الأمثلة القرآنية، وقد بين القرآن هذا الشكل على مدار الآيات المتحدثة عن صراع الأنبياء مع أقوامهم، وأستطيع أن ألخص معالم هذا المنهج في النقاط الآتية:

أولاً: الجدال بالباطل لإرغام الخصم على التسليم بالأمر الواقع، كما **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود:٨٧].

ثانياً: إلغاء الآخر وتهميش دوره في المجتمع الذي يعيش فيه، كما **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[الأعراف:٦٦].

ثالثاً: توجيه التهم والتحريض على أصحاب الدعوة الجديدة، كما **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٠٩-١١٠].

رابعاً: التهديد بالنفي والقتل كأسلوب أمني يحافظ على المستبدين مما يهدد بقاءهم، كما **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم:١٣]، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ

خير قدوة فيه كما علم من قصته في بيت وزير البلاد، وفي السجن، ثم في إدارته لأمور الملك، وكان يقرهم على سائر شريعتهم كما سيأتي في احتياله على أخذ أخيه الشقيق بمقتضى شريعتهم الإسرائيلية بقول الله تعالى: {ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك}»، (تفسير المنار:١٣٧٣هـ).

(٥) يقول البقاعي: «هذه القصة المؤسسة على العلم المشيد بالحكمة، المنبئة عن أن المدعوين فيها أطبقوا على الاستسلام للدخول في الإسلام، مع أبالة الملك ورئاسة العز، والقهر على يد غريب عنهم، بعيد منهم»، (البقاعي :١٤١٥هـ).

(٦) يقول ابن عاشور: «تؤذن بأن ذلك دأبها وعادتها معهم، فكانت عاقلة حكيمة مستشيرة، لا تخاطر بالاستبداد بمصالح قومها، ولا تعرض ملكها لمهاوي أخطاء المستبدين»، (ابن عاشور : ١٤٢٠هـ).

(٧) ولذلك فإنه ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نقل خبراً عن ملكة سبأ أنها قالت: «أُرسل إليه بهدية؛ فإن قبلها فهو ملك أقاتله، وإن ردها تابعته فهو نبي»، (السيوطي : ١٤١٣هـ).

أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف:١٢٧].

خامساً: اللجوء إلى القتل إن أخفق الجدال والاتهام والتهميش والتهديد، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف:١٤١].

سادساً: ادعاء الألوهية والربوبية وكسر المعتقدات السائدة لقطع السبيل أمام المخالفين، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص:٣٨]، ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[النازعات:٢٤].

هذا وقد بين القرآن مقومات المنهج الاستبدادي من خلال مجموعة من الأقوام، وعلى رأسها فرعون، ثم يليه عاد فثمود، ثم قوم نوح، وسنقف في المبحث الثاني مع أهم مقومات الأمم السابقة، التي سيكون فيها بيان واضح للشكل الاستبدادي.

وفي هذا المبحث وجدنا أن القرآن بين ثلاثة مواقف للأمم السابقة، وهي المنهج البدائي والشوري والاستبدادي، وكيف أن المنهج البدائي لم يقم على مقومات فكرية أو سياسية أو اقتصادية، وإنما قام على مقومات مادية، اعتمد أسلوب القتل والتعذيب في الانتصار للآلهة.

وكيف أن الشكل الشوري قام على مجموعة من المقومات الفكرية والحوارية والسياسية بل المادية، وكيف أن الشورى قادت إلى الطريق الصحيح السليم في غالب الأحيان، وتعرفنا إلى الشكل الاستبدادي بشكل مجمل وسنتزيد من معرفته في المبحث الثاني.

والاطلاع على هذه المناهج يزيدنا رسوخاً بأن منهج القرآن الفريد في التعامل مع الأمم الأخرى يجب أن يكون تحت قاعدة ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ﴾، وأن الأمم مختلفة في مشاربها وأصولها، فليس المخالف مرفوضاً لأنه مخالف فحسب، وإنما المرفوض هو المعتدي كما تمثل ذلك في المنهجين البدائي والاستبدادي، أما من خالفنا دون اعتداء فذلك له منهج آخر في التعامل الحضاري.

* * *

المبحث الثاني:
مقومات الأمم السابقة:

المقصود بمقومات الأمم السابقة مقومات الوجود والبقاء، وهي المقومات التي أوجدت تلك الأمم وأعانتها على الاستمرار فيما كانت عليه، وهي ذاتها المقومات التي ساعدت تلك الأمم في التصدي لدعوة الأنبياء والمرسلين، وبالتالي تكشف لنا هذه المقومات الأسباب الحقيقية والعلل الجوهرية وراء وقوف الأمم السابقة – وعلى رأسها الأمم الاستبدادية – من الدعوة النبوية فيما بَيَّن القرآن، وسيكون حديثي عن تلك المقومات التي أفاض القرآن في بيانها، وتأتي في ستة مطالب، وهي المقومات العقدية، والسياسية، والأمنية، والاجتماعية، والمادية، والأخلاقية، وهي كما يلي:

المطلب الأول: المقومات العقدية:

لكل أمة من الأمم السابقة عقيدة تعتمد عليها في التصدي للعقائد الأخرى، وهنا تكون العقيدة قد أخذت شكلاً من أشكال التلاعب المؤيد للقلة المستبدة، فالعقيدة تابعة لا متبوعة، ومن هذه الزاوية انطلق القرآن في بيان زيف عقائد الأمم السابقة وتفاهتها عند أصحابها، وتتمثل المقومات العقدية لدى الأمم السابقة في النقاط الآتية:

أولاً: إثبات قوة الآلهة، وذلك كي يكون لها وجود عملي ومُقنع لمن يعبدها من الناس، فاتهمت عادٌ نبيَّ الله هوداً بأن الجنون وفساد العقل قد أصابه بسبب شتمه الآلهة (الرازي : ١٤٢١هـ): ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[هود:٥٤].

ثانياً: إثبات القداسة لما كان عليه الآباء. إبطالاً للعقيدة الأخرى بإظهار تمسكهم الزائف بعبادة معبودات آبائهم؛ كما جاء على لسان عاد: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف:٧٠]، وكما جاء على لسان ثمود: ﴿ قَالُوا۟

يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ[٨] أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود:٦٢]، وكما جاء على لسان عموم الأقوام الذين تصدوا للدعوة: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم:١٠]، وفي ذلك من التحدي والعناد على عبادة آلهة الآباء، ليكون لهم قدم كذب وثبات في مواجهة العقيدة الجديدة.

ثالثاً: فصل العقيدة عن شؤون الحياة الأخرى، فالعقيدة لا تؤثر على الأمم السابقة ما دامت بعيدة عن المصالح الخاصة للقلة الحاكمة، وهذا واضح تمام الوضوح في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود:٨٧]، وفي هذا الخطاب من السخرية والاستهزاء ما يدل على عظيم استهجانهم دعوة شعيب عليه السلام[٩]، فكيف يدعوهم لصلاةٍ تنهاهم عن عبادة آلهة الآباء؟ وتأمرهم بتنظيم جديد للنظام المالي الفاسد؟ هذا ما تأباه مصالح القوم الخاصة، فوجب فصل الصلاة عن الحياة.

رابعاً: ادعاء الألوهية والربوبية إن لزم الأمر في مواجهة أي عقيدة تؤثر على الوجود، كما كان من فرعون عندما بلغ مرحلة متقدمة من استخفاف قومه في ادعائه ما ادعى[١٠]: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص:٣٨]، ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[النازعات:٢٤].

ومما يبرهن على أن العقيدة في نظر تلك الأمم لا تخرج عن كونها قاعدة وجود واستقرار سياسي، تستخدم للمراوغة وإفحام الخصم، أنه عندما كان يصيب تلك الأقوام رجزٌ يُظهرون قناعاتهم الحقيقية في عقيدتهم الفاسدة، كما كان الحال مع قوم فرعون: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾[الأعراف:١٣٤-١٣٥]، وهذا ما حصل مع فرعون نفسه عند موته: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٩٠]، وهو ما يؤكد أن المقومات العقدية عند الأمم السابقة هي مقومات وجود وبقاء لا مقومات اعتقاد.

المطلب الثاني:
المقومات السياسية:

المقصود بالمقومات السياسية هي تلك المقومات التي تستخدمها الأقلية المستبدة الحاكمة في تحقيق أمنها ووجودها، وإسكات الجماهير العامة، ومحاولة إقناعهم بأي وسيلة تحقق مصلحة تلك الفئة، وقد بين القرآن ذلك بتوجيه الأنظار نحو حقيقة تغفل عنها العامة أو تتغافلها، وهي أن الأقلية الحاكمة التي أطلق القرآن عليها مصطلح «الملأ»، تحاول جاهدة إخفاء الحقائق تزويراً وتكذيباً وتهميشاً، على أنها ضعيفة في الوقت نفسه على مواجهة الحق إن أراد الناس ذلك، فهي من حيث إنها قوية في المراوغة ضعيفة في المواجهة، وما دامت المراوغة مرتفعاً صوتها؛ فإن المواجهة فاترةٌ بفتور نار استسلام

(٨) يعني: كنا نرجو أن ترجع إلى ديننا قبل أن تدعونا إلى دين غير دين آبائنا، (السمرقندي : بدون تاريخ)، وقد كان استنكار ثمود لأمرين اثنين: الأول: نهي صالح عليه السلام عبادة ما عليه الآباء، الثاني: شكهم في أصل دعوته، وهاتان ذريعتان للتخلص من الدعوة، وذلك بإظهار القداسة للآلهة التي عليها الآباء، والتشكيك في الدعوة، وبهما كان الرفض مبرراً أمام الناس؛ لأنهم يريدون أن يكون الخطاب مُقنعاً للناس من حيث مبررات الرفض.

(٩) يقول أبو السعود: «قالوا بطريق الاستهزاء: أصلاتك التي هي من نتائج الوسوسة وأفاعيل المجانين، تأمرك بأن نترك عبادة الأوثان التي توارثناها أباً عن جد»، (أبو السعود : ١٣٢٧هـ).

(١٠) وهذا يدل على أن ملأ فرعون عندما استنكروا على موسى عليه السلام دعوته فإنهم أثاروا فرعون بقولهم: {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} [الأعراف:١٢٧]، وقد ذهب المفسرون مذاهب متعددة في توجيه معنى الآلهة، فقالوا: ويذرك وعبادتك، ومنهم من ذهب إلى أن المقصود من الآية ظاهرها، وهو أنه كان لفرعون آلهة يعبدها، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن (الطبري : ١٤٢٠هـ)، والأصل أن نأخذ بظاهر الآية، ما لم يرد ما يمنع من حملها على ظاهرها، وأما توجيهها مع الآيات التي يدعي فيها فرعون أنه إله؛ فهي تدل على تناقضه واضطرابه في دعواه، وتدل كذلك على أن العقيدة تابعة لا متبوعة عنده وعند قومه.

أصحابها، هذا ما أراد القرآن بيانه من خلال محاورات الأنبياء مع أقوامهم عموماً، وما كان لكليم الله موسى عليه السلام مع فرعون وملئه خصوصاً، ونستطيع فهم هذه المقومات من خلال ما يلي:

١- توجيه التهم لتشويه صورة الأنبياء والمصلحين: فمن ذلك ما جاء على لسان قوم نوح: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف:٦٠]، ونجد المنهج نفسه مع عاد: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [الأعراف:٦٦]، وهو ما صدر عن فرعون في خطابه لموسى عليه السلام: ﴿ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء:١٠١].

٢- تحريض الحاكم على القتل والإبادة، وهذا ما كان من فرعون عندما استجاب لملئه: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف:١٢٧].

٣- تأثير الملأ في الجماهير لإفسادهم والصد عن الدعوة؛ كما جاء على لسان صالح عليه السلام: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ[11] ﴾[الشعراء:١٥١-١٥٢].

٤- اتخاذ التمسك بعقيدة الآباء حجة؛ لصرف الأنظار عن الغاية التي لأجلها تُقاوم الدعوة الجديدة؛ كما كان من ملأ فرعون: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا[12] عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:٧٨]، والذي يدل على كذبهم في دعواهم قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص:٣٨]، وقوله: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤] فلو كانت عقيدة الآباء هي المقصود لما سكت الملأ عمن ينتهكها صراحة وهو فرعون، إذن ليست آلهة الآباء، وإنما الخوف من أن تكون الكبرياء في الأرض لموسى عليه السلام وقومه.

٥- توجيه الحاكم من قبل الفئة المتنفذة، ومما يلفت النظر أن الآيات التي تحدثت عن الأنبياء السابقين كنوح وهود وصالح عليهم السلام، لم يرد في أيٍّ منها ذكرٌ للحاكم؛ لأن الملأ هم الحكام الحقيقيون، وأحياناً يكون الحاكم متسلطاً والملأ تابعين له، خصوصاً إذا كان يلبي احتياجاتهم ورغباتهم كما كان الأمر عند فرعون: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود:٩٦-٩٧]، ولذلك فإن القرآن كان يذكر فرعون وملأه من حيث منتهى بعثة موسى عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:١٠٣]، وقال: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [يونس:٧٥]، وقال: ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ [المؤمنون:٤٦]، وهذا يدل على أن الملأ لهم وجود وحضور واستشارة من قبل فرعون[13]، وأنها في حقيقتها وجوهرها علاقة تبادلية، لا كما يُظن أن فرعون مستبدٌ بالسلطة وحده، وهو ما يترجم لنا دور الملأ في التصدي السياسي للدعوة الجديدة.

المطلب الثالث:
المقومات الأمنية:

المقصود بالمقومات الأمنية تلك المقومات التي تحفظ للدولة المستبدة وجودها الاستبدادي، وذلك من خلال القضاء على أي محاولة داخلية من شأنها الإصلاح أو

(١١) يقول ابن عاشور في بيان المسرفين: «أئمة القوم وكبراؤهم الذين يغرونهم بعبادة الأصنام ويبقونهم في الضلالة، استغلالاً لجهلهم، وليسخروهم لفائدتهم» (ابن عاشور : ١٤٢٠هـ)، وهذا ما يجعل صالحاً عليه السلام معانياً من شأن أولئك الملأ الذين يحولون دون إيمان الناس، إبقاءً لفسادهم وطغيانهم.

(١٢) اللفت: الانصراف، لفته عن كذا صرفه عنه، (الراغب :٢٠٠٨).

(١٣) وأحياناً نجد أن دور الملأ عند فرعون يتعدى دور الاستشارة إلى دور الإثارة والحكم والأمر والنهي، وهو ما أفصحت عنه آيات سورة الأعراف: { قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ} [١٠٩-١١٢]، وفي الشعراء نجد القرآن يتحدث عن محاورة بين فرعون والملأ: { قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} [٣٤-٣٧]، وفيه أكبر دليل على أن فرعون والملأ وجهان لعملة واحدة، هي المصلحة المشتركة.

التغيير، ومن خلال تتبع آيات القرآن نجد أنه تحدث عن الجانب الأمني الداخلي، ولم يذكر شيئاً عن الجانب العسكري الخارجي، وذلك يكشف طبيعة الصراع بين الأنبياء وأقوامهم، وسبب ذلك أن الخطورة تكمن في هذا الجانب دون سواه، ونستطيع تلخيص هذا المطلب فيما يلي:

أولاً: إضعاف شأن الدعوة بالقتل والتعذيب واستعباد النساء كما كان سائداً في قوم فرعون: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٤٩]، ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف:١٢٧]، وقد وصف القرآن عاداً بأنهم جبارون في بطشهم بالآخرين: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء:١٣٠].

ثانياً: التهديد بالنفي والإكراه على ترك الدين: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٨][١٤]، ومما قالته الأمم عموماً لأنبيائهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم[١٥] مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم:١٣].

ثالثاً: التعبئة العامة وجمع الرجال والجنود لمواجهة أي تهديد ولو كان كلمةً واحدةً، يقول تعالى على لسان قوم فرعون: ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٣-٦٤]، ويظهر ذلك في إرسال الرجال لجمع السحرة لمواجهة الحجج والبراهين ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ[١٦] وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ[١٧] ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[الأعراف:١١١-١١٢]، وفي وصف فرعون وثمود: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾[البروج:١٧-١٨].

رابعاً: استخدام أدوات التخويف والفتنة: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس:٨٣].

خامساً: تقسيم الناس إلى طوائف، بتقوية بعضها واستضعاف بعضها الآخر بقصد الإفساد، كما قال سبحانه عن صنيع فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤].

سادساً: يتمثل الجانب الأمني أحياناً بوجود عصابات من شأنها الإفساد في الأرض، كما قال تعالى في شأن قوم صالح: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل:٤٨]، وفي شأن قوم شعيب: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا .. الآية﴾ [الأعراف:٨٦]، وليس من غرض الملأ أن يوقفوا مثل هذا الإفساد؛ لأنه يصب في مصلحتهم في المآل في غالب الأحوال.

سابعاً: التذرع بالحجج والبراهين لقتل المخالفين، فلم يكن القتل مجرداً عن أسلوب الإقناع الذي يرتئيه الحاكم، وأوضح مثال ذكره القرآن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ

(١٤) بل إن التهديد ينال الباقين على الكفر: {وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ} [الأعراف:٩٠]، وللمتدبر أن يلاحظ تغاير وصف الملأ في الآيتين، ففي الأولى قال: «الذين استكبروا»، وفي الثانية قال: «الذين كفروا»، وكذلك نجد أن المخاطبين لم يتبعوا شعيباً بعد، ولكن توجد منهم هواجس الاتباع، وهو ما يلاحظه الملأ فيستبقوا الحدث بتهديد مباشر (ابن عاشور : ١٤٢٠هـ).

(١٥) وهذا ما أخبر به ورقة نبينا عليه الصلاة والسلام بأن قومه سيخرجونه، حيث قال له: «هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أومخرجيَّ هم؟! قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً»، وهو ما حصل له فعلاً عند الهجرة (البخاري : ١٤٠٧هـ) و(مسلم : بدون تاريخ).

(١٦) ورد في معنى «أرجه» قولان، الأول: أخره، والثاني: احبسه (الماوردي : بدون تاريخ)، والراجح الأول بدليل أن لم يكن ثمة حبس وإنما تأجيل الموعد، وهذا ما طلبوه من موسى عليه السلام فحدد لهم يوم الزينة: {.. فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى} [طه:٥٨-٥٩]، فلو كان هناك حبس لذُكر.

(١٧) أي: الشرطة التي تجمع السحرة (الثعلبي : ١٤٢٢هـ)، ويُستنبط من لفظ «حاشرين» أن الشرطة تجمع الناس وتحشرهم بطريق الإجبار.

أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر:٢٦].

المطلب الرابع:

المقومات الاجتماعية:

المقصود بالمقومات الاجتماعية تلك المقومات المتصلة بالقبيلة والعشيرة، التي يكون لها أثر في الصد عن أي وارد جديد، ونستطيع أن نحددها في الأمور الآتية:

أولاً: رفض الأمم السابقة أن يخرج منهم من ينقض وجودهم ويهدد بقاءهم؛ ولذا فإن من أكبر الكبائر التي تزيد في عناد تلك الأمم وتكذيبها أن يكون النبي منهم، ولذا جاء على لسان نوح: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ.. ﴾ [الأعراف:٦٣-٦٤]، وعلى لسان هود: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ..الآية ﴾ [الأعراف:٦٩]، وسبب عجبهم أنه يخرج عن عشيرته وقومه(١٨)، وهذا ما لم تعتده تلك الأمم، بالإضافة إلى أنه يكشف حقيقة أمرهم، ويشكك في صحة اعتقادهم.

ثانياً: تقديم القبيلة والعشيرة على الحق والدين (قطب : ١٤٠٥هـ): ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ (١٩) لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود:٩١-٩٢]، وفي حق صالح: ﴿ قَالُوا۟ تَقَٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [النمل:٤٩]، وهذا دليل على قوة قبيلة صالح عليه السلام في قومه(٢٠)، وهذا ما أشارت إليه الآية الأخرى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود:٦٢]، وسبب تقديم القبيلة أن تلك الحضارات تريد أن تقضي على الدعوة الجديدة دون إحداث خلل اجتماعي، مما قد يؤثر على وجودها.

ثالثاً: تقديم أهل القوة والمنعة والعزة على الضعاف المساكين، ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا (٢١) بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾[هود:٢٧]، وفيه دليل على أن تلك النهضات قامت على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، والحاكم الحقيقي هي قوة العصبية.

المطلب الخامس:

المقومات المادية:

وتتمثل المقومات المادية في مجموعة من الجوانب:

الجانب الأول: قوة الأبدان وعظمها، وهذا ما امتن به هود عليه السلام على عاد: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ.. ﴾ [الأعراف:٦٩]، وفي آية أخرى: ﴿ ..وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود:٥٢]، وفي سبأ: ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ .. ﴾(٢٢) [النمل:٣٣]، وفي حق

(١٨) الأصل في تلك الأقوام أن لا تتعجب، فما داموا «يعرفونه ويعرفون نسبه؛ وذلك لأن كونه منهم يزيل التعجب» (الخازن : ١٣٩٩هـ)، فالداعي للتعجب أنه يدعو لما يقض مضاجعهم من حيث إنه منهم، ويُزيل باطلهم، وهذا ما يأبونه ويرفضونه من ابن القبيلة، وهنا منبع عجبهم، وهو ما حصل لنبينا عليه الصلاة والسلام مع قومه، فقال تعالى في وصف مشركي قريش: {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} [ق:٢]، وقال: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} [ص:٤].

(١٩) «الرَّهْط: جماعةُ الرجل، وقيل: الرَّهْط والرَّاهط لِما دون العشرة من الرجال، ولا يقع الرَّهْطُ والعَصَب والنَّفَر إلا على الرجال» (السمين الحلبي : ١٤٠٨هـ)، والذي يظهر أن هؤلاء الرهط كان لهم مكانة وحظوة في قومهم كما كان لأبي طالب مكانة في قومه.

(٢٠) يقول الشنقيطي: «ففي الآية دليل على أنهم لا قدرة لهم على أن يفعلوا السوء بصالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام إلا في حال الخفاء، وأنهم لو فعلوا به ذلك خفاءً وسرقةً لكانوا يحلفون لأوليائه الذين هم عصبته أنهم ما فعلوا به سوءاً، ولا شهدوا ذلك ولا حضروه خوفاً من عصبته؛ فهو عزيز الجانب بسبب عصبته الكفار» (الشنقيطي : ١٤١٥هـ)، وهذا ما حصل لنبينا عليه الصلاة والسلام عندما أرادت قريش قتله ليلة الهجرة، وكأن الحدث واحد (ابن هشام : ١٤١١هـ)، وقد وقف أبو طالب مناصراً له وقال في ذلك أبياتاً:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفيناً
فامضي لأمرك ما عليك غضاضة ... أبشر وقر بذاك منك عيوناً
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ... فلقد صدقت وكنت قبل أميناً

(البيهقي : ١٤٠٨هـ).

(٢١) هذا شأن أتباع الرسل، وهو ما أفادته تلك المحاورة بين هرقل وأبي سفيان، جاء في البخاري: «..وسألتك عن أتباعه: أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل» (البخاري : ١٤٠٧هـ).

(٢٢) «أرادوا بالقوة: قوة الأجساد والآلات» (ابن عجيبة : ١٤٢٣هـ).

بقية الأمم: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤].

الجانب الثاني: البناء العمراني، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ[٢٣] ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٢٩]

وفي ثمود: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[الأعراف: ٧٤]، وقال: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢٥] [الشعراء: ١٤٩]، وفي حق بقية الأمم: ﴿ ..كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٩].

الجانب الثالث: الرخاء الاقتصادي، فالذي يدقق النظر في حديث القرآن عن الأمم المستبدة، يجد أنها أمم قد أصابها من الرخاء الاقتصادي الشيء الكثير، وفيه دليل على أن تلك الأمم إنما تمسكت بهذه الدنيا لما هي عليه من الرخاء الاقتصادي، مما أدى بها إلى الاستبداد والتمسك بمقاليد الأمور، فقال تعالى في عاد: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[الشعراء: ١٣٢-١٣٤]، وقال في ثمود: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟[٢٦] فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود: ٦٨]، وقال: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ[٢٧] ﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٤٨]، وفي مدين: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٩٢]، وقال: ﴿ ..وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ[٢٨] ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وعن فرعون: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[يونس: ٨٨]، وفي دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه دليل على أن ما هم فيه من الرخاء سبب رئيس من أسباب الغواية والضلالة والتصدي للدين الحق، وقال تعالى عن بقية الأقوام: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا[٢٩] ﴾ [مريم: ٧٤]، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [غافر: ٨٢].

وتمثل المقومات المادية ثقة الحضارات بنفسها، وأنها قادرة على مقاومة أي تحدٍ كان، وهو ما يعطينا التأني في مخاطبة الحضارات المستعلية في الأرض، ويرسم

(٢٣) الريع: كل مكان مشرف من الأرض مرتفع، أو طريق أو واد، والآية هي البنيان والعلم الواضح، والصواب من القول في معنى المصانع أن يقال: إن المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورًا وحصوناً مشيدة، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأيّ ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل، فالصواب أن يقال فيه، ما قال الله: إنهم كانوا يتخذون مصانع» (الطبري : ١٤٢٠هـ).

(٢٤) «مأخوذة من الفراهة، وهي جودة منظر الشيء وخبرته وقوته وكماله في نوعه، فمعنى الآية: كيسين متهممين قاله ابن عباس، وقال مجاهد: شرهين، وقال ابن زيد: أقوياء، وقال أبو عمرو بن العلاء: آشرين بطرين» (ابن عطية : ١٤١٣هـ).

(٢٥) يقول أبو حيان: «وظاهر هذه الآيات — آيات الشعراء – أن الغالب على قوم هود؛ اللذات الخيالية من طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر، وعلى قوم صالح؛ اللذات الحسية من المأكول والمشروب والمساكن الطيبة الحصينة» (أبو حيان : ١٤٢٢هـ)، والدليل على ذلك كلام الله تعالى فقال في عاد: {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً..} [فصلت:١٥]، وقال في حق ثمود: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى..} [فصلت:١٧].

(٢٦) يقول ابن عطية: «وغنيت في المكان، إنما يقال في الإقامة التي هي مقترنة بتنعم وعيش مرض، هذا الذي استقريت من الأشعار التي ذكرت العرب فيها هذه اللفظة» (ابن عطية : ١٤١٣هـ).

(٢٧) «الهضيم: الطلع قبل أن تنشق عنه القشور وتنفتح، يريد: أنه منضم مكتنز، ومنه قيل: أهضم الكشحين، إذا كان منضمهما» (ابن قتيبة : ١٣٩٨هـ).

(٢٨) جاء في زاد المسير: «جائز أن يكون المعنى جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء، وجائز أن يكون كثر عددكم بعد أن كنتم قليلاً، وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار فكثرهم» (ابن الجوزي : ١٤٠٤هـ).

(٢٩) «أثاثاً هو متاع البيت أو ما جد من الفرش، ورئياً منظراً وهيئةً» (النسفي : بدون تاريخ).

لنا المنهج القرآني في التفاعل الحضاري والدعوي مع من يمتلك زمام الأمور، بحكمة القرآن، وبصبر العقلاء، وهو ما يبعدنا في الوقت نفسه عن سلوك الأسلوب المادي؛ لأنه لن ينفعنا إلا في القضاء على بقايا الخير في هذه الحياة.

المطلب السادس:

المقومات الأخلاقية:

هي الأخلاق التي اكتسبتها الأمم السابقة في مراس التصدي لدين الله تعالى، وهي كما يلي:

أولاً: أخلاق تغذي الجانب السلوكي: كالسخرية والاستهزاء، ومثاله ما صنعه قوم نوح عليه السلام: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود:٣٨]، وكخلق التحدي الفعلي ومثاله: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ(٣٠) ﴾ [الأعراف:٧٧].

ثانياً: أخلاق تغذي الجانب النفسي: ومن أعظمها الكبر، فجاء في عاد: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [فصلت:١٥]، وفي ثمود: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ [الأعراف:٧٥]، وفي قوم شعيب: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾[الأعراف:٨٨]، وفي فرعون: ﴿ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٣].

ثالثاً: أخلاق تغذي الجانب العقلي والقولي: وعلى رأسها المجادلة بالباطل، فقال تعالى في حق عاد: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف:٧١]، وقال في حق الأمم الكافرة: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر:٥]، ومنها المعاندة بالباطل: ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[هود:٥٣]، ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ [الشعراء:١٣٦].

ونستطيع الإفادة من هذه الأخلاق بما يخدمنا في رؤية أخلاق الآخر، عند امتلاكه لأسباب القوة والاستعلاء في الأرض، فيقودنا لحسن التعاطي مع الحضارات بقدم الواثق لا بقدم المقلد، وبرؤية الحكيم الخبير، لا بعمى المتهور الأثيم، وهو ما يريده القرآن منَّا، اعتباراً بما كان عليه السابقون، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف:١١١].

* * *

الخاتمة

نستطيع أن نسجل مجموعة من الاستنباطات القرآنية حول منهج الأمم السابقة من دعوة الأنبياء والمرسلين بشكل موجز:

أولاً: المقصود بالأمم السابقة هي تلك الأمم التي ذكرها القرآن الكريم من غير الأمة المهدية.

ثانياً: نتج عن الأمم السابقة ثلاثة مناهج هي؛ المنهج البدائي، والشوري، والاستبدادي.

ثالثاً: مثَّل المنهج البدائي سطحية التفكير وعقم الفهم، وعنجهية الرد، وكان طريقه الاندثار.

رابعاً: وجدنا أن المنهج الشوري قد أثمر صورتين من صور التفاعل الحضاري، وهي صورة التعايش السلمي كما مثلها يوسف عليه السلام، وصورة الدخول في الدين الحق كما مثلتها ملكة سبأ.

خامساً: كان تركيز البيان القرآني على الشكل الاستبدادي، الذي تصلب في الرد على الدعوة النبوية، تمثل في فرعون فعاد فثمود فقوم نوح من حيث تركيز البيان القرآني، وقد كانوا أئمة الاستبداد في التصدي

(٣٠) «فعقروا الناقة أي نحروها.. أصل العقر عند العرب قطع عرقوب البعير، ثم استعمل في النحر؛ لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره .. وعتوا عن أمر ربهم، أي: استكبروا عن امتثاله» (الآلوسي : ١٤١٥هـ).

لدين الله تعالى.

سادساً: ارتكزت الأمم السابقة على مقومات بسط القرآن في بيانها، تمثلت في مقومات عقدية، وسياسية، وأمنية، واجتماعية، ومادية، وأخلاقية، وكان مجموع هذه المقومات يمثل حس الحذر واليقظة لدى الأمم السابقة من أي خطر يهددها.

سابعاً: مثلت مقومات الأمم السابقة الوجود الحضاري، وكانت في معظمها تدور حول استبداد الإنسان لأخيه الإنسان، ورفضه الوصول إلى أي حل ينتقص من عنجهيته وغطرسته وتكبره فيما يملك، وهذه المقومات كانت طريق النهاية والانتحار لتلك الأمم التي رفضت منهج الحق والهدى والخير، مما جعلها عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد، وأخيراً أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بالقرآن العظيم، وأن يجعله إماماً لنا في نهضتنا التي نأمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

١- الآلوسي، محمود الآلوسي أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ١٩٩٤م.

٢- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب.

٣- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، الطبعة الثالثة، بيروت – لبنان، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٤- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بدون طبعة، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.

٥- البيهقي، أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد، دلائل النبوة، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، تحقيق: د.عبد المعطي قلعجي.

٦- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، الكشف والبيان، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور.

٧- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت – لبنان، ١٤٠٤هـ.

٨- الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة الرابعة، بيروت – لبنان، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.

٩- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

١٠- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، بدون طبعة، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

١١- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

١٢- الراغب، الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

١٣- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، بدون طبعة، بيروت – لبنان، دار المعرفة، تحقيق: عبد الرحيم محمود.

١٤- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بدون طبعة، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٣٢٧هـ.

١٥- السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، بحر العلوم، بدون طبعة، بيروت – لبنان، دار الفكر، تحقيق: د.محمود مطرجي.

١٦- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، الطبعة الأولى، دمشق – سوريا، دار القلم، ١٤٠٨هـ١٩٨٧م، تحقيق: د.أحمد محمد الخراط.

١٧- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المخصص، الطبعة الأولى، بيروت — لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، تحقيق: خليل إبراهيم جفال.

١٨- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، الدر المنثور في التفسير المأثور، بدون طبعة، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٩٩٣م.

١٩- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بدون طبعة، بيروت — لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٢٠- الصاحب، أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، المحيط في اللغة، الطبعة الأولى، بيروت — لبنان، عالم الكتب، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين.

٢١- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبعة الأولى، بيروت — لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

٢٢- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، الطبعة الأولى، بيروت — لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

٢٣- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، التحرير والتنوير، الطبعة الأولى، بيروت — لبنان، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.

٢٤- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، البحر المديد، الطبعة الثانية، بيروت — لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢٥- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، بيروت — لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٢٦- الغزالي، محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي، الطبعة الخامسة، القاهرة — مصر، دار الشروق، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

٢٧- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، الطبعة الثانية، بيروت — لبنان، دار الفكر، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٢٨- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، بدون طبعة، بيروت — لبنان، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.

٢٩- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، غريب القرآن، بدون طبعة، بيروت — لبنان، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، تحقيق: أحمد صقر.

٣٠- قطب، سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة الحادية عشرة الشرعية، بيروت — لبنان، دار الشروق، ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

٣١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الجديدة، بيروت — لبنان، دار الفكر، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، تحقيق: محمود حسن.

٣٢- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النكت والعيون، بدون طبعة، بيروت — لبنان، دار الكتب العلمية، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

٣٣- رشيد، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، دار المنار، ط٤، ١٣٧٣هـ.

٣٤- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بدون طبعة، بيروت — لبنان، دار إحياء التراث العربي، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٥- النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بدون طبعة، القاهرة — مصر، دار إحياء الكتب العربية.

٣٦- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الطبعة الأولى، بيروت — لبنان، دار الكتب

العلمية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، تحقيق: الشيخ زكريا عميران.

٣٧- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، السيرة النبوية، بدون طبعة، بيروت – لبنان، دار الجيل، ١٤١١هـ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

The previous nations and their attitude regarding call of the prophets and messengers.

Al-M.M.Abdel-Fattah

Islamic Culture - Faculty of Education - Jazan University

Abstract

This research is discussing an important issue that relating to the wisdom stories of Quran، its mainly about the previous nations and their attitude regarding call of the prophets and messengers، and foundations of their situations، through this important topic which raises the reader and stops him on the evident facts of Quran، the aim of the research appears as deriving from the curriculum of Quran in dealing with nations، and in discuss the bases of the jurisprudences of priorities، jurisprudences of balances ، and the jurisprudence of current stage، hoping this effort will be an aide to access the path of Islam which is featured with Moderation and tolerance

The researcher concludes that previous nations had stood three positions (attitudes) regarding the call of the prophets and messengers: the primitive position، the position of consultation، and the authoritarian position، that all was explained within the first section، while the researcher discusses in the second chapter the elements adopted by the previous nations in standing up to the call of Prophets generally، This came in six demands، namely: ideological، political، social، security and physical and moral elements.

It was then the conclusion of the research which gives guidelines for how to deal with who stands by such attitudes in the face of the Islamic call، and also gives priority to the facts of Holy Quran's history in order to strengthen the Islamic pace and contributes in abolition the lays and suspicions about what afflicts the Islamic history of prophets and messengers.

The research is also to Reveal morals of prophets، which should represent morals and attitude of believers nation as the Almighty Creator wants it to be،
We ask Him to bless us with understanding and success، and God is to be determines before and after.

Keywords: Interpretation، Stories of Koran، Prophets، Previous nations، Statement of Quran.

المناخ وزراعة أشجار الفاكهة في سهل تهامة بمنطقة جازان (دراسة في جغرافية المناخ التطبيقي)

عائشة علي العريشي
كلية العلوم والآداب بصامطة – جامعة جازان

المُلخّص

إن مناخ سهل تهامة في منطقة جازان يعد بيئة ملائمة لزراعة أشجار الفاكهة المدارية، وبناء على ذلك يكمن الهدف الرئيس لهذه الدراسة في توضيح العلاقة بين المناخ وزراعة أشجار الفاكهة المدارية في سهل تهامة بمنطقة جازان، حيث تناول بالدراسة والتحليل مناخ سهل تهامة، ثم توضيح مدى تأثير العناصر المناخية على زراعة أشجار الفاكهة المدارية والتي ترتبط غالباً بالتطرف في قيم معدلاتها. وحيث أن لكل صنف من أشجار الفاكهة متطلباته المناخية التي يتعذر نموه إلا في حالة توفرها، فقد تم تحديد أهم المتطلبات المناخية لأشجار الفاكهة المدارية المختارة والمتمثلة في كل من المانجو والبابايا والجوافة والأناناس، ومقارنتها بمناخ سهل تهامة في منطقة جازان للتعرف على الفترة الأمثل لتحقيق أفضل إنتاج، ثم تحليل العلاقة الارتباطية بين العناصر المناخية خلال فترة النضج وبين كمية إنتاج أشجار الفاكهة المدارية المختارة.وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن مناخ سهل تهامة يعد مناسباً لزراعة أشجار الفاكهة المدارية المتمثلة في كل من المانجو والبابايا والجوافة والأناناس، حيث تتراوح درجة الحرارة في هذا السهل بين ٢٦ °م و ٣١ °م، كما اتضح من نتائج الارتباط وجود علاقة عكسية قوية بين سرعة الرياح وإنتاج الفواكه المدارية، وخاصة المانجو والبابايا حيث بلغت قيمة الارتباط – ٠,٧٠ و – ٠,٦٩ على التوالي. لذا فإن الإنتاج يقل خلال شهور الصيف التي تتسم بزيادة معدلات سرعة الرياح المحملة بالأتربة والغبار.

الكلمات المفتاحية: أشجار الفاكهة، المناخ، تهامة جازان، الزراعة، سهل تهامة، متطلبات مناخية.

مُقدّمة

يعد المناخ بعناصره المختلفة أهم النظم الطبيعية المؤثرة في المحاصيل الزراعية، كما يلعب دوراً هاماً في تكوين التربة باختلاف أنواعها ودرجة خصوبتها، والتي تمثل الوسط الذي يعيش فيه النبات. ويقع سهل تهامة في منطقة جازان بين دائرتي عرض ١٥° ١٦′ و ١٧° ٤٥′ شمالاً، وبذلك يقع ضمن نطاق المناخ المداري الموسمي، ويمتد سهل تهامة بين ساحل البحر الأحمر غرباً ومرتفعات جبال السروات شرقاً، ويتميز هذا السهل بكونه منطقة زراعية بالدرجة الأولى ليس فقط على مستوى منطقة جازان بل أيضاً على مستوى المملكة العربية السعودية، إذ تعد الزراعة النشاط البشري المميز لسكان سهل تهامة منذ أقدم العصور حيث تجود فيه زراعة مختلف المحاصيل الزراعية بما في ذلك الفواكه وخاصة الفواكه المدارية مثل المانجو والأناناس والباباي والجوافة، والتي تمثل في وقتنا الحاضر أهم المنتجات الزراعية التي تتميز بها منطقة جازان، والتي تصدر إلى داخل المملكة وخارجها.

وفي ظل اهتمام المملكة وحرصها على تنمية القطاع الزراعي من خلال التوسع في المشاريع الزراعية بهدف تحقيق الأمن الغذائي وزيادة الإنتاج الزراعي، ونظراً لقلة الدراسات التي تهتم بالربط بين المناخ وأشجار الفاكهة في المنطقة ولحاجة المزارعين للتعرف على الظروف المناخية مما يساعدهم في رفع مستوى الجوانب المعرفية في المجال الزراعي، كان لا بد من الاهتمام بالدراسات التطبيقية التي تربط بين المناخ وزراعة أشجار الفاكهة، وقد جاء سهل تهامة بمنطقة جازان كمجال للدراسة، نظراً لتوفر المقومات الزراعية التي يتميز بها، والتي تسمح

الإطار المنهجي للدراسة.

البريد الإلكتروني : aliarishi@yahoo.com
ردمد : ١٦٥٨-٦٠٥٠

بتنمية زراعية تسهم في زيادة الدخل السكاني ليس فقط لسكان المنطقة بل أيضاً في زيادة الدخل الوطني، ومن تلك المقومات الموقع الجغرافي الذي يتميز بأنه ضمن الجهات التي تتسم بقلة تكرار ظواهر التطرف المناخي الفصلي والسنوي وخصوصا الحراري، وكذلك وفرة المياه وخصوبة التربة، إضافة إلى الكثافة السكانية وزيادة معدلات النمو السكاني وارتفاع المستوى المعيشي لسكان المنطقة، الأمر الذي انعكس على زيادة الطلب على المحاصيل الزراعية بصفة عامة ومحاصيل الفواكه بصفة خاصة وذلك مقارنة بالسنوات الماضية، كما أن للنمو الحضري الذي تشهده المنطقة وتوسع شبكة النقل وكذلك الدعم الزراعي للمزارعين، تأثيراً على التوسع في إنتاجية الفواكه (العريشي، ٢٠٠١م: ٢٥)، إذ إن المزارع لم تعد تركز على تلبيه احتياجات السوق المحلية بالمنطقة فقط بل أصبحت تركز على تصدير الفواكه إلى بقية الأسواق داخل المملكة أو خارجها كما هو الحال في تسويق محصول التين والمانجو والجوافة.

ومن الملاحظ أن العديد من أشجار الفاكهة المدارية كالمانجو والباباي والأناناس والجوافة وأصنافها المختلفة قد تأقلمت في زراعتها مع ظروف مناخ سهل تهامة بمنطقة جازان، وهى في هذه البيئة الجديدة تتعرض لكثير من الظواهر الجوية التي لا توجد في موطنها الأصلي، وحيث إن اختيار المحاصيل الزراعية وزراعتها على أسس علميه يتطلب متابعة ورصد الظواهر الجوية، وتحديد حالات التطرف والتذبذب للعناصر المناخية، وتحديد ارتباطها وتأثيرها على المحاصيل خلال فترات النمو والأزهار وعقد الثمار، والتي تعد الأكثر حساسية من غيرها، وكذلك بيان الفترات المثالية للزراعة في ضوء المتطلبات المناخية الملائمة للنمو، فإن هذه الدراسة فيما تخلص إليه من نتائج علمية، يمكن الاستفادة منها في كثير من المجالات المرتبطة بالنشاط الزراعي في سهل تهامة ، وذلك من خلال دراسة المتطلبات المناخية المختلفة (إشعاع شمسي- حرارة- — رياح- رطوبة - أمطار- تبخر) لأنواع مختلفة من الفاكهة المدارية ومقارنتها مع الإمكانيات المناخية المتوفرة في المنطقة، ومحاولة الكشف عن مدى تأثيرها على زراعة أشجار الفاكهة المدارية، وإبراز المشكلات المناخية التي قد تؤدي إلى تقليص حجم المساحة المزروعة وتقليل كمية الإنتاج، مما شكل عبئاً مباشراً على الأرض الزراعية، حيث يتم تكثيف الاستغلال الزراعي للمساحات المخصصة للإنتاج، إضافة إلى ميل السكان بشكل كبير إلى الفواكه المستوردة رغم إمكانيات سهل تهامة لزراعة كثير من الفواكه المدارية.

أهمية الدراسة.

إن الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة تتضح في ضوء التأثير القوي للعناصر المناخية على النشاط البشري وخاصة الزراعة، إذ إن لكل محصول زراعي متطلباته المناخية التي تؤثر على نمو النبات وتطوره وبالتالي تأثيره على التوزيع الجغرافي والإنتاجية للمحاصيل حيث تؤدي عدم المعرفة بالمواقع ذات الظروف الملائمة لزراعة محصول ما إلى قلة الإنتاجية أو العزوف عن النشاط الزراعي. وفي ضوء هذا التأثير على الزراعة تم اختيار موضوع الدراسة ليمثل جانباً تطبيقياً للمناخ، وذلك تحت عنوان: المناخ وزراعة أشجار الفاكهة في سهل تهامة بمنطقة جازان، مع تركيز خاص على زراعة المانجو والجوافة والباباي والأناناس.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في كون سهل تهامة منطقة زراعية بالدرجة الأولى، مما يتطلب الاهتمام بالدراسات التطبيقية التي تسهم بدورها في وضع رؤية تنموية للمزارعين من خلال التعرف على الظروف المناخية التي تلعب دوراً هاماً في الإنتاج الزراعي، خاصة في ظل التوجهات الحالية نحو الاستثمار في مجال الزراعة حيث تتوفر الظروف المناخية التي تساعد على نجاح مثل تلك الاستثمارات، كما تعود أهمية هذه الدراسة إلى أن نتائجها تعد ذات أهمية في إدراك العلاقات المكانية بين الدراسات التطبيقية للمناخ وزراعة أشجار الفاكهة، مما سوف يعمل على زيادة إنتاجية الفواكه وبالتالي الوصول إلى درجة الاكتفاء المحلي من الفواكه.

أهداف الدراسة.

يتمثل الهدف الرئيسي لهذه الدراسة في تقديم دراسة تطبيقيه توضح تأثير عناصر المناخ على زراعة أشجار الفاكهة في سهل تهامة بمنطقة جازان. وفي إطار هذا الهدف تنبثق عدة أهداف كالآتي هي:

– التعرف على الخصائص المناخية لسهل تهامة في منطقة جازان.

– تحديد المتطلبات المناخية المثلى لزراعة أشجار الفاكهة ومقارنتها بظروف مناخ سهل تهامة.

– إبراز أسباب التباين أو التذبذب في مساحة وإنتاج محاصيل الفواكه المدارية بمنطقة الدراسة.

– تحليل العلاقة بين العناصر المناخية وتطور مساحة وإنتاج محاصيل الفواكه المدارية بمنطقة الدراسة.

– وضع بعض التوصيات التي سوف تساعد في الحد من تأثير المناخ في تنمية النشاط الزراعي بالمنطقة.

تساؤلات الدراسة.

ولتحقيق الأهداف السابقة تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

– ما الخصائص المناخية التي يتميز بها سهل تهامة في منطقة جازان؟

– هل الخصائص المناخية لسهل تهامة تعد ملائمة لزراعة أشجار الفاكهة المدارية؟

– هل العناصر المناخية تؤثر في نمو وإنتاج الفواكه المدارية بصورة مجتمعة أكثر منها منفردة؟

– ما المشكلات المناخية التي تواجه زراعة أشجار الفاكهة في سهل تهامة بمنطقة جازان؟

– ما الحلول التي يمكن أن تسهم في الحد من تأثير المناخ على زراعة الفواكه المدارية في سهل تهامة بمنطقة جازان؟

منطقة الدراسة.

يقع سهل تهامة في منطقة جازان بين دائرتي عرض ١٥ َ ١٦ ْ و ٤٥ َ ١٧ ْ شمالاً، وخطي طول ٠٠ َ ٤٢ ْ و ٣٠ َ ٤٣ ْ شرقاً، وينحصر بين البحر الأحمر غربا ومنطقة الهضاب شرقا (شكل ١)، ويشغل حوالي ٤٧٪ من مساحة منطقة جازان، ويمتد بطول ٢٧٠كم من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة ساحل البحر الأحمر، ويصل أقصى اتساع له في الجنوب حيث يتراوح مابين ٤٠–٤٥كم ويتميز السهل بارتفاعه التدريجي نحو الداخل، حيث يبلغ الارتفاع حوالي ٣ أمتار عن مستوى سطح البحر (الوليعي، ١٩٩٩م: ٤٢٧)، أما الجزء الشرقي منه فيتميز بالارتفاع والانحدار التدريجي؛ نظراً لقربه من أقدام المرتفعات حيث يصل الارتفاع إلى حوالي ١٠٠م فوق مستوى سطح البحر، وعلى الرغم من أن السهل الساحلي يميل إلى الاستواء إلاّ أن هذا لا يمنع من وجود بعض الأشكال التضاريسية شديدة الانحدار به وأشهرها التكوينات البركانية الحديثة القريبة من أبي عريش وصبيا وكذلك ترتفع القباب الملحية الشاطئية قرب مدينة جازان (السرسي والعريشي، ١٩٩٥م: ١٧)،

وما يميز هذه الأشكال وجودها في الأطراف الشرقية للسهل، في حين تندر أو تختفي في باقي أجزائه إلاّ إذا أدخلنا في الاعتبار بعض القباب الملحية الشاطئية قرب مدينة جازان، ويتخلل هذا السهل العديد من الأودية التي تنحدر من الحواف الغربية لجبال عسير ويعد وادي بيش أكبرها ووادي ضمد ثم وادي جازان (الشريف٢٠٠٣م: ٦٩)، ويغلب في سهل تهامة بمنطقة جازان التربة الطمية والرملية العميقة والتربة الطمية والطمية العميقة والطمية الحصوية والملحية، (وزارة الزراعة والمياه، ١٩٨٦م)، إضافة إلى الكثبان الرملية والتكوينات الرملية التي تمتد بين الأودية.

وبناء على ذلك يمكن توضيح أهم المظاهر التضاريسية في سهل تهامة كالآتي:

– الشريط الساحلي (السبخة): ويمتد بمحاذاة خط الشاطئ وهو نطاق الأراضي الملحية وتغطي بعض أجزائه الكثبان الرملية بالإضافة إلى القباب الملحية ذات الأهمية الاقتصادية (المخطط الإقليمي لمنطقة جازان، ٢٠٠٨م)، وتتميز هذه المنطقة بضعف إمكانات التنمية الزراعية حيث تمثل السبخة أراضي غير صالحة للزراعة وخاصة أشجار الفاكهة.

– الأحواض الدنيا للأودية: وتتكون من مجموعة سهول فيضية كونتها الأودية من ترسيب مفتتات التعرية الخشنة غير المنتظمة وترجع نشأة غالبية هذه السهول إلى تجمع رواسب المراوح الفيضية الناتجة من الهبوط المفاجئ للأودية من سفوح جبال عسير شديدة الانحدار إلى السهل الساحلي بطئ الانحدار، وهي عبارة عن رواسب مخروطية الشكل تتكون من مواد طمية ومفتتات مختلفة الأحجام نقلتها المياه الجارية من المرتفعات إلى أسفل السهل، وتتميز هذه المنطقة بإمكانات كبيرة للتنمية

الزراعية وبالتالي تكثر بها الأراضي الصالحة للزراعة.

كما يتميز سهل تهامة بارتفاع معدلات درجة الحرارة والرطوبة النسبية معظم فصول السنة وصغر المدى الحراري الفصلي، ويصل المعدل الشهري للحرارة إلى ٣٠° م، كما تتراوح الرطوبة النسبية بين ٦١٪ إلى ٧٩٪، كما تتميز بهبوب الرياح الموسمية، والتي ينتج عنها

شكل (١)
موقع سهل تهامة في منطقة جازان.

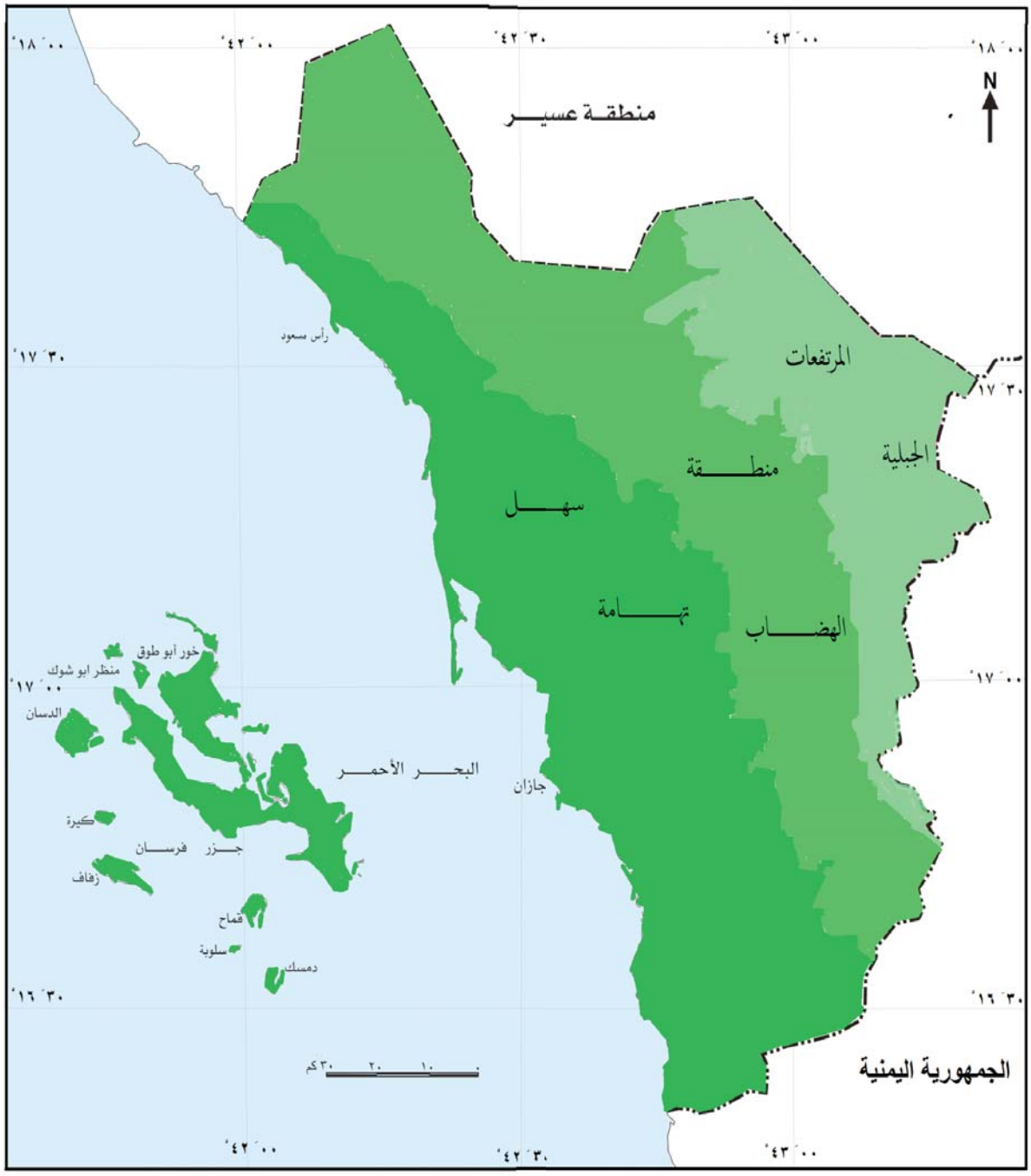

المصدر: وزارة الشئون البلدية والقروية (٢٠٠٦م)١-٣٥، الخرائط المساحية، ١:٥٠٠٠٠٠ (بتصرف).

سقوط الأمطار في فصل الصيف والتي تزداد غزارة كلما اتجهنا شرقاً نحو المرتفعات، وينتج عنها جريان السيول في الأودية التي تنحدر غرباً باتجاه الساحل. وتؤثر هذه الظروف المناخية على زراعة محاصيل الفواكه حيث تجود زراعة الفواكه المدارية.

ويعد سهل تهامة من أغنى مناطق المملكة بالمياه الجوفية السطحية نظراً لغزارة الأمطار التي تتسرب مياهها عبر الشقوق إلى باطن الأرض، وتختلف كمياتها تبعاً لاختلاف كمية الأمطار التي تجدد مياهها وتغذيها. كما أن أودية جازان من الأودية التي تمتاز بغناها بالمياه الجوفية السطحية حيث تتميز بوجود الغطاءات الرسوبية غير المتماسكة المكونة من الرمال والحصى التي أرسبتها السيول (سقا، ١٩٩٨م: ٢٠٧). وقدرت المياه الجوفية المستخرجة سنوياً في سهل تهامة بنحو ٢,٥ مليون متر مكعب ، ويزيد المخزون الجوفي عن ٨٠ مليون متر مكعب سنوياً (السرسي، ١٩٩٤م: ٢٠٩)، ويتوقف حجم المياه المخزونة على كمية الأمطار الساقطة، ونسبة مسامية الطبقات الحاوية لها.

و يعتبر سهل تهامة في مقدمة الأراضي الزراعية بالمملكة التي تمتلك مقومات زراعية ذات إمكانات عالية، إلاّ أن النمط الزراعي التقليدي الذي يعتمد على مياه السيول والأمطار مازال يمثل الجزء الأكبر من المساحات الزراعية حيث تصل إلى ما نسبته ٩٢٪ من مجموع الأراضي الزراعية بسهل تهامة (العريشي ٢٠٠١م :٦) . وتمثل الحبوب أعلى نسبة من الأقسام الرئيسية للمركب المحصولي في منطقة جازان (٧,٦٪)، تليها محاصيل الأعلاف ثم الخضروات (الكتاب الإحصائي الزراعي السنوي ٢٠٠٥م، العدد الثامن عشر). أما الفواكه فتحتل مكانة متواضعة في المركب المحصولي في المنطقة ، إذ لا تزيد عن٢,٤٪ من المساحة المحصولية الإجمالية للمنطقة، ويوجد في سهل تهامة ما يقارب ٢٠٠٠مزرعة فاكهة.

الإطار النظري.

يهتم المناخ الزراعي Agro climatology الذي يعد من أبرز فروع المناخ التطبيقي، بتأثير العناصر المناخية وخاصة (الإشعاع الشمسي – الحرارة – الأمطار-.....الخ) على المحاصيل الزراعية من حيث الإنتاج والنمو والأمراض، وحقيقة هذه العلاقة بين المناخ والزراعة لم يدركها الإنسان إلا بعد أن عرف الزراعة وبدأ يراقب التطورات التي يمر بها النبات ويخضعها خضوعا تاما لسيطرة الظروف المناخية باعتبار المناخ هو المتحكم الأول في توزيع النبات.

وقد بدأت الدراسات في المناخ والزراعة بالمرحلة الوصفية وهي التي سادت قبل القرن ١٨ الميلادي، حيث كانت تكتفي بالوصف لما يشاهد من ظواهر جوية، وكان أول كتاب في الوصف «الهواء، الماء، المكان» للفيلسوف الإغريقي « هيبوقراط» Hippocrates عام ٤٠٠ ق.م وفيه اهتم بوصف أثر الظروف المناخية على الإنسان. أما أول المحاولات العلمية فيما يتعلق بالمناخ الزراعي فبدأت في منتصف القرن ١٨ الميلادي عندما قام العالم الفرنسي «رئيمو» عام ١٧٣٥م بتقدير كمية الحرارة التي يتطلبها النبات معبرا عن ذلك بمتوسطات درجة الحرارة المتجمعة انطلاقا من درجات حرارة الهواء المتوسطة في الظل بين مرحلة وأخرى من مراحل النمو المختلفة (موسى، ١٩٩٤م: ٦). وفي أوائل القرن ١٩م بدأ الاهتمام بتقدير الاحتياجات المناخية للزراعة، وقام عديد من العلماء بربط الظواهر الجوية ونمو النبات، واعترافا بأهمية المناخ للزراعة تحول مكتب خدمات الرصد الفدرالي بالولايات المتحدة من إدارة الجيش إلى مصلحة الزراعة وذلك في عام ١٨٩١م، حيث أصدر العديد من الكتب المتخصصة في المناخ الزراعي.

وفي أوائل القرن العشرين تمثلت بوضوح التطورات في علم المناخ وتطبيقاته المختلفة وخاصة في مجال الزراعة، فظهر العديد من العلماء الذين اهتموا بذلك، وعلى رأسهم المهتمون بإيجاد تقسيمات مناخية عامة لسطح الأرض اعتمادا على بيانات مناخية ونباتية، وتبنى هذه الفكرة الجغرافي البريطاني هربرتسون ١٩٠٥م Herbertson ، والعالم الفرنسي ديمارتون ١٩٢٥م Demartonne، والعالم البريطاني أوستن ملر ١٩٣٦م Austin Miller، (شرف، ٢٠٠٠م: ١٢)، وتقوم هذه التقسيمات على أسس كمية لتحديد القيمة الفعلية لعناصر المناخ. والى جانب ذلك ظهرت العديد من التصنيفات المناخية،

ومن أشهرها تصنيف العالم الألماني كوبن عام ١٩٠٠م Koppen والذي عدله عام ١٩٣١م واستنتج من خلاله أن النبات وسيلة تعبر عن الطقس باعتبار أن الحدود الفاصلة التي ترسم توزيع مختلف النباتات هي حدود مناخية (شحادة، ١٩٨٣م: ١٥٠). وتصنيف العالم ثورنثويت عام ١٩٣١م Thornthwaite وقد درس النبات الطبيعي على أنه انعكاس لأثر الظروف المناخية، واعتمد على حساب التبخر والنتح في تقدير فاعلية الأمطار، وفي عام ١٩٥٦م وضع العالم بيديكو Budyko تصنيفه الذي اعتمد على حساب معامل الرطوبة. وبناء على ذلك ظهرت العديد من النماذج الرياضية لحساب الميزانية المائية، ومنها نموذج ايفانوف ١٩٤١م Ivanova والذي أعطى أهمية لكل من الحرارة والرطوبة في بناء نموذجه، وكذلك نموذج بنمان ١٩٧٩م Penman لتقدير الاحتياجات المائية للمحاصيل.

كما عظمت الأهمية التطبيقية لعلم المناخ بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت كثير من الدراسات والمؤلفات تعالج النتائج المباشرة للمناخ ومنها كتابات الأستاذ ودروجاكوب عام ١٩٤٧م Wooddraw Jacobs، وفي نفس العام حاول الباحث جسلين Geslin الربط بين درجة الحرارة ونمو النبات وإنتاجية المحصول باستخدام عامل الفعالية.كما قدم الأمريكي لانسبرج ١٩٥١م Landsberg دراسة حاول فيها الربط بين المناخ والزراعة، إضافة إلى ما توصل إليه جيوت ١٩٥٦م Guyot أن هناك علاقة بين مردود العنب وازدياد متوسط درجة الحرارة السنوي.

الدراسات السابقة.

هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت تأثير المناخ على الزراعة، وتعد تلك الدراسات من ضمن دراسات المناخ التطبيقي في محاولة للكشف عن العلاقة بين تأثير المناخ ونمو وإنتاج الفواكه في منطقة جازان. وقد استرشدت بعدد من الدراسات السابقة التي تطرقت إلى العناصر المناخية وعلاقتها بالجانب الزراعي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

• دراسة العريشي، (١٩٨٢م) بعنوان: منطقة جيزان – دراسة في الجغرافيا الإقليمية. والتي تناول فيها الخصائص الطبيعية والبشرية للمنطقة، وتعرضت لعناصر المناخ المختلفة، واتضح من خلالها أن للمناخ دوراً في مجال الزراعة، وأوصت باستغلال مياه الأمطار والتوسع في مجال البحوث الزراعية.

• دراسة الشلش، (١٩٨٤م) تحت عنوان: أثر الحرارة المتجمعة على نمو ونضوج المحاصيل الزراعية في العراق، وبين فيها أهمية العامل الحراري في تحديد أنواع المحاصيل الزراعية ومناطق إنتاجها.

• دراسة العمري، (١٩٩٠م) التي تناولت مناخ الجنوب الغربي للمملكة وعلاقته بالمحاصيل الزراعية بالنسبة لفصلي النمو وهما فصلا الصيف والشتاء، كما شرح التنبؤات بإنتاجية المحاصيل حسب تغيرات الطقس التي قد تطرأ، وقد وجد أن المنطقة تعاني من نقص المياه الجوفية، وأشار أن كثرة الري تؤدي لزيادة الملوحة في التربة.

• دراسة المغلوث، (١٩٩٠م) تحت عنوان: أثر المناخ على الزراعة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، والتي أشارت لأهم العناصر المناخية المؤثرة في الزراعة، كما ربطت الدراسة بين المناخ ومواسم نمو المحاصيل الزراعية.

• دراسة السرسي، (١٩٩٤م) التي تناولت مشكلات التنمية الزراعية في منطقة جازان، والتي أشار فيها إلى أن مشكلة المياه تعد من أهم المشاكل التي تعاني منها مزارع المنطقة نظراً لاعتمادها في الأساس على مياه الأمطار والتي تتسم بالتذبذب من عام لآخر، وخلصت الدراسة إلى أن منطقة جازان تعد من أهم مناطق المملكة القابلة للتنمية الزراعية.

• دراسة السرسي والعريشي، (١٩٩٥م) بعنوان: جغرافية الزراعة في منطقة جازان، والتي أشارت إلى أن المناخ يعد من أهم مقومات الإنتاج الزراعي بالمنطقة، كما تعرضت الدراسة للمشكلات التي تواجه التنمية الزراعية، وخلصت إلى أن محاصيل الفواكه من أهم المحاصيل الزراعية التي يمكن زراعتها بنجاح بمنطقة جازان، وأن المنطقة بصفة عامة تشهد نهضة تنموية في مجال الزراعة.

• دراسة جاوة، (١٩٩٧م) تحت عنوان: الحرارة

المتجمعة وأثرها على نمو وإنتاجية محصول القمح و الذرة الرفيعة في جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وخلصت إلى أن للموقع دوراً في إبراز تباين المناخ، وأن أكثر عنصر مناخي يؤثر في زراعة الذرة الرفيعة الحرارة والضوء لذا يزرع بنجاح في المناطق السهلية.

• دراسة العمري، (١٩٩٩م) تحت عنوان: المناخ وزراعة العنب في الطائف. والتي توصل فيها إلى أن مناخ الطائف يعد مناسباً ومثالياً لزراعة العنب، كما أثبتت الدراسة حاجة العنب إلى تعدد الري حيث إن الأمطار غير كافية لنموه، وأوصت الدراسة بإيجاد بدائل لتوفير المياه للتنمية الزراعية كاستخدام مياه الصرف الصحي بعد تنقيتها.

• دراسة عطا، (٢٠٠٠م) تحت عنوان: نموذج تطبيقي في الجغرافيا المناخية على زراعة القمح في المملكة العربية السعودية، وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن أنسب الأوقات لبذر القمح هو شهر ديسمبر ولا ينصح بزراعته أكثر من مرة في السنة، وقد أوصت في خاتمتها بأهمية الاعتماد على الأمطار في زيادة إنتاجية القمح نتيجة لطول فصل النمو.

• دراسة عطا، (٢٠٠١م) تحت عنوان: المناخ وزراعة المحاصيل السكرية في مصر، أوضح فيها الظروف المناخية الملائمة لزراعة المحاصيل السكرية ، وقد توصلت هذه الدراسة إلى وجود علاقة ارتباط طردي بين متوسط إنتاجية الفدان ودرجة الحرارة، كما خرجت بتوصيات منها زراعة بنجر السكر كمحصول مكمل لقصب السكر والتبكير في مواعيد زراعته.

• دراسة علي، (٢٠٠١م) تحت عنوان: المناخ وأثره على النشاط البشري بشبه جزيرة سيناء، وقد خلصت الدراسة إلى أن المناخ يعد عاملاً متحكماً في النشاط البشري في حين أن قدرة الإنسان على التحكم في هذا العامل تعد محدودة. وقد أوصت الدراسة بمزيد من الدراسات المناخية التطبيقية والاستفادة من الأقمار الصناعية وآلات الرصد الجوي.

• دراسة العريشي، (٢٠٠١م) تحت عنوان: سهل تهامة في منطقة جازان بالمملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية تقييمية للنمط الزراعي الحديث في سهل تهامة بمنطقة جازان. والتي بينت أن محاصيل الحبوب تحتل المرتبة الأولى بين المحاصيل الزراعية في سهل تهامة، وتعتمد على مياه الأمطار، تليها محاصيل الخضروات وتعتمد في زراعتها على نظام الري، كما بينت الدراسة أن النمط الزراعي الحديث يتوجه نحو المحاصيل النقدية المتمثلة في زراعة أشجار الفاكهة، وأوصت الدراسة بالاهتمام بالأبحاث والتجارب الزراعية لحل المشكلات التي تواجه المحاصيل، و إيجاد سلالات أكثر ملاءمة للظروف المناخية.

• دراسة العريشي، (٢٠٠٤م) التي تناولت فيها الباحثة الخصائص المناخية وتأثيرها على إنتاجية بعض محاصيل الحبوب بمنطقة جازان، والتي خلصت إلى أن العناصر المناخية تتباين في مدى تأثيرها على كل من المساحة والإنتاج والإنتاجية، وأن الإشعاع الشمسي من أكثر العناصر تأثيرا على الإنتاجية، وأن النطاق السهلي من منطقة الدراسة أكثر ملاءمة لنمو مختلف المحاصيل الزراعية بما في ذلك الفواكه، وذلك مقارنة ببقية أجزاء المنطقة.

• دراسة العريشي (٢٠٠٨م) تحت عنوان: العواصف وتأثيرها على التنمية في منطقة جازان، تناولت تأثير العواصف الرملية والترابية والعواصف الرعدية في منطقة جازان على التنمية الزراعية، كما بينت أن أكثر المواسم ملاءمة للزراعة في منطقة جازان هو موسم الشتاء، حيث تزداد مساحة وإنتاج المحاصيل الزراعية بأنواعها مقارنة بموسم الصيف والذي يتسم بزيادة نسب حدوث العواصف، وخلصت الدراسة إلى أن من أهم المشكلات التي تواجه المزارعين عند حدوث العواصف الرملية والترابية في منطقة جازان زيادة الاحتياج المائي وتلف المحاصيل الزراعية في بداية مراحل النمو وكذلك أشجار الفاكهة المثمرة حيث تتعرض الثمار للتلف.

وبعد استعراض الدراسات السابقة جاءت هذه الدراسة مستفيدة من أساليب ونتائج تلك الدراسات، إلا أن هذه الدراسة تبرز بشكل تفصيلي تأثير المناخ على زراعة الفاكهة من خلال التركيز على خصائص العناصر المناخية في سهل تهامة، والتعرف على مدى ملاءمتها لزراعة محاصيل الفواكه المدارية، كما تعد هذه

الدراسة ضمن المناخ التطبيقي، وهذا مما يساعد في تقديم بعض التوصيات التي تسهم في حل بعض المشكلات الزراعية المرتبطة بالمناخ مما يساعد في تحقيق تنمية زراعية ناجحة.

مصادر البيانات.

لقد اعتمدت هذه الدراسة في جمع المادة العلمية على الآتي:

• المصادر الأولية: والتي تتمثل في:

– المصادر والمراجع التي كتبت في موضوع المناخ التطبيقي وخاصة ما يتعلق بالمناخ الزراعي، والتي تم الحصول عليها من المكتبات والدوائر الحكومية والفروع الزراعية في المنطقة.

– التقارير والبيانات المناخية خلال الفترة من عام ١٩٨٥م إلى عام ٢٠٠٩م، والتي تم جمعها من الرئاسة العامة للأرصاد الجوية وحماية البيئة في محطات سهل تهامة بمنطقة جازان (جدول ١).

– الإحصائيات الزراعية التي تم جمعها من الكتاب الإحصائي الزراعي السنوي، إضافة إلى بيانات فرع وزارة الزراعة في منطقة جازان، وتقارير شركة جازادكو الزراعية، خلال الفترة من ٢٠٠٠م إلى ٢٠٠٩م.

– الأطالس والخرائط الطبوغرافية والأشكال والرسوم البيانية سواء عن موضوع الدراسة أو عن منطقة الدراسة.

• البيانات الميدانية: تمثلت في القيام بعدد من الزيارات الميدانية لمزارع أشجار الفاكهة ورصد الملاحظات التي تتطلبها أهداف الدراسة، كما تمثلت في استطلاع آراء عدد من المزارعين عن زراعة الفواكه في سهل تهامة وذلك للاستفادة من خبراتهم وسماع آرائهم فيما يتعلق بمواسم الزراعة والمشكلات الطبعية المرتبطة بالظروف المناخية التي يواجهونها، وما يتم اتباعه من طرق للتقليل من تأثير الظروف المناخية.

منهج وأساليب الدراسة.

لقد اعتمدت الدراسة على المنهج الإقليمي الموضوعي وأسلوب التحليل الوصفي لتفسير الظواهر الجوية، وتتبع العلاقة بين عناصر المناخ المختلفة ومدى ملاءمتها وتأثيرها على متطلبات المحصول المناخية، كما تمت الاستعانة بالتحليل الإحصائي الذي يمثل طريقة نظرية تفسر وجود علاقة إحصائية بين متغيرين أو أكثر وقد تكون هذه العلاقة مقاربة للواقع أو بعيدة عنة وهذا يعبر عن البيانات كماً ونوعاً. وذلك تحقيقا لأهداف الدراسة، حيث تمت المعالجة الإحصائية من خلال تفريغ البيانات في جداول ثم تحليلها واستخلاص النتائج منها، وقد تمت الاستعانة ببرنامج (SPSS) لإجراء التحليل الإحصائي باستخدام معامل الانحدار، وما ينتج عنه من ارتباط متعدد، والذي يستخدم لقياس ومعرفة درجه علاقة الارتباط بين متغيرين وأكثر ويعتمد في حسابه على قيم معامل ارتباط بيرسون، وذلك لقياس مدى تأثير العناصر المناخية المختلفة على مساحة وإنتاج الفواكه في منطقة جازان. وتتمثل أهم أساليب التحليل الإحصائي التي اعتمدت عليها الدراسة في معامل الارتباط البسيط (بيرسون)، والذي يستخدم في قياس درجة الارتباط بين كل متغيرين في الدراسة، وسيتم في هذه الدراسة إيجاد العديد من العلاقات الارتباطية بين المؤثرات المتعددة (العناصر المناخية) وبين كل من المساحة الزراعية والإنتاج وبين كل متغير مستقل على حدة كالحرارة والأمطار والرياح.

وتتمثل معادلة معامل ارتباط بيرسون كالآتي:

حيث إن : س= تمثل ارتباط بيرسون.

س ص = قيم المتغيرات.

ن = عدد المتغيرات.

وتنحصر قيم معامل الارتباط بين (+١، −١) حيث إن قيمه معامل الارتباط (+١) تعني وجود علاقة خطية موجبة تامة بين المتغيرات. أما إذا كانت قيمه معامل الارتباط تساوى (−١) ، فتعني وجود

$$ر = \frac{(ن \times \text{مج س ص}) - (\text{مج س} \times \text{مج ص})}{(ن \times \text{مج س}^2) - (\text{مج س})^2 \times (ن \times \text{مج ص}^2) - (\text{مج ص})^2}$$

علاقة خطيه عكسية سالبه تامة بين المتغيرات. أما القيمة صفر فتعني عدم وجود أى علاقة خطية بين المتغيرات، وهذا يعني أن القيم التي تقترب من (+١) أو (−١) تشير إلى وجود درجات قوية من الارتباط سواء كان موجباً وسالباً. ولتحديد وجود علاقة ارتباط معنوية أو عدم وجودها يتم الاستعانة بجداول خاصة لمعامل بيرسون وبدرجه حرية هي (٠,٠٥) فإذا كانت قيمه معامل الارتباط المستخرجة أكبر من القيمة الجدولية الحرجة لمعامل الارتباط فهذا يعني وجود ارتباط معنوي ولا يوجد ارتباط في حاله العكس.

ب – الأسلوب الكارتوجرافي: لتحويل البيانات الإحصائية وتمثيلها بيانيا على شكل خرائط أو أشكال بيانية كالمنحنيات البيانية المتعددة لتمثيل المتوسطات الحرارية، والأعمدة البسيطة في تمثيل تطور مساحة الأراضي الزراعية، والأعمدة المركبة في تمثيل تطور إنتاج محاصيل الفواكه، والتوزيع النسبي بالدوائر النسبية للأراضي الزراعية.

جدول (١)
محطات الأرصاد في سهل تهامة بمنطقة جازان.

اسم المحطة	درجة العرض	خط الطول	الارتفاع بالأمتار
صبيا	١٦َ ١٧ْ	٣٧َ ٤٢ْ	٤٠
جازان	٥٣َ ١٦ْ	٣٥َ ٤٢ْ	٧
أبو عريش	٥٨َ ١٦ْ	٥٠َ ٤٢ْ	٦٩

المصدر: الرئاسة العامة للأرصاد وحماية البيئة.

التحليل والمناقشة.

أولاً: الخصائص المناخية لسهل تهامة.

١. الإشعاع الشمسي.

يتضح من بيانات الجدول (٢) والشكل (٢) أن المعدل السنوي لكمية الإشعاع الشمسي في سهل تهامة بمنطقة جازان يعد مرتفعاً بصفة عامة، إذ يبلغ ٣٥٣ و ٣٦٦ و ٣٨٢ سعر/ حراري، في كل من محطة صبيا وجازان وأبي عريش على التوالي. كما يتضح ضعف التباين في قيم المعدل الفصلي؛ ويرجع ذلك إلى الموقع الفلكي المداري لسهل تهامة، وقد سجل فصل الربيع أقصى قيمة لكمية الإشعاع الشمسي، حيث بلغت في كل من محطة صبيا و أبي عريش ٤٢٢ و٤٦٢ سعر/ حراري على التوالي؛ ويرجع ذلك إلى أن الشمس تكون عمودية على منطقة الدراسة في فصلي الاعتدال، وبالتحديد في شهر مايو[١] ، الذي يمثل أعلى معدل شهري لكمية الإشعاع، حيث يصل إلى ٤٣٩ و ٤٩١ سعر/ حراري في كل محطة صبيا و أبي عريش على التوالي.

أما أدنى معدل فصلي فقد سجل في فصل الشتاء، حيث بلغ في كل من جازان وصبيا وأبي عريش ٢٩٩ و ٣٠٣ و ٣٣٤ سعر / حراري على التوالي، ويعد شهر ديسمبر أقل شهور السنة في معدل الإشعاع الشمسي، حيث بلغ في كل من محطة جازان وصبيا وأبي عريش ٢٨١ و ٢٩٢ و ٣٠٨ سعر / حراري على التوالي، ويرجع فارق المعدل بين المحطتين إلى فارق الارتفاع وأيضاً تأثير الموقع بالنسبة لدائرة العرض — كما سبق الإشارة لذلك في جدول ١، فمحطة أبي عريش تقع إلى الجنوب الشرقي من محطة صبيا مما يجعلها تستقبل كمية أكبر من الأشعة.

٢. الحرارة Temperature.

يتضح من خلال الجدول (٣) والشكل (٣) أبرز خصائص معدلات درجة الحرارة في سهل تهامة بمنطقة جازان، وذلك كالآتي:

ترتفع المعدلات الحرارية الفصلية والسنوية في سهل تهامة بمنطقة جازان بصفة عامة، إضافة إلى تقارب تلك المعدلات في جميع الشهور؛ ويرجع ذلك إلى موقع المنطقة في النطاق المداري شبه الموسمي، إذ سجلت محطة

(١) تم حسابه من الاناليما ، وهي رسم بياني خاص يبين موقع الشمس على درجات العرض المختلفة في كل أيام السنة (علم المناخ المعاصر ، لنعمان شحادة ، ١٩٩٨م ، ص ٥٧).

جدول (٢)

المعدل الشهري والفصلي والسنوي لكمية الإشعاع الشمسي" سعر/حراري/اليوم "

في بعض محطات سهل تهامة بمنطقة جازان ١٩٨٥ – ٢٠٠٩م.

الشهر	المحطة	جازان♣		صبيا		أبو عريش	
		الشهري	الفصلي	الشهري	الفصلي	الشهري	الفصلي
ديسمبر	الشتاء	٢٨١		٢٩٢		٣٠٨	
يناير		٢٩٠	٢٩٩	٢٩٦	٣٠٣	٣١٧	٣٣٤
فبراير		٣٢٧		٣٢٢		٣٧٨	
مارس	الربيع	٣٦٨		٣٩٧		٤٢٠	
أبريل		٣٩٧	٣٩٠	٤٣٠	٤٢٢	٤٧٦	٤٦٢
مايو		٤٠٦		٤٣٩		٤٩١	
يونيو	الصيف	٤٣٦		٣٧٨		٤٢٣	
يوليو		٤٢٧	٤١٦	٣٢٢	٣٣٧	٣٥٠	٣٧٢
أغسطس		٣٨٦		٣٠٩		٣٤٢	
سبتمبر	الخريف	٤٠٧		٣٦٤		٣٨٣	
أكتوبر		٣٣٤	٣٥٧	٣٦٧	٣٤٩	٣٧٥	٣٦٠
نوفمبر		٣٣١		٣١٥		٣٢٣	
المعدل السنوي		٣٦٦		٣٥٣		٣٨٢	

المصدر: وزارة المياه والكهرباء، إدارة تنمية موارد المياه، شعبة الهيدرولوجيا، بيانات غير منشورة.

♣ محطة تم تقدير متوسطاتها بتطبيق معادلة أنجستروم «الجراش، ١٩٩٥م : ٨٤ – ٩٥»

أبي عريش أدنى قيمة للمتوسط السنوي حيث وصلت إلى ٢٥,٧ درجة مئوية، بينما سجلت محطة صبيا أعلى قيمة للمتوسط السنوي (٣١,٢ درجة مئوية)، ويرجع ارتفاع المتوسط السنوي في سهل تهامة بمنطقة جازان إضافة إلى الموقع الفلكي وانخفاض السطح مما يسهم في قلة التباين بين المعدلات الفصلية لدرجة الحرارة.

• يقل التباين في درجات الحرارة بين شمال وجنوب سهل تهامة، إذ يبلغ فرق المتوسط السنوي للحرارة بين محطة جازان الواقعة على دائرة عرض ٥٣ َ ١٦ ْ ومحطة صبيا الواقعة على دائرة عرض ١٦ َ ١٧ ْ لا يتجاوز ٠,٧ ْم؛ ويرجع ذلك لصغر مساحته.

• تسجل أعلى درجة حرارة في فصل الصيف، وذلك بقيم تبلغ ٢٩,١ و ٣٣,٩ و ٣٤,٨ درجة مئوية، في كل من محطة أبي عريش وجازان وصبيا على التوالي؛ ويرتبط ذلك بسيطرة منخفض شبه الجزيرة العربية ومنخفض الهند الموسمي الحار خلال هذا الفصل. ويسجل شهر يونيو أعلى معدلات درجة الحرارة العظمى خلال فصل الصيف، وذلك بمعدلات تبلغ ٣٤,٧ ْم و ٣٨,٣ ْم و ٤٠,٥ ْم، في كل من محطة أبي عريش وجازان وصبيا على التوالي، كما سجلت أعلى معدلات درجة الحرارة الصغرى في شهر يونيو أيضاً، وتسجل محطة صبيا أعلى قيمة ٢٩,٨ ْم، تليها محطة جازان بفارق طفيف لا يتجاوز ٠,١ ْم، ثم محطة أبي عريش بقيمة تبلغ ٢٤,٣ ْم وهذه المعدلات مرتفعة مقارنة بمعدل درجة الحرارة الصغرى في بقية مناطق المملكة (الجراش، ١٩٩٢م: ١٨). ويرجع ارتفاع الحرارة في الفترة من يوليو إلى سبتمبر

شكل (٢)
المعدل الشهري لكمية الإشعاع الشمسي، في سهل تهامة بمنطقة جازان ٥٨٩١ – ٩٠٠٢م.

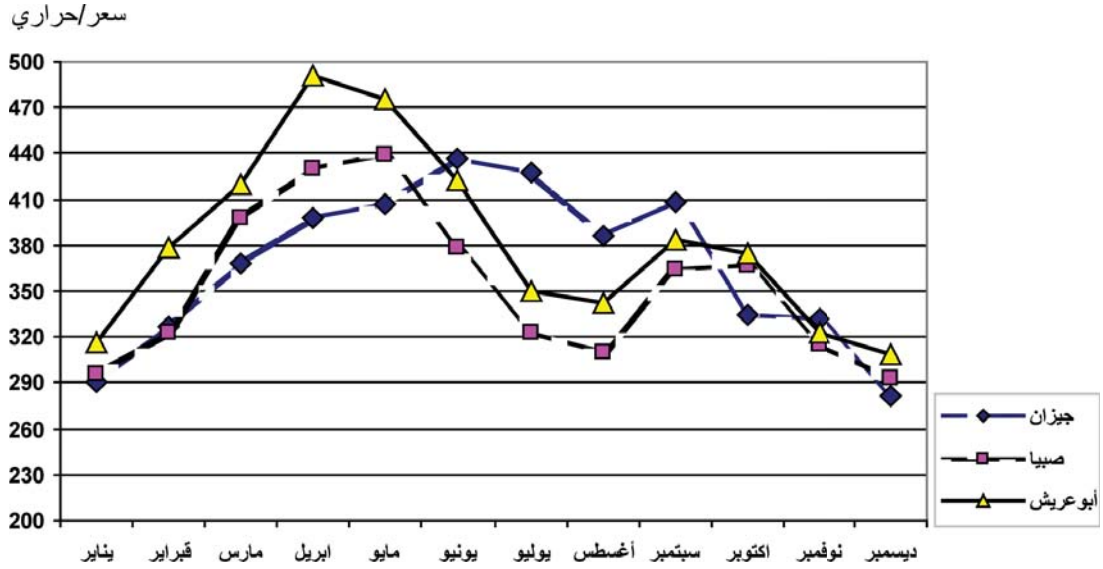

إلى التيارات الهوائية الشرقية القادمة مع امتداد منخفض الهند الموسمي الحار والجاف وسيطرته على معظم مناطق المملكة وبسبب تقدم الكتلة الهوائية القارية المدارية (الرئاسة العامة للأرصاد، ٢٠٠٢م: ١٠) والتي تؤثر على منطقة جازان في فصل الصيف.

• أما أدنى المعدلات الفصلية فتسجل في فصل الشتاء، وذلك بقيم تبلغ ٢١,٧ و ٢٦,٥ و ٢٧,٤ درجة مئوية في كل من محطة أبي عريش وجازان وصبيا على التوالي، ويسجل شهر يناير خلال هذا الفصل أدنى المعدلات الشهرية في جميع محطات سهل تهامة، إذ تبلغ: ٢٢,٢ – ٢٦,٠ – ٢٦,٩ ْم في كل من محطة أبي عريش وجازان وصبيا على التوالي، كما أن أدنى درجة حرارة عظمى سجلت خلال هذا الشهر أيضاً، وذلك بمعدلات تبلغ٢٦,٢ ْم و ٣١,٢ ْم و ٣١,٦ ْم في كل من محطة أبي عريش وجازان وصبيا على التوالي. وبالتالي يتضح أن المدى الحراري بين أعلى وأدنى حرارة عظمى لا يتجاوز ٩,٣ ْم في سهل تهامة.

• وفي فصلي الاعتدال «الخريف والربيع» نجد أن المدى الحراري لمتوسط درجة الحرارة لا يتجاوز ٠,٧ درجات مئوية. ويرجع ارتفاع درجة الحرارة في فصل الربيع إلى امتداد تأثير منخفض السودان الموسمي، وفي نهاية فصل الخريف تتدرج قيم الحرارة في الانخفاض التدريجي حتى حلول فصل الشتاء.

ثالثاً: الرياح Wind.

يتضح من خلال الجدول (٤) الخاص بالمعدلات الشهرية والفصلية لسرعة الرياح «كم/الساعة «، أن أعلى معدل سنوي لسرعة الرياح في سهل تهامة سجل في محطة أبي عريش تليها محطة ملاكي ثم محطة صبيا، وذلك بقيم تبلغ ٦,٩ و ٦,٥ و ٥,٦ كم / الساعة على التوالي، ويتمثل أعلى معدل لسرعة الرياح في محطة أبي عريش الواقعة على ارتفاع ٦٩ متر فوق مستوى سطح البحر، وذلك بقيمة بلغت ٦,٩ كم/الساعة، تليها محطة جازان الواقعة على ارتفاع ٧ متر، ثم محطة صبيا الواقعة على ارتفاع ١٩٠ متر، وذلك بقيمة بلغت ٦,٥ و ٥,٦ كم/الساعة. ويتضح أيضاً أن أعلى معدل فصلي لسرعة الرياح قد سجل في فصل الصيف، حيث بلغ في محطة أبي عريش و جازان وصبيا ٨,٥ و ٧,٢ و ٦,٦ كم / الساعة، على التوالي، ويرجع ذلك إلى ارتفاع الحرارة صيفاً، مما يؤدي إلى نشاط حركة الرياح نتيجة لتبادل الهواء بين مستويات مختلفة قريبة من السطح. أما أقل معدل فصلي لسرعة الرياح فقد سجل في فصل الشتاء، حيث بلغ في كل من محطة صبيا فأبي عريش ثم جازان بمعدلات بلغت ٤,٣ و ٦,٠ و ٦,١ كم / الساعة على التوالي. كما سجل أعلى معدل شهري لسرعة الرياح في

جدول (٣) المتوسط الشهري لدرجة الحرارة (درجة مئوية) العظمى والصغرى ومعدلها الفصلي والسنوي في سهل تهامة بمنطقة جازان١٩٨٥ – ٢٠٠٩م.

المحطة		جازان				صبيا				أبي عريش			
		الشهري			المعدل الفصلي	الشهري			المعدل الفصلي	الشهري			المعدل الفصلي
الشهر		العظمى	الصغرى	المتوسط		العظمى	الصغرى	المتوسط		العظمى	الصغرى	المتوسط	
ديسمبر	الشتاء	٣١,٦	٢٢,٣	٢٩,١	٢٦,٦	٣٢,٧	٢٢,٦	٢٩,٣	٢٧,٤	٢٧,١	١٧,٠	٢٢,٠	٢١,٧
يناير		٣١,٢	٢٠,٣	٢٦,٠		٣١,٦	٢١,٥	٢٧,٥		٢٦,٢	١٦,٢	٢١,٢	
فبراير		٣١,٦	٢٠,٥	٢٦,١		٣٢,٠	٢١,٩	٢٧,٦		٢٦,٨	١٦,٨	٢١,٨	
مارس	الربيع	٣٢,٧	٢٣,٩	٢٦,٦	٣٠,٥	٣٤,٠	٢٤,٠	٢٧,٤	٣١,٥	٢٨,٥	١٨,٥	٢٣,٥	٢٥,٨
إبريل		٣٥,٤	٢٥,٧	٢٨,٣		٣٧,١	٢٥,٨	٢٩,٠		٣١,٥	٢٠,٢	٢٥,٨	
مايو		٣٧,٥	٢٧,٥	٣٠,٦		٣٩,٦	٢٧,٩	٣١,٥		٣٤,١	٢٢,٤	٢٨,٢	
يونيو	الصيف	٣٨,٣	٢٩,٧	٣٢,٥	٣٣,٩	٤٠,٠	٢٩,٨	٣٤,٨	٣٤,٨	٣٤,٥	٢٤,٣	٢٩,٤	٢٩,١
يوليو		٣٨,٣	٢٩,٦	٣٣,٩		٤٠,٣	٢٩,٢	٣٣,٨		٣٤,٧	٢٣,٦	٢٩,١	
أغسطس		٣٨,٠	٢٩,٤	٣٤,١		٣٩,٤	٢٩,٢	٣٤,٩		٣٣,٩	٢٣,٥	٢٨,٧	
سبتمبر	الخريف	٣٨,٠	٢٨,٣	٣٣,٧	٣١,٣	٣٩,٤	٢٨,٣	٣٤,٣	٣١,٧	٣٣,٨	٢٢,٧	٢٨,٣	٢٦,١
أكتوبر		٣٦,٧	٢٥,٩	٣٣,٢		٣٧,٢	٢٦,١	٣٣,٩		٣١,٦	٢٠,٥	٢٦,١	
نوفمبر		٣٤,١	٢٤,١	٣١,٣		٣٤,٧	٢٣,٩	٣١,٧		٢٩,٢	١٨,٣	٢٣,٨	
المعدل السنوي		٣٠,٦				٣١,٣				٢٥,٧			

المصدر: الرئاسة العامة لمصلحة الأرصاد، ووزارة الزراعة، ٢٠١٠م.

شهر يوليو، إذ يبلغ في كل من محطة أبي عريش وجازان و صبيا بحوالي ٩,٥ و ٧,٧ و ٧,٦ كم / الساعة على التوالي. أما أقل معدل شهري لسرعة الرياح فقد سجل في شهر يناير، حيث بلغت فيه سرعة الرياح في كل من محطة صبيا وملاكي وجازان ٤,٢ و ٥,٧ و٦,١كم / الساعة على التوالي.

رابعاً: الرطوبة الجوية Atmospheric Moisture.

تتمثل مصادر الرطوبة في سهل تهامة في مياه البحر الأحمر الذي يوازيه غرباً، إضافة لوجود مصبات الأودية والتي تنحدر من المرتفعات الجبلية شرقا وتمتد متوازية على امتداد سهل تهامة، وعليه فإن معدل الرطوبة النسبية في سهل تهامة مرتفع بصفة عامة، ويؤكد هذه الحقائق بيانات الجدول (٥) حيث يتضح الآتي:

- يزيد المعدل السنوي للرطوبة النسبية عن ٥٠٪ في جميع محطات سهل تهامة، حيث يصل إلى ٦٣,٩٪ و ٦٢,٨ ٪ و ٦٢,٦ ٪، في كل من محطة جازان وأبي عريش وصبيا على التوالي.
- ترتفع الرطوبة النسبية في فصل الشتاء ؛ نظراً لدفء البحر الأحمر ووقوع المنطقة ضمن الظروف المدارية وكذلك هبوب الرياح الجنوبية الرطبة، وأعلى معدل للرطوبة النسبية خلال فصل الشتاء بلغ ٦٩,٢٪ في محطة جازان، وذلك بزيادة قدرها ٥,٣ عن المعدل

شكل (٣)
المتوسط الفصلي لدرجة الحرارة المئوية في سهل تهامة بمنطقة جازان.

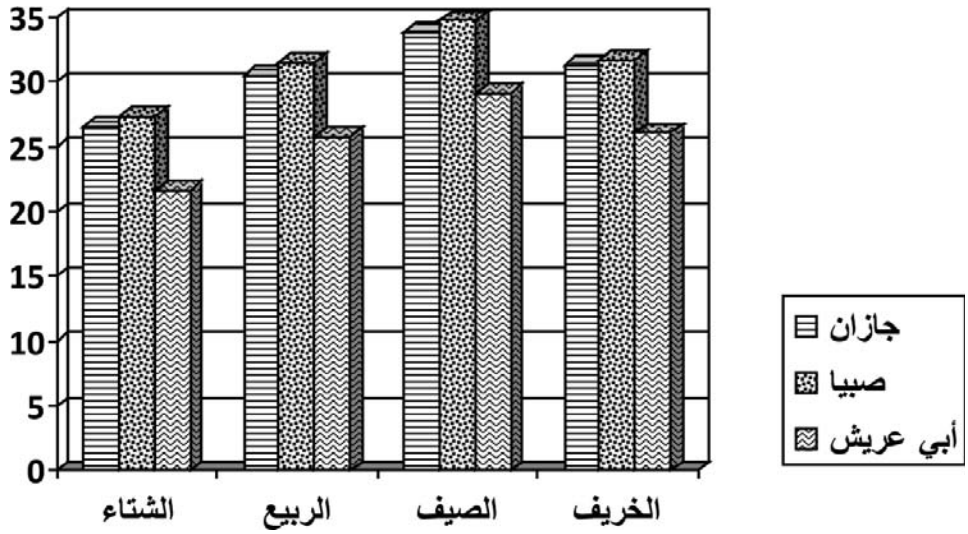

السنوي للرطوبة، ويقل معدل الرطوبة النسبية تدريجيا وبنسبة قليلة مقدارها ١,٩ ٪ بالاتجاه نحو الشرق حيث يصل في محطتي أبي عريش وصبيا إلى٦٧,٣ — ٦٧,٥ ٪ على التوالي، ويرجع ارتفاع الرطوبة في سهل تهامة بمنطقة جازان بصفة عامة إلى ارتفاع نسب التبخر بسبب ارتفاع حرارة مسطح البحر الأحمر. ويعد شهر يناير أعلى شهور الشتاء تسجيلا للرطوبة النسبية، حيث تسجل محطة جازان ٦٩,٧ ٪ ، وذلك بزيادة قدرها ٥,٨ ٪ عن المعدل السنوي، ويقل عن ذلك بالاتجاه شرقاً في محطتي صبيا وأبي عريش، وذلك بفارق طفيف يبلغ ١,٦ ٪.

• تبدأ الرطوبة النسبية مع بداية فصل الربيع في الانخفاض التدريجي، وهذا أمر طبيعي يرجع لارتفاع درجة الحرارة نسبيا عن حرارة الشتاء، إضافة لهبوب الرياح الجنوبية الغربية الحارة وحركة منخفض السودان الموسمي، كما أن لتزحزح منطقة التجمع الحراري المدارية نحو الشمال أثراً في خفض الرطوبة النسبية في هذا الفصل. ويصل المعدل الفصلي للرطوبة النسبية في فصل الربيع إلى ٦٣,٠٪ في محطة جازان ويقل بالاتجاه شرقا حيث يصل إلى ٦١,٧ — ٦١,٣٪ في محطتي أبي عريش وصبيا على التوالي حيث البعد نسبياً عن المؤثرات البحرية مقارنة بمحطة جازان المطلة على الساحل. ويعد شهر مارس أعلى شهور الربيع تسجيلاً للرطوبة النسبية والتي تصل إلى ٦٦,٤٪ في محطة جازان وتقل بفارق ٠,٤ ٪ في محطتي صبيا وأبي عريش.

• تنخفض الرطوبة النسبية في فصل الصيف لتصل أدناها؛ ويرتبط ذلك بارتفاع حرارة اليابس وفي المقابل حرارة مياه البحر الأحمر والتي تكون غالبا مرتفعة لوقوع المنطقة ضمن الظروف المدارية وسيطرة الجبهة دون المدارية وهبوب الرياح الجنوبية الغربية مع انخفاض حالات السكون، ويسجل أدنى معدل في محطة أبي عريش وصبيا ٥٧٪، ويزيد عن ذلك في محطة جازان بفارق ٣,٣٪ نتيجة قربها من المؤثرات البحرية. ويسجل شهر يوليو أدنى قيم لدرجة الرطوبة النسبية في سهل تهامة، إذ بلغت حوالي ٥٨,٣٪ في محطة جازان، بزيادة قدرها ٢,٥٪ عن محطة أبي عريش الواقعة إلى الشرق منها. كما تصل الرطوبة النسبية العظمى أدنى معدلاتها في شهور فصل الصيف فقد سجل أدنى معدل لها في شهر يوليو ٧٥,٠ و ٧٥,٤ و ٨٥,٢ ٪ في كل من محطة أبي عريش وصبيا وجازان على التوالي. وكذلك الرطوبة النسبية الصغرى تسجل أقل معدلاتها في شهور فصل الصيف.

• تبدأ الرطوبة النسبية في فصل الخريف في الزيادة التدريجية، ويرجع ذلك إلى تأثير الرياح الجنوبية الغربية والتي تساعد على رفع الحرارة وانخفاض الرطوبة النسبية،

ويصل المعدل الفصلي في الخريف إلى: ٦٣,١ و٦٤,٥ و٦٥,٣٪ في كل من محطة جازان وصبيا وأبي عريش على التوالي، كما يتضح أن شهر أكتوبر أقل شهور فصل الخريف في الرطوبة النسبية حيث يبلغ ٦٢,٧٪ في محطة جازان، بانخفاض قدره ١,٢٪ عن المعدل السنوي، ويرجع ذلك إلى تأثير منخفض السودان الموسمي أثناء عودته إلى هضبة الحبشة، أما في أواخر فصل الخريف أي في شهر نوفمبر فإن الرطوبة النسبية تبدأ في الارتفاع التدريجي.

خامساً: الأمطار Rain.

تتأثر أمطار سهل تهامة في منطقة جازان بمجموعة من العوامل أهمها الموقع المداري والقرب من المسطحات المائية الممثلة في البحر الأحمر والمحيط الهندي، واتجاه الرياح والتي غالبا ما تهب من الغرب أو الجنوب الغربي إضافة لارتفاع درجة الحرارة الذي يساعد على نشاط التيارات الهوائية الصاعدة، وتعد الأمطار التصاعدية النمط الرئيسي للأمطار بسهل تهامة كمنطقة مدارية؛ نظرا لارتفاع درجة الحرارة وزيادة نشاط تيارات الحمل الصاعدة «Convectional». وتتضح خصائص أمطار سهل تهامة في منطقة جازان، من خلال بيانات الجدول (٦)، وذلك كالآتي:

• تقل الأمطار الشتوية بصفة عامة في سهل تهامة، وعند سقوطها تزداد معدلاتها في الشمال وتقل في الجنوب؛ ويرجع ذلك إلى تأثير المنخفضات الجوية التي تنحرف من البحر المتوسط وتتقدم جنوبا على طول البحر الأحمر حتى شمال سهل تهامة بمنطقة جازان. وتؤكد المتوسطات الشهرية أن شهر يناير يعد شهرا غير ممطر فمتوسط كمية الأمطار خلال هذا الشهر تقل عن ٥٪ من المتوسط السنوي في أغلب المحطات (العريشي، ٢٠٠٤: ٧٥)، وبذلك يعد شهراً جافاً وفقاً لتطبيق معادلة توم (Thom، ١٩٥٤)، كما أن أقل المتوسطات الشهرية سجلت في شهر فبراير وخاصة في جنوب سهل تهامة.

• تسقط أمطار سهل تهامة في فصل الربيع؛ نتيجة التقاء الكتل الهوائية جنوب البحر الأحمر (الاحيدب، ١٩٩٥م: ٢٣)، والتي تؤدي إلى زيادة نشاط التيارات الهوائية الصاعدة، وهذه الأمطار ترافق العواصف الرعدية وأغلبها يسقط بعد الظهر، إضافة إلى تأثير منخفض السودان الموسمي، وتؤكد البيانات الإحصائية زيادة المتوسطات الشهرية في فصل الربيع مقارنة بمتوسطات فصل الشتاء، و يمثل شهر إبريل أكثر شهور فصل الربيع أمطاراً، وأعلى كمية سجلت في محطة أبي عريش ١٨,٢ملم.

• تسقط أغلب أمطار سهل تهامة بمنطقة جازان في فصلي الصيف والخريف؛ نتيجة لارتفاع درجة الحرارة وزيادة تحدر الضغط الذي ينتج عنه زيادة سرعة الرياح القادمة من البحر الأحمر في الغرب، وبالتالي زيادة نشاط التيارات الهوائية الصاعدة الرطبة إضافة لتأثير الرياح الجنوبية الغربية والرياح الغربية الرطبة، ويحتل فصل الصيف المركز الأول في نسب التساقط بصفة عامة، وأعلى متوسط يسجل في محطة أبي عريش ٧٤,٦ ملم حيث تقترب من منطقة الأصدار[٢] ، الواقعة في مهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية الرطبة، مما يؤدي لزيادة الأمطار المرافقة في الغالب للعواصف الرعدية والتي يزداد معدلها في شرق سهل تهامة.

• يزداد المتوسط الفصلي لأمطار الصيف في الجنوب ويقل بالاتجاه شمالا بمحاذاة خط الساحل، فعلى سبيل المثال يتناقص متوسط الأمطار الصيفية بالاتجاه نحو الشمال بقيم تبلغ: ٣٥,٨ – ١٩,٩ ملم في كل من محطتي جازان وصبيا على التوالي. كما يلاحظ أن المتوسطات الشهرية خلال فصل الصيف شديدة التباين حيث إن أمطار شهر يونيو قليلة جدا، حيث سجلت محطة صبيا ٠,٠٣ملم كما سجلت محطتا أبي عريش وجازان قيمة تبلغ ١,٠ ملم؛ ويرجع ذلك إلى زيادة نشاط التيارات الهوائية الجافة التي تؤدي لهبوب العواصف الرملية والترابية. اما أعلى متوسط فقد سجل في شهر أغسطس، وهو الشهر الذي يمثل أعلى متوسطات حدوث العواصف الرعدية في منطقة جازان (العريشي، ٢٠٠٨م: ٨٩)، وأقل متوسط سجل في محطة صبيا وذلك بما يمثل ٩,٥ ٪ من المتوسط السنوي، مما يؤكد

(٢) الأصدار لفظ محلي يطلق على المرتفعات التي تفصل السهل الساحلي غربا عن المرتفعات الجبلية العالية شرقا.

جدول (٤)
المعدلات الشهرية والفصلية لسرعة الرياح "كم/ ساعة " , بسهل تهامة في منطقة جازان خلال الفترة من ١٩٨٥ــ٢٠٠٩م .

	المحطة	جازان		صبيا		أبي عريش	
الشهر		الشهري	الفصلي	الشهري	الفصلي	الشهري	الفصلي
ديسمبر		٦,١		٤,٢		٦,١	
يناير	الشتاء	٦,١	٦,١	٤,٢	٤,٣	٥,٧	٦,٠
فبراير		٦,٢		٤,٦		٦,٣	
مارس		٦,٤		٥,١		٦,٧	
إبريل	الربيع	٦,٤	٦,٤	٥,٢	٥,٢	٦,٨	٦,٨
مايو		٦,٣		٥,٢		٧,٠	
يونيو		٦,٦		٥,٨		٧,٧	
يوليو	الصيف	٧,٧	٧,٢	٧,٦	٦,٦	٩,٥	٨,٥
أغسطس		٧,٢		٦,٣		٨,٤	
سبتمبر		٦,٣		٥,١		٧,١	
أكتوبر	الخريف	٦,١	٦,١	٤,٨	٤,٧	٦,١	٦,٥
نوفمبر		٦,٠		٤,٣			
المتوسط السنوي		٦,٥		٥,٦		٦,٩	

المصدر: الرئاسة العامة لمصلحة الأرصاد, ووزارة الزراعة, ٢٠١٠م.

على أن أغسطس يعد شهرا ممطرا في جميع المحطات.

• تعد أمطار فصل الخريف والذي يتسم بزيادة نشاط العواصف الرعدية أعلى من أمطار فصل الربيع والذي يتسم بزيادة نشاط العواصف الترابية والرملية. وذلك بنسب تبلغ: ٣٣,٦ - ٣١,١ — ٢٩,٩ ٪ من المتوسط السنوي في كل من محطة أبي عريش وصبيا وجازان على التوالي، وتزداد كمية الأمطار خلال شهر أكتوبر في محطتي صبيا وجازان. وسجلت محطة أبي عريش أعلى المتوسطات الشهرية في شهر سبتمبر؛ وذلك لوقوعها جنوب شرق سهل تهامة والذي يتسم بسقوط معظم أمطاره في فصل الصيف.

سادساً: التبخر Evaporation.

يعد التبخر من العوامل المؤثرة في قياس الاحتياجات المائية للنبات Measurement of water require-ment ، فعلى سبيل المثال نجد أن كمية ١٠٠ سم مطر قد تكون مناسبة للزراعة في العروض المعتدلة لكنها غير كافية في الجهات المدارية لارتفاع كمية المياه المفقودة من التربة والنبات (البخرنتح evopotranspiration) في المناطق المدارية كما هو الحال في سهل تهامة وخاصة في شهور فصل الصيف، حيث إن ارتفاع معدلات التبخر في مختلف فصول السنة يرتبط بمقدار التغير في قيم درجات الحرارة وذلك في علاقة طردية، فعندما ترتفع قيم درجة الحرارة نجد أن قيم التبخر تزداد، ويؤكد هذه الحقائق أن أعلى معدلات التبخر سجلت في فترات الحرارة المرتفعة خلال فصل الصيف، كما توجد علاقة طردية أيضا بين التبخر وسرعة الرياح، لذلك يلاحظ أن أعلى الشهور تسجيلاً لسرعة الرياح هي شهور الصيف لذلك يزداد التبخر بها، ويرجع ذلك إلى أن الرياح عندما تهب تعمل على خلط جزيئات الماء الموجودة على شكل بخار في الهواء الملامس لسطح الماء، مع طبقات الهواء الأعلى الأكثر جفافاً من السفلى، مما يساعد على زيادة كمية المياه المبخرة، وإضافة لذلك نجد أن للرطوبة النسبية تأثيراً على التبخر، والذي يحدث ما لم يصل الهواء إلى درجة التشبع، وبالتالي نجد أن ارتفاع الرطوبة النسبية يؤدي إلى تناقص معدلات التبخر؛ لأن الهواء الرطب يكون مشبعا ببخار الماء. ومن خلال الجدول (٧) الخاص بالمعدلات

جدول (٥)

المعدل الشهري للرطوبة النسبية العظمى والصغرى " ٪ " والمدى بينهما في منطقة الدراسة , خلال الفترة من ١٩٨٥ــ ٢٠٠٩م .

المحطة		جازان				صبيا				أبي عريش			
		الشهري			المعدل الفصلي	الشهري			المعدل الفصلي	الشهري			المعدل الفصلي
الشهر		العظمى	الصغرى	المدى		العظمى	الصغرى	المدى		العظمى	الصغرى	المدى	
ديسمبر	الشتاء	٩٤,١	٤٦,٢	٦٩,٣		٩٠,٥	٤٤,٨	٦٧,٦		٨٩,٠	٤٦,٢	٦٨,٠	
يناير		٩٣,٥	٤٥,٩	٦٩,٧	٦٩,٢	٨٩,٣	٤٦,٩	٦٨,١	٦٧,٥	٦٧,٥	٤٦,٨	٦٨,١	٦٧,٣
فبراير		٩٢,٣	٤٤,٤	٦٨,٧		٨٦,٤	٤٦,٨	٦٦,٧		٩٠,١	٤٢,٣	٦٦,٠	
مارس	الربيع	٩١,٦	٤٢,٤	٦٦,٤		٨٥,٨	٤٦,٢	٦٦,٠		٩٠,٩	٤٠,٠	٦٦,٠	
إبريل		٨٩,٦	٣٤,٥	٦٢,٠	٦٣,٠	٨١,٠	٣٩,٩	٦٠,٢	٦١,٣	٨١,٠	٣٩,٠	٦٠,٠	٦١,٧
مايو		٨٨,٩	٣٢,٠	٦٠,٦		٧٩,٢	٣٦,٣	٥٧,٨		٧٨,٦	٣٨,٢	٥٩,١	
يونيو	الصيف	٨٦,٧	٣٣,٦	٦٠,٢		٧٧,٦	٣٥,٨	٥٦,٦		٧٨,٢	٣٦,١	٥٧,٠	
يوليو		٨٥,٢	٣١,٢	٥٨,٣	٦٠,٣	٧٥,٤	٣٦,٦	٥٦,٥	٥٧,٢	٧٥,٠	٣٦,٠	٥٥,٠	٥٧,٠
أغسطس		٨٨,٢	٣٥,٨	٦٢,٤		٧٨,٩	٣٩,٤	٥٩,١		٧٩,١	٣٩,٨	٥٩,٢	
سبتمبر	الخريف	٨٩,٨	٣٧,٧	٦٣,٦		٨٥,٩	٤٠,٣	٦٣,١		٨٥,٩	٤٠,٢	٦٤,٠	
أكتوبر		٩٢,٢	٣٣,٢	٦٢,٥	٦٣,١	٨٩,٠	٣٨,٢	٦٣,٦	٦٤,٥	٥٧,٢	٤٤,٢	٦٥,٠	٦٥,٣
نوفمبر		٩١,٢	٣٦,٩	٦٣,٣		٩٠,٨	٤٢,٩	٦٦,٨			٤٤,٠	٦٧,٠	
المتوسط السنوي		٩٠,٦	٣٧,٢		٦٣,٩	٨٤,٢	٤١,٠		٦٢,٦	٨٤,٥	٤١,١		٦٢,٨

المصدر: الرئاسة العامة لمصلحة الأرصاد, ووزارة الزراعة, ٢٠١٠م.

الشهرية والفصلية والسنوية للتبخر في سهل تهامة بمنطقة جازان، يتضح الآتي:

• ترتفع معدلات التبخر السنوية في سهل تهامة، حيث تصل في محطتي جازان وصبيا إلى ما قيمته ٢٨٣,٤ و ٢٩٣,١ ملم سنوياً على التوالي، ويرجع ذلك إلى وقوع المنطقة على جبهة البحر الأحمر المائية وارتفاع معدلات درجة الحرارة العظمى السنوية وارتفاع معدلات سرعة الرياح السطحية، ووقوع المنطقة ضمن الظروف المدارية الحارة والجافة.

• في فصل الشتاء تقل معدلات التبخر عن المعدلات السنوية حيث تصل إلى ١٧٥,٨ و ١٨٢,٥ ملم في محطتي جازان وصبيا على التوالي، ويرجع ذلك إلى انخفاض معدلات درجة الحرارة وارتفاع معدلات الرطوبة النسبية مع انخفاض واضح في سرعة الرياح السطحية. ويسجل شهر يناير أدنى معدلات التبخر حيث يصل معدله الشهري ١٦٩,٨ و ١٧٧,٠ ملم في محطتي جازان وصبيا على التوالي.

• في فصل الربيع ترتفع معدلات التبخر عن فصل الشتاء، حيث تصل إلى ٢٩٩,٥ و ٣١٤,٥ ملم في محطتي صبيا و جازان على التوالي، ويرجع ذلك إلى توجه المنطقة لهبوب الرياح الشرقية الجافة، بالإضافة إلى ارتفاع درجة الحرارة عن فصل الشتاء، كما تأخذ الرياح الجنوبية الغربية الحارة والجافة في الهبوب بنهاية هذا الفصل.

• في فصل الصيف تصل معدلات التبخر إلى أقصى حد لها في سهل تهامة، إذ إن المعدل الفصلي يبلغ ٣٤٨,٥ و ٣٥٢,٦ ملم في محطتي جازان وصبيا على التوالي؛ ويرجع ذلك إلى الارتفاع الشديد في درجات الحرارة والانخفاض الواضح في قيم الرطوبة النسبية مع ارتفاع معدلات سرعة الرياح بالإضافة إلى هبوب الرياح الجنوبية الغربية الجافة. ويسجل شهر يوليو أعلى معدلات التبخر في سهل تهامة حيث يبلغ في محطتي جازان وصبيا ٣٥٩,٨ و ٣٧٢,٤ ملم على التوالي، وترجع هذه الزيادة في كمية التبخر خلال هذا الشهر إلى الحرارة المرتفعة إضافة إلى انخفاض الرطوبة النسبية مقارنة

جدول (٦)
المتوسطات الشهرية والفصلية والسنوية لكميات الأمطار " ملم " في سهل تهامة بمنطقة جازان, ١٩٨٥ – ٢٠٠٩م.

المحطة		جازان		صبيا		أبي عريش	
الشهر		الشهري	الفصلي	الشهري	الفصلي	الشهري	الفصلي
ديسمبر		١٣,٤		٧,١		٥,٨	
يناير	الشتاء	١٤,٧	٣١,١	٥,٣	١٧,٦	١١,٥	٢٢,٥
فبراير		٣,٠		٥,٢		٥,٢	
مارس		١٠,٠		٤,٤		١٠,٣	
إبريل	الربيع	١٢,٦	٣١,٠	٦,١	١٦,٥	١٨,٢	٣٥,٣
مايو		٨,٤		٦,٠		٦,٨	
يونيو		١,٠		٠,٠٣		١,٠	
يوليو	الصيف	٧,٠	٣٥,٨	١٢,٥	١٩,٩	٢١,٥	٧٤,٦
أغسطس		٢٧,٨		٧,٤		٥٢,١	
سبتمبر		٩,٥		٨,٦		٣٣,٢	
أكتوبر	الخريف	٢١,٧	٤١,٨	١٢,٠	٢٤,٣	٢٤,٢	٦٦,٩
نوفمبر		١٠,٦		٣,٧		٩,٥	
المتوسط السنوي		١٣٩,٧		٧٨,٣		١٩٩,٣	

المصدر: الرئاسة العامة لمصلحة الأرصاد, ووزارة الزراعة, ٢٠١٠م.

ببقية شهور السنة مع تعرض منطقة الدراسة للعواصف الرملية والترابية الجافة.

- في فصل الخريف يحدث انخفاض ملحوظ في معدلات التبخر مقارنة بفصل الصيف، حيث يصل المعدل إلى ٢٥٤,١ و ٢٩٤,٨ ملم في محطتي صبيا وجازان على التوالي؛ ويرجع ذلك إلى الانخفاض الواضح في درجات الحرارة عن فصل الصيف وكذلك ارتفاع معدلات الرطوبة النسبية حيث تبدأ تقترب من معدلات رطوبة فصل الشتاء.

ثانياً: المتطلبات المناخية لزراعة أشجار الفاكهة ومقارنتها بمناخ سهل تهامة بمنطقة جازان.

لكل صنف من أشجار الفاكهة متطلباته المناخية التي ينبغي توفرها وإلا تعذر زراعته بنجاح، وتتضح أهمية هذه المتطلبات في تحديد موعد الزراعة المناسب الذي يمثل الخطوة الرئيسة في نجاح الإنتاج في أي منطقة زراعية، فالعناصر المناخية المتمثلة في الضوء والحرارة والرطوبة والرياح والأمطار تؤثر بشكل متباين على أشجار الفاكهة وفقاً لمدى مقاومة كل صنف للظروف المناخية. فعلى سبيل المثال نجد أن ضوء الشمس ذو تأثير محدود جداً على أشجار الفاكهة لأنها من المحاصيل الزراعية المحايدة لضوء الشمس (الراوي، ٢٠٠٥م: ١٥٠)، وبالتالي لا تتأثر بطول النهار أو قصره، كما أن الضوء لا يشكل عاملاً سالباً أمام زراعة الفاكهة في سهل تهامة الذي يتمتع بجو مشمس طوال العام، أما بقية العناصر المناخية فيمكن توضيح متطلبات كل صنف من أصناف الفاكهة منها كالآتي:

١. المانجو Mango.

يعد المانجو من أهم أشجار الفاكهة التي تنتشر زراعتها في مختلف أجزاء سهل تهامة بمنطقة جازان، ويوضح جدول (٨) الأصناف التي ثبت نجاح زراعتها في المنطقة. وتسود زراعة أشجار المانجو في المزارع الأهلية الحديثة التي تعتمد على الري المنظم، كما توجد مزارع متخصصة لزراعة المانجو تابعة لشركة جازان للتنمية الزراعية حيث مشروع اللخبصية الذي يضم ٣٠٠٠٠

شجرة تشتمل على عشرين صنفاً من المانجو، وقد دخل هذا المشروع مرحلته الإنتاجية في عام ٢٠٠٠م، وذلك بقيمة إنتاجية تبلغ ٦٩,٤ طن (العريشي، ٢٠٠١م: ٤٢)، هذا بالإضافة إلى المزارع التقليدية التي تنتشر في أجزاء واسعة في مختلف أجزاء منطقة جازان والتي تتسم بتناقص الإنتاج مقارنة بالمزارع الحديثة التي تتبع العديد من وسائل الحماية. ويمكن توضيح أهم المتطلبات المناخية التي تتحكم في مدى نجاح وانتشار زراعة أشجار المانجو في الآتي:

• الحرارة: وتمثل أهم العناصر المناخية المؤثرة على زراعة وإنتاج أشجار الفاكهة بصفة عامة، إذ تمثل المتحكم الرئيس في تحديد موسم النمو، فلكل محصول درجة حرارة مفضلة لنموه ودرجة حرارة صغرى لا ينمو تحتها ودرجة عظمى لا ينمو فوقها، أما بقية العناصر المناخية فلا تحد أو تمنع انتشار زراعة المانجو وإنما تؤثر على نوعية المحصول (الراوي، ٢٠٠٥م:١٥٠). ويعد المانجو من أشجار المناطق الاستوائية والمدارية وموطنه الأصلي الهند، ونظراً لموقع سهل تهامة في النطاق المداري نجد أن المانجو يمثل أشهر أنواع الفاكهة التي تتلاءم ظروف زراعتها مع ظروف منطقة جازان حيث الحرارة المرتفعة التي تمنع تعرضها للصقيع. إذ إن الحرارة المثلى لزراعه أشجار المانجو هي من ٢٥ — ٣٠ درجة مئوية (مديرية الزراعة بجازان، ٢٠٠٩م)، وبمقارنة هذه المتطلبات الحرارية بمناخ سهل تهامة نجد أن أدنى متوسط شهري لدرجة حرارة قد سجل في شهر يناير، بقيمة بلغت حوالي ٢١ درجة مئوية، وذلك في محطة أبي عريش، وهي بذلك تقل عن الحد الأدنى لزراعة المانجو بقيمة ٤ درجات مئوية. كما أن أعلى متوسط شهري سجل في شهر يوليو الذي يمثل منتصف فصل الصيف، حيث تبلغ درجة الحرارة حوالي ٣٥ درجة مئوية في محطة صبيا، وهو بذلك يزداد بمعدل ٥ — ٩ درجة مئوية عن الحرارة اللازمة لنمو أشجار المانجو.

كما أن الحرارة المتجمعة (المتراكمة) خلال الفترة الممتدة من بدء عملية تفتح الأزهار وعقد الثمار وحتى مرحلة النضج، تعد مهمة لجميع أنواع الفاكهة بصفة عامة، لأن عدم توفرها لا يسمح بنضج الثمار، وتبلغ كمية الحرارة المتجمعة اللازمة لنضج ثمار المانجو خلال الفترة الممتدة من بدأ عملية عقد الثمار إلى فترة النضج نحو ٦٠٠٠ درجات/يوم، وهذه الكمية كافية لنضج ثمار أشجار المانجو في سهل تهامة بمنطقة جازان معظم شهور السنة نظراً لموقعها المداري، وذلك إذا ما توفرت الشروط المناخية الأخرى.

• الرطوبة: يحتاج المانجو إلى رطوبة نسبية مرتفعة تزيد عن ٥٠٪، وتتمثل أهمية الرطوبة للنبات عندما يكون الجو في حالة تشبع حيث يؤدي ارتفاع الرطوبة النسبية في الجو إلى تقليل عملية التبخر والنتح من أوراق الأشجار، وبالتالي يقل الاحتياج المائي خلال شهور الشتاء مقارنة ببقية الشهور، وبمقارنة متطلبات أشجار المانجو من الرطوبة فقط نجد أن جميع شهور السنة في سهل تهامة ملائمة لزراعته.

• الرياح: رغم أهمية الرياح وتأثيرها الإيجابي من خلال ما تحمله من سحب مشبعة ببخار الماء والتي تسهم بدورها في سقوط الأمطار، إضافة إلى أنها تساعد على نضج بعض المحاصيل، فإنها تعمل على رفع درجة الحرارة كما تساعد الرياح الخفيفة على التوزيع المتعادل لدرجات الحرارة في الجو المحيط بالأشجار. إلا أن أشجار المانجو تتأثر بالرياح الشديدة خلال موسم النضج. لذا فإن إنتاجها يقل في شهور فصلي الربيع والصيف مقارنة ببقية شهور السنة؛ نظراً لشدة سرعة الرياح وما ينتج عنها من عواصف رملية وترابية تعمل على تساقط الثمار والأزهار وجفاف الأوراق.

• الأمطار: تحتاج أشجار المانجو إلى كمية عالية من الأمطار وخاصة خلال فترة الإزدهار حيث يعد عاملاً مهماً في تحديد عقد الثمار، ورغم انخفاض معدل أمطار سهل تهامة إلا أن ذلك لا يشكل عائقاً أمام زراعة أشجار الفاكهة بصفة عامة، إذ إن معظم المزارعين يعتمدون على الري المنظم، حيث تحتاج أشجار المانجو إلى ري منتظم بمعدل ٢ — ٣ ريات في الصيف و١ — ٢ ريتين في الربيع، والتي من أهمها نشاط العواصف الرملية والترابية إضافة إلى حاجة أشجار الفاكهة عامة والمانجو بصفة خاصة إلى ري دائم مما يتطلب انتظاماً في موارد المياه وهذا ما تفتقر إليه معظم المزارع التقليدية في منطقة

جازان.

• ويتضح مما سبق أن أفضل فترة ملائمة لإنتاج أشجار المانجو في سهل تهامة بمنطقة جازان وفقاً للمتطلبات المناخية، هي ابتداء من أكتوبر وحتى نهاية فبراير، أي بعد انتهاء موسم العواصف وخاصة الرملية.

٢. البابايا Carica Papaya.

يعد البابايا «العنبرود» من أشجار الفاكهة المدارية، وموطنه الأصلي المنطقة الاستوائية بأمريكا الجنوبية، وقد أثبتت التجارب نجاح صنف سولو الذي تعطي الشجرة الواحدة منه ٣٣,٥ كجم/السنة (جدول٨)، وقد توسع زراعة هذا الصنف في مختلف المزارع الأهلية بسهل تهامة، وتتمثل أبرز متطلباته المناخية في الآتي:

• الحرارة: يعتبر البابايا محصولاً استوائياً احتياجاته الحرارية غير محدودة كباقي المحاصيل الاستوائية وكذلك يمكنه النمو في المناطق المعتدلة الخالية من الصقيع ولكن الثمار تقل جودة في هذا الجو عن الجو الحار. وتسبب درجة الحرارة المنخفضة إلي — ٢ درجة م تحت الصفر إلي موت أنسجة النبات كما أن الدرجة المرتفعة عن ٤٣ درجة م لا يتحملها النبات وخصوصا في الجو الجاف، أما درجة الحرارة المثلى فتتراوح بين ٢١ — ٢٦ درجة مئوية. (وزارة الزراعة والمياه، ١٩٨٧م).

وبمقارنة ذلك بمناخ سهل تهامة نجد أن أدنى متوسط شهري سجل في شهر يناير أحد شهور الشتاء، بقيمة بلغت حوالي ٢١ درجة مئوية في محطة أبي عريش، وهي بذلك تمثل الحد الأدنى لزراعة الأناناس، كما أن أعلى متوسط شهري سجل في شهر يوليو الذي يمثل منتصف فصل الصيف، حيث تبلغ درجة الحرارة حوالي ٣٥ درجة مئوية في محطة صبيا، وهو بذلك يزداد بمعدل ٥ — ٩ درجة مئوية عن الحرارة المثلى اللازمة لنمو أشجار البابايا.

وبالتالي نجد أن أكثر المواسم ملاءمة لزراعة البابايا في سهل تهامة هو موسم الشتاء، حيث تزرع أشجار البابايا في أكتوبر وتنبت البذور بعد ١ — ٣ أسابيع من

جدول (٧)
المتوسط الشهري والفصلي والسنوي لكمية التبخر " ملم " في سهل تهامة بمنطقة جازان, ١٩٨٥ — ٢٠١٠م

المحطة		جازان[٣]		صبيا	
الشهر		الشهري	الفصلي	الشهري	الفصلي
ديسمبر		١٧١,٦		١٨٢,٧	
يناير	الشتاء	١٦٩,٨	١٧٥,٨	١٧٧,٠	١٨٢,٥
فبراير		١٨٥,٩		١٨٧,٩	
مارس		٢٦٨,٠		٢٥٤,٠	
إبريل	الربيع	٣١٦,٦	٣١٤,٥	٢٩٩,٦	٢٩٩,٥
مايو		٣٥٨,٩		٣٤٤,٩	
يونيو		٣٤٥,٦		٣٤٦,٨	
يوليو	الصيف	٣٥٩,٨	٣٤٨,٥	٣٧٢,٤	٣٥٢,٦
أغسطس		٣٤٠,١		٣٣٨,٧	
سبتمبر		٣٢٨,٣		٢٨٨,٩	
أكتوبر	الخريف	٣١٢,٤	٢٩٤,٨	٢٦٢,٨	٢٥٤,١
نوفمبر		٢٤٣,٧		٢١٠,٥	
المتوسط السنوي		٢٨٣,٤		٢٧٢,٢	

المصدر: وزارة المياه والكهرباء, إدارة تنمية موارد المياه, شعبة الهيدرولوجيا.

٣) بيانات الفترة (١٩٩٠ — ٢٠٠٠م).

زراعتها، ثم تنضج ثمارها بعد خمسة أشهر من الزراعة أي بدءاً من منتصف فصل الخريف حتى نهاية فصل الشتاء. بينما يقل الإنتاج في فصل الصيف نظراً لما يتسم به هذا الفصل من ارتفاع في درجة الحرارة وزيادة التبخر المؤدي للجفاف إضافة إلى تأثير العواصف الرملية والترابية والتي تزداد في فصل الصيف مقارنة ببقية شهور السنة.

• الرطوبة: تحتاج أشجار الباباى إلى رطوبة معتدلة، كما تحتاج إلى كمية قليلة من الماء من ١٥ — ٢٠لتراً للشجرة الواحدة، من ٢ — ٣ ريات صيفاً و١-٢ ريتين في الربيع.

• الرياح: تتأثر أشجار الباباي بسرعة الرياح بسبب ضعف سيقانها وثقل ثمارها ولذلك يجب حماية النباتات بمصدات الرياح.

٣. الجوافة Guava.

تعد الجوافة من أشجار فاكهة المناطق المدارية، وموطنها الأصلي المنطقة الاستوائية من أمريكا من المكسيك إلى البيرو، وتنمو تحت ظروف مناخية متباينة بالمناطق الاستوائية وتحت الاستوائية (وزارة الزراعة، مركز أبحاث الزراعة بجازان، ٢٠٠٢م)، وقد أثبتت التجارب العديدة التي أجريت في مشروع التنمية الزراعية بوادي جيزان على صلاحية زراعة هذا المحصول بنجاح في سهل تهامة حيث يوجد صنفان من أشجار الجوافة (جدول ٨)، وبالتالي فقد تم التوسع في زراعتها في مختلف مزارع سهل تهامة، كما يوجد في خبت الفلق في سهل تهامة مشروع لزراعة الجوافة تابع لشركة جازان للتنمية الزراعية، ويضم ٢٠٠٠شجرة بلغ إنتاجها عام ٢٠٠١م ١٠ أطنان (العريشي، ٢٠٠١م:٤٣)، ويرتبط نجاح وتوسع انتشار أشجار الجوافة بمدى توفر المتطلبات المناخية اللازمة للزراعة وقربها من الحدود المثلى للنمو، ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

• الحرارة: تنجح زراعة أشجار الجوافة في درجة الحرارة المرتفعة. حيث يمكن لشجرة الجوافة أن تتحمل الارتفاع فى درجة الحرارة حتى ٥٠م ولا تتحمل درجات الحرارة المنخفضة فالأشجار عادة لا تتحمل درجات حرارة أقل من — ٣ م، ويحتاج نضج الثمار من ٣ — ٦ أشهر من اكتمال الإزدهار وغالبا ما يبدأ في جمع المحصول من سبتمبر حتى نوفمبر.

• الرطوبة: تحتاج أشجار الجوافة إلى رطوبة عالية في بداية النمو، أما ارتفاع نسبة الرطوبة عند النضج فيعرض الأشجار والثمار للإصابة بالفطريات.

• الرياح: تتأذى أشجار الجوافة من الرياح التي تزيد سرعتها عن ٤٠كم/س (موسى، ١٩٨٢م: ١٥٠).

• الأمطار: إن سقوط الأمطار بمعدل ١٠٠٠-٤٠٠٠ مللم في السنة يكون مناسباً لزراعة أشجار الجوافة، ولما كانت الأمطار في سهل تهامة قليلة وغير منتظمة، فإن تحقيق وفرة في إنتاج أشجار الجوافة يجعل من الضروري توفير مياه الري المنظمة اللازمة والتي تأتي من المصادر الجوفية.

وتؤثر الأمطار على الجوافة في مرحلة الإثمار حيث تتعرض ثمار الأشجار النامية في المناطق الغزيرة الأمطار للتشقق ويكون المحصول قليلا وذلك لما تسببه الأمطار من إعاقة لعملية التلقيح وانخفاض كمية المحصول الناتجة، وبالتالي يتطلب أن تمر الأشجار بفترة جفاف خلال فترة الإزهار (وزارة الزراعة، مركز أبحاث الزراعة بجازان، ٢٠٠٢م).

وتتوقف كمية مياه الري وعدد الريات على العوامل الجوية وحالة التربة وعمر النبات فالنباتات الصغيرة يجب أن تروي طوال العام أما الأشجار الكبيرة فقد لا تحتاج للري خلال الشتاء ثم تروي في بداية فصل النمو وتوالي بالري في الفترة ما بين عقد الثمار ونضجها حيث تقل عدد الريات بعد ذلك، وبصفة عامة تحتاج أشجار الجوافة إلى حوالي ١٢ — ١٥ رية خلال العام، وذلك بمعدل ٥٠ لتراً لكل رية، وتروى رية كل يومين في الصيف وعند هبوب الرياح، وبمعدل ريتين في الأسبوع عند اعتدال الجو، وريةواحدة خلال فصل الربيع.

• وعند مقارنة هذه المتطلبات المناخية بالخصائص المناخية لسهل تهامة السابق ذكرها، يتضح أن مناخ سهل تهامة بمنطقة جازان ملائم لزراعة أشجار الجوافة، إذ إن معظم المتوسطات الشهرية لدرجة الحرارة تقترب من الحرارة المثلى اللازمة لنموها بصفة عامة، وخاصة خلال الفترة من أكتوبر حتى أبريل.

٤. الأناناس Pineapple.

جدول (٨)
متوسط إنتاج "طن" أشجار الفاكهة المدارية في منطقة جازان وفقا لصنف الشجرة.

المحصول	الصنف	متوسط الإنتاج حجم/شجرة/سنة	المميزات
المانجو	جلن	٥٧,٥٥	بدون ألياف, العمر ٦ سنوات
	تومي أنكنز	٣٩,٠٠	بدون ألياف, العمر ٧سنوات
	زل	٣٨,٢٠	بدون ألياف, العمر ٧سنوات
	بريبو	٣٦,٥٠	بدون ألياف, العمر ٧ سنوات
	سينشن	٣١,٧٥	بدون ألياف, العمر ٦ سنوات
	هندي خاص	١٧,٠٧	بدون ألياف, العمر ٦ سنوات
	جولي	١٣,٠٠	بدون ألياف, العمر ٥ سنوات
الجوافة	فاو	٣٠,٠٠	قليلة البذور, العمر ٤ سنوات
	حاكمة	٣٠,٠٠	قليلة البذور, العمر ٤ سنوات
الباباي	سولو	٣٣,٥٠	العمر سنتان
الأناناس	هاواي	٢,٩٠	يعطي كل نبات رأس (ثمرة) ١٥٠٠-١٨٠٠ثمرة/دونم العمر سنة ونصف.
	كونغو	٢,٨٥	
	ردسبش	٢,٥٨	
	شوفرلوف	٢,٢٠	
	حوبي	١,٨٥	
	يبرولا	١,٨٠	
	ناتالكوين	١,٤٢	
	برازيل	١,٠٦	

المصدر: وزارة الزراعة والمياه. (١٩٩٩م). المفكرة الزراعية, ص٧٢.

يعد الأناناس من أشجار الفاكهة المدارية، وموطنه الأصلي البرازيل والباراجواي، وتعطي شجيرة الأناناس محصولاً كبيراً حين تزرع في المناطق ذات المناخ الحار الرطب، وتوجد أصناف من الأناناس تحب درجات الحرارة العالية، يوجد منها في سهل تهامة بجازان ثمانية أصناف (جدول٨). وتتمثل أبرز متطلباته المناخية في الآتي:

• الحرارة: تتراوح درجة الحرارة المثلى لزراعة الأناناس بين ٢٥ – ٣٥ درجة مئوية. وبمقارنة ذلك بمناخ سهل تهامة نجد أن أدنى متوسط شهري سجل في محطة أبي عريش في شهر يناير أحد شهور الشتاء، ، وذلك بقيمة بلغت حوالي ٢١ درجة مئوية، وهي بذلك تقل عن الحد الأدنى للحرارة المثلى لزراعة الأناناس بقيمة تبلغ ٤ درجات مئوية. كما أن أعلى متوسط شهري سجل في شهر يوليو الذي يمثل منتصف فصل الصيف، حيث تبلغ درجة الحرارة حوالي ٣٥ درجة مئوية في محطة صبيا، وهو بذلك يمثل الحد الأعلى للحرارة المثلى لزراعة أشجار الأناناس.

• الرطوبة: يحتاج الأناناس إلى رطوبة عالية حتى ينمو بنجاح ويروى بوضع الماء في قلب النبات قبل الإزدهار.

• الأمطار: يحتاج الأناناس إلى كمية عالية من مياه الأمطار، وحيث إن سهل تهامة يتسم بقلة كمية الأمطار فإن زراعة الأناناس تعتمد على الري المنظم، وتبلغ كمية الري ما بين ٧٥٠٠ – ٨٠٠٠ ملم/هكتار، ويجب أن يكون الري معتدلا بحيث تجف الأرض قليلا

قبل ريها في الصيف وفي الشتاء يتم الري باقتصاد بحيث تحافظ على جفافها بقدر الإمكان، ويرجع ذلك إلى أن جذور شجرة الأناناس لا تتعمق في التربة، ونموها ضعيف وسرعان ما تنمو جذور عرضية وتنتشر أفقياً.

• يتم تكاثر الأناناس بالفسائل النباتية أو الخلفات أو العقل، وجميعها يتم فصلها عن النبات، ثم يتم زراعتها حتى تصبح شجيرة الأناناس لتثمر مرة واحدة في حياتها، ثم يبدأ الإثمار بعد ١٨ شهراً من الزراعة، ويحتاج ٤-٦ أشهر لنضج الثمار.

يتضح مما سبق أن أشجار الفاكهة المختارة بصفة عامة يمكن زراعتها في سهل تهامة بمنطقة جازان في مدى واسع من درجة الحرارة التي تعد المتحكم الرئيس في زراعة وإنتاج أشجار الفاكهة، وأن أنسب فترة لزراعتها هي الفترة الممتدة من منتصف فصل الخريف حتى نهاية فصل الشتاء (أكتوبر – فبراير) حيث درجة الحرارة الملائمة للنمو التي تقترب من الحد الأمثل للنمو مما يضمن تحقيق إنتاجية عالية.

ثالثاً: تأثير المناخ على مساحة وإنتاج أشجار الفاكهة.

على الرغم من التقدم الذي تحقق في مجال الزراعة إلا أن الظروف المناخية تلعب دوراً حاسماً في نجاح المحصول الزراعي أو فشله، إذ إن للتغيرات التي تحدث في ظروف الطقس العديد من التأثيرات على زراعة أشجار الفاكهة وقد تحدث بسببها الكثير من الخسائر المادية التي تؤدي إلى قلة إنتاجيتها، وبالتالي يتعرض المزارعون إلى حدوث العديد من المشكلات، وتعد الفواكه من المحاصيل التي تحتاج إلى رعاية دائمة من المزارعين كما تتطلب توفر مياه الري على مدار العام، وذلك مقارنة بالمحاصيل الموسمية الممثلة في الحبوب والخضروات، والجدير بالذكر أن زراعة أشجار الفاكهة في المزارع المتخصصة بسهل تهامة التابعة لشركة جازان للتنمية الزراعية تتم على أسس علمية بحيث تتبع العديد من وسائل الحماية التي تجنب تعرض المحصول للمخاطر البيئية، أما المزارع الأهلية التقليدية فتفتقر إلى الأسس العلمية في وسائل حماية أشجار الفاكهة، مما يؤدي إلى تفاقم المشكلات الناتجة عن تأثير المناخ على زراعة وإنتاج الفاكهة، ويمكن توضيح أبرز هذه المشكلات في الأتي:

١. مشكلات ناتجة عن التطرف في درجة الحرارة:

لكل محصول زراعي درجة حدية Cardinal Temp تحدث عندها تغيرات حساسة في حيوية النبات والنمو وطاقته الإنتاجية، وداخل هذا المدى توجد الدرجة المثلى التي تقوم عندها النباتات بعملياتها الحيوية المتنوعة مثل التمثيل الضوئي، التنفس، النتح، وغيرها على أفضل حال وبأعلى كفاءة، وكلما كانت درجة الحرارة السائدة في موسم النمو أقرب إلى الدرجة الحدية كان ذلك أنسب لنمو النبات حيث يعطي المحصول أفضل إنتاج من حيث الكمية والنوعية، ويتمثل تأثير ارتفاع درجة الحرارة عن الحد الأعلى اللازم لنمو هذه الأشجار خلال فترة نضج الثمار في تساقط الثمار والأزهار بسبب الجفاف، وكذلك إلى حدوث تشوهات في الثمار مما يقلل من جودتها، كما أن حبوب اللقاح تفقد حيويتها ويضعف نمو أنبوب اللقاح بارتفاع الحرارة، إضافة لذلك نجد أن ارتفاع الحرارة في بداية النمو يسبب قتل الجذور السطحية أو تقليل نموها، حيث يقل نشاط الجذور بارتفاع وانخفاض درجة الحرارة عن المعدل.

وفي المقابل نجد أن الانخفاض الحراري عن الحد الأدنى اللازم للنمو يتسبب في إبطاء معدلات العمليات الحيوية التي تجري داخل النبات وينعكس ذلك على النمو وتخزين المواد الغذائية والإثمار وتكوين البذور وغيرها من العمليات المعقدة التي تعتبر حصيلة النظم الفسيولوجية في النبات. ويلاحظ أن الأشجار الكبيرة قوية النمو أكثر مقاومة لانخفاض الحرارة من الأشجار الصغيرة أو ضعيفة النمو، كما أن الأزهار الحديثة الغضة تكون أكثر تأثراً من الثمار الصغيرة وتليها الثمار الكبيرة ثم الأوراق البالغة.

٢. مشكلات ناتجة عن ارتفاع الرطوبة النسبية:

تعمل الرطوبة على تخفيف حدة الجفاف فتقلل فقد الماء الناتج من عميلة النتح بواسطة الأوراق، كما تمثل عاملا هاما في تنظيم الإشعاع الشمسي مما يساعد في توزيع الحرارة على سطح الأرض (جاوة، ١٩٩٧م:

٨٥)، أما زيادة نسبتها في مرحلة نضج المحصول فإنها قد تسبب أمراضاً فطرية للنبات. ويرتبط تلف الثمار بزيادة الرطوبة التي تؤثر على الثمار حتى بعد الحصاد، إذ إن المحاصيل المخزونة تصاب بالعفن، وبالتالي يحرص أغلب المزارعين على تجفيف الثمار قبل التخزين لحفظ نسبة الرطوبة بها.

٣. مشكلات ناتجة عن زيادة سرعة الرياح:

إن تأثير الرياح على زراعة وإنتاج أشجار الفاكهة يعد محدوداً، إلا إذا زادت سرعتها عن المعدل، وخاصة الرياح الجافة الحارة التي تعمل على زيادة البخر والنتح من النباتات، والذي يزداد عن معدله زيادة تدريجية وفقا لسرعة الرياح حيث يزداد ٥٠٪ عن المعدل عندما تزيد سرعة الرياح عن ٢٤كم/الساعة (الرئاسة العامة للأرصاد وحماية البيئة،٢٠٠٢م:٤٨)، مما يؤدي إلى زيادة معدل الاستهلاك المائي للمحاصيل الزراعية أي زيادة الاحتياج المائي للنبات من أجل تعويض الفاقد، كما أن زيادة النتح تجعل الأشجار تسحب الماء من الثمار التي تصاب بالجفاف مما يسهل عملية انفصالها عن الشجرة وسرعة تساقطها على الأرض بمجرد اهتزاز الأغصان اهتزازا بسيطا، وفي سهل تهامة بمنطقة جازان نجد أن معظم مزارع الفاكهة تعتمد على الري المنظم وذلك لتقليل الأضرار الناتجة عن النتح وخاصة خلال أشهر الصيف حيث تزداد عدد مرات الري عند هبوب الرياح الجافة.

ومن الواضح أن سرعة الرياح تؤدي إلى إثارة الغبار والأتربة وبالتالي زيادة نسبة الرمل بالتربة الزراعية مما يؤدي إلى إعاقة امتصاص المحاصيل الزراعية للماء الموجود في التربة. ويزداد التأثير في المزارع التقليدية في المناطق الساحلية القريبة من البحر الأحمر غربا حيث الرياح المحملة بالأملاح والأتربة وخاصة مع وفرة الكثبان الرملية التي تمتد طوليا بمحاذاة الساحل، لذا فإن زراعة أشجار المانجو على سبيل المثال في سهل تهامة يتم غالبا وسط أحزمة واقية من مصدات الرياح يتم إنشاؤها قبل البدء في الزراعة بسنة على الأقل.

كما تؤدي زيادة سرعة الرياح إلى فقد عصارة الأغصان مما يؤدي إلى جفافها وبالتالي سرعة تكسرها، وخاصة أشجار الفاكهة التي لا تتحمل سيقانها السرعة العالية للرياح كأشجار الباباي، أما في مرحلة النضج فإن زيادة سرعة الرياح تتسبب في سقوط البراعم الزهرية والأزهار وبالتالي قلة تكوين الثمار الصغيرة، ويبرز هذا التأثير بوضوح عندما ترتبط فترة ظهور البراعم بالفترة التي تنشط بها الرياح العاصفة «الغبرة»، والتي تؤثر على سبيل المثال على أشجار المانجو في فترة نضج الثمار بطريقة مباشرة، حيث إن ارتطام الأتربة والرمال بثمار المانجو يؤثر على الإنتاج حيث يؤدي إلى حدوث ثقوب في الثمار، وبالتالي دخول ذرات الأتربة والرمال إلى وسط الثمار مسببة مرض العفن. كما أن شدة الرياح المحملة بالأتربة تحدث تشققاً أو تمزقاً بأنسجة النبات الخارجية مما يعرضها إلى سهولة الإصابة ببعض الأمراض النباتية التي تحدث إصاباتها من خلال الجروح.

وتتأثر أشجار الفاكهة بالرياح الجافة التي تزيد سرعتها عن « ١٠٠كم/الساعة»، مما يؤدي إلى اقتلاع الأشجار، وخاصة عندما تتفق مع بداية مراحل النمو، حيث تؤدي إلى حدوث تدمير كامل للنباتات التي تعجز عن مقاومتها، كما حدث في مساء يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٥/٨/٢٩م حيث تعرضت منطقة جازان لرياح عاصفة شديدة تعد من أعنف العواصف التي تعرضت لها المنطقة منذ فترة زمنية طويلة، وقد أدت إلى اقتلاع العديد من أشجار الفاكهة كما أدت إلى تساقط معظم الأزهار والثمار، وكذلك تدمير العديد من المحاصيل الزراعية التي تتضرر من زيادة سرعة الرياح وخاصة أشجار المانجو والباباي.

٤. مشكلات ناتجة عن تذبذب كمية الأمطار.

تمثل مياه الأمطار المصدر الرئيسى للمياه العذبة اللازمة لنمو المحاصيل الزراعية بصفة عامة سواء من خلال التساقط المباشر أو من المياه الجوفية، ويتضح أن التساقط المباشر لا يشكل عائقاً في زراعة أشجار الفاكهة في المزارع الحديثة بسهل تهامة التي تعتمد على الري المنظم من المياه الجوفية، وإنما يتضح تأثيره على المزارع التقليدية التي تعتمد على الزراعة البعلية، وفي هذه المزارع نجد أن كمية المطر ليست دليلا على نجاح الزراعة، إذ المهم أن تسقط الأمطار في الوقت المناسب وهو فصل

النمو الذي تزداد فيه حاجة النبات إلى الماء.

وكما أن نقص كمية الأمطار الساقطة يؤدي إلى تقليص المساحة المزروعة وقلة كمية الإنتاج، فإن غزارتها أيضا تؤثر على المحاصيل، حيث تؤدي إلى تكون المستنقعات وسط الحقول الزراعية مما يؤدي إلى تضييق المجال الذي تنتشر فيه الجذور واختناقها بسبب قلة التهوية وبالتالي موت النباتات. ويرتبط بتكون المستنقعات انتشار البكتيريا والجراثيم المسببة للأمراض النباتية، ومن أمثلة الأمراض التي تحدث نتيجة لذلك أمراض التصمغ وخاصة في بعض أشجار الفاكهة وأمراض شلل وذبول الأطراف (المشهدي، ١٩٧٩م:٣١)، ومن أهم أمراض التصمغ في سهل تهامة بمنطقة جازان مرض المن أو العسال «قملة النبات» والذي يؤثر تأثيراً بالغاً على المحاصيل الزراعية.

كما تساعد غزارة الأمطار أيضا على انتشار حشرة البق الدقيقي التي تصيب الجوافة، كما تعمل على نشر الأمراض البكتيرية بين الأشجار وذلك عندما تتساقط قطرات المطر فوق الأوراق العلوية المصابة بالبكتيريا وتنقلها إلى الأوراق السفلية مما يعرضها للإصابة، فقد تصاب أشجار المانجو بمرض ذبول الأطراف وتعفن الثمار، وينتج عن هذه الإصابة موت الأجزاء الطرفية من الأغصان وسقوط الأوراق وجفاف الأزهار، كما قد يمتد الفطر من الأغصان إلى الثمار فيسبب عفنا فيها، ويبدأ العفن عند موضع اتصال الثمرة بالعنق (السرسي والعريشي، ١٩٩٥م:٢٠٥).

إضافة إلى ذلك نجد أن غزارة الأمطار قبل بدء موسم زراعة الفاكهة تؤدي إلى نمو وتكاثر الأعشاب الضارة والتي يصعب التخلص منها، كما تعمل الأمطار الغزيرة على اندماج الطبقات السطحية من التربة وتؤخر نمو البادرات من البذور، أما في بداية النمو فتؤدي إلى سهولة جرف البذور والبادرات الصغيرة وكذلك تدمير براعم النباتات الصغيرة وأزهارها. كما تؤثر شدة الجريان على أشجار الفاكهة من خلال انجراف تربة الأراضي الزراعية أو اقتلاع الأشجار من جذورها وتعرية المجموع الجذري وبالتالي تعرضه للآفات أو الموت نتيجة التأثير المباشر للأشعة الشمسية (وزارة الزراعة، ٢٠٠٤م:١٦).

وعلى الرغم من أهمية سقوط الأمطار على المنطقة الجبلية المحاذية لسهل تهامة شرقاً، والتي تنحدر مياهها غرباً عبر الأودية التي تمتد بشكل متواز على طول سهل تهامة (شكل ٤) والتي تتضح أهميتها فيما ينتج عنها من سيول تسهم في تنمية الزراعة، إلا أن لسوء التخطيط وعدم إتباع الطرق الصحيحة لحماية الأراضي الزراعية وخاصة في المزارع الأهلية أثراً في تفاقم السيول وتحولها من مصدر ري إلى عامل مؤثر، وذلك بجرفها للعقوم «السدود الترابية» ونقلها إلى الأراضي المروية وترسيبها مما يؤدي إلى رفع منسوب الأرض الزراعية وخاصة مع تكرار حدوث ذلك سنوياً، كما يتضح تأثيرها من خلال نقل مخلفات المصانع ومخلفات المدن والمزارع الملوثة بالمواد الكيماوية كالمبيدات الحشرية والأسمدة إلى أراض زراعية غير ملوثة مما يؤدي إلى انتشار الأمراض بها، كما هو الحال في المزارع الواقعة شرق محافظة أحد المسارحة.، ونظرا لذلك نجد أن أشجار الفواكه في سهل تهامة بصفة عامة غالباً لا تزرع قرب مجاري الأودية كما هو الحال في مزارع الحبوب والخضروات، خاصة أن الأراضي الصفراء الخفيفة تعد من أجود الأراضي لزراعتها في حين لا ينصح بزراعتها في الأراضي الطينية الثقيلة (وزارة الزراعة، مركز أبحاث الزراعة بجازان، ٢٠٠٢م).

رابعاً: علاقة العناصر المناخية بكمية إنتاج أشجار الفاكهة.

بعد أن تم تحديد موسم إنتاج كل صنف من أصناف الفاكهة الملائمة للظروف المناخية في سهل تهامة بمنطقة جازان وفقاً لمتطلباتها المناخية، تم توضيح كمية إنتاج بعض أصناف الفاكهة المختارة (جدول ٩)، واستخلاص قيم العناصر المناخية خلال موسم النضج (جدول ١٠)، أي قيم المعدل الشهري للفترة الممتدة من شهر أكتوبر حتى شهر فبراير، في الفترة من عام ٢٠٠٠م / ٢٠٠٩م، ، وهي الفترة التي تم اختيارها لتوفر بيانات الإنتاج. ثم تحليل العلاقة الارتباطية بين كل عنصر من العناصر المناخية وإنتاج الفاكهة بالتطبيق على محطة جازان (جدول ١١)، وذلك كالآتي:

١. فاكهة المانجو.

• الحرارة: تؤكد قيم معامل الارتباط Multiple

شكل (٤)
أودية سهل تهامة بمنطقة جازان.

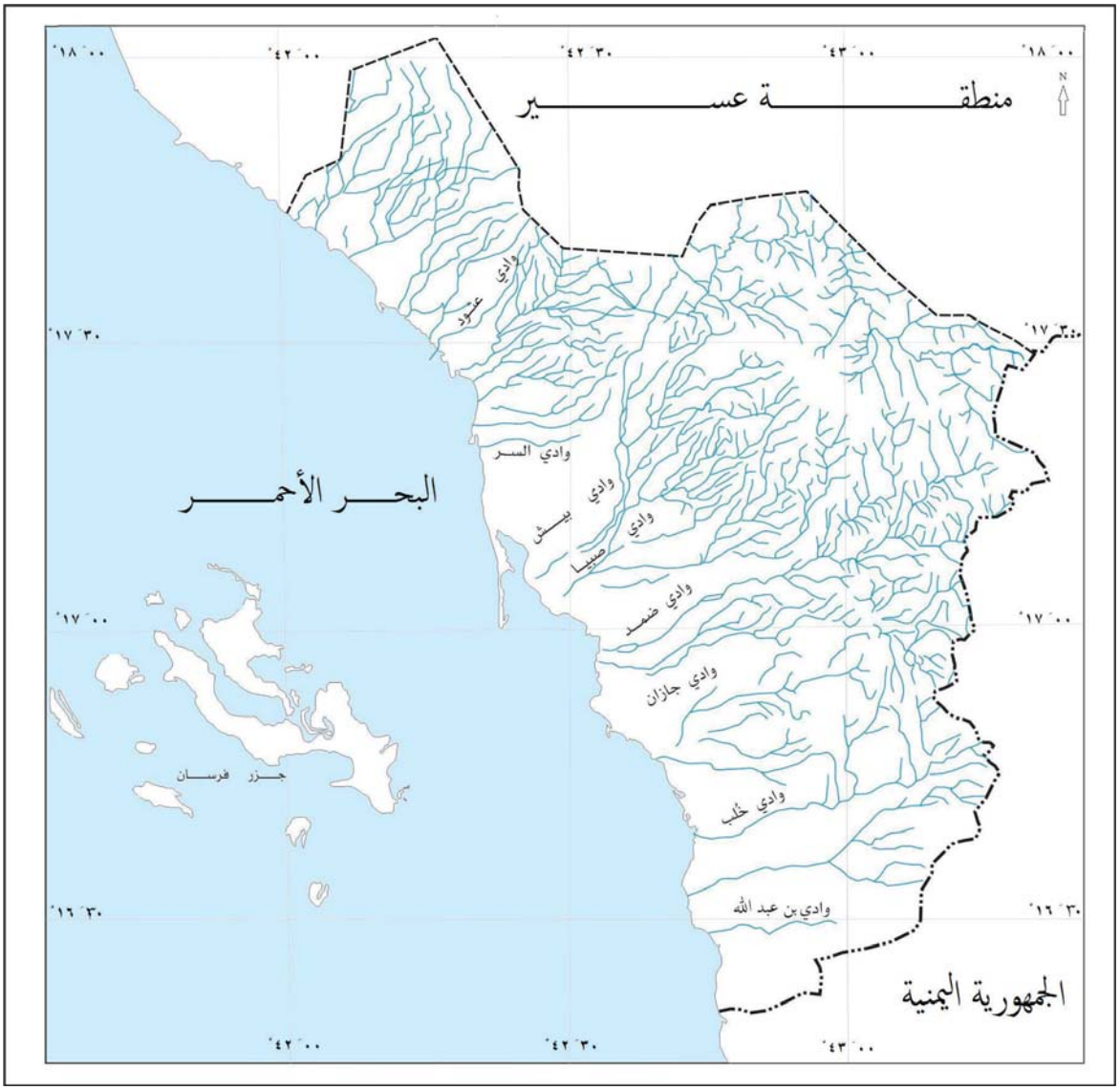

المصدر: وزارة الشئون البلدية والقروية (٢٠٠٦م)١-٣٥، الخرائط المساحية، ١:٥٠٠٠٠ (بتصرف).

R أن إنتاج فاكهة المانجو يرتبط ارتباطاً طردياً بمتوسط الحرارة تبلغ قيمته ٠,٤٤، كما يرتبط بالحرارة العظمى ارتباطاً طردياً متوسطاً بقيمه تبلغ ٠,٥٧، أما ارتباطها بالحرارة الصغرى فهو ارتباط طردي ضعيف إذ جاء بقيمه تبلغ ٠,٢١، ويدل ذلك على أن الحرارة العظمى لا ترتفع كثيرا عن الحد الحراري الأعلى اللازم للنمو، كما أن الحرارة الصغرى لا تنخفض عن الحد الأدنى اللازم للنمو، مما يؤكد على أن الحرارة المثلى ملائمة لإنتاج المانجو في سهل تهامة خلال موسم النضج، ولا تؤثر على نقص أو ارتفاع كمية الإنتاج، لاسيما أن قيمها تميل إلى الثبات، إذ إن التباين في قيمها من عام لآخر قليل ولا يؤثر على تذبذب الإنتاج بصفة عامة. ويؤكد ذلك مستوى الدلالة الذي يبلغ ٠,٠٨ و ٠,٥٥ لكل من الحرارة العظمى والصغرى على التوالي، مما يؤكد على أن الارتباط غير دال إحصائيا «»Insignificant.

• الرطوبة النسبية: يرتبط إنتاج المانجو بالرطوبة

جدول (٩)
إنتاج أشجار الفاكهة المختارة بالطن, في سهل تهامة بمنطقة جازان.
٢٠٠٠/٢٠٠٩م

الفاكهة / العام	المانجو	البابايا	الجوافة
٢٠٠٠	١٢٠٠٠	١٦٠٠	٩٠٠
٢٠٠١	١٠٠٠٠	٨٠٠	١٠٠٠
٢٠٠٢	١٢٠٠٠	١٢٠٠	٩٥٠
٢٠٠٣	١١٠٠٠	١١٠٠	٩٠٠
٢٠٠٤	١٢٠٠٠	٥٠٠	١٢٠٠
٢٠٠٥	١٥٠٠٠	١٠٠٠	١٣٠٠
٢٠٠٦	٢٠٠٠٠	٢١٠٠	١٠٠٠
٢٠٠٧	٢٥٠٠٠	٢١٠٠	١٠٠٠
٢٠٠٨	٢٦٠٠٠	٢٢٠٠	١١٠٠
٢٠٠٩	٢٧٨٠٠	٢٣٠٠	١٥٠٠

المصدر: فرع وزارة الزراعة بجازان, إدارة التنمية والإحصاء, ٢٠١٠م.

النسبية ارتباطاً طردياً قوياً تبلغ قيمته ٠,٧٠ و ٠,٨٢ لكل من الرطوبة العظمى والصغرى على التوالي، إذ إن المانجو من المحاصيل التي تتطلب ارتفاعا في قيم الرطوبة النسبية في الجو، وبالتالي فإن أي انخفاض في معدلاتها ينعكس سلبا على كمية الإنتاج. ويؤكد مستوى الدلالة أن ارتباط الرطوبة بالمانجو ذو أهمية معنوية حيث إن الارتباط دال إحصائياً «»Significant، وذلك بقيمة تبلغ ٠,٠٢ و ٠,٠٠٣ لكل من الرطوبة العظمى والصغرى على التوالي، ويرجع ذلك إلى أن قيم الرطوبة تتباين من عام لآخر وأن هذا التباين يؤثر على تباين كمية الإنتاج.

• الرياح: ترتبط الرياح بإنتاج المانجو ارتباطاً عكسياً قوياً، حيث يبلغ معامل الارتباط – ٠,٧٠ Multiple R، وهذا الارتباط دال إحصائيا»»Significant، حيث يبلغ مستوى الدلالة ٠,٠٢، مما يدل على أن ارتباط الإنتاج بسرعة الرياح معنوي وذو دلالة إحصائية، ففي الوقت الذي تزداد فيه سرعة الرياح تقل كمية الإنتاج والعكس.

• الأمطار: تؤكد قيم معامل الارتباط أن علاقة المانجو بكمية الأمطار علاقة طردية متوسطة تبلغ قيمتها ٠,٥٣، وهذا الارتباط غير دال إحصائيا حيث تبلغ قيمة مستوى المعنوية ٠,١١، ويرجع ذلك إلى أن أشجار فاكهة المانجو تزرع بالاعتماد على الري المنظم، عدا بعض المزارع الأهلية التي تعتمد في الري على التساقط المباشر للأمطار.

٢. فاكهة البابايا.

• الحرارة: ارتباط الحرارة العظمى بإنتاج فاكهة البابايا ارتباط طردي متوسط « ٠,٥٠ « وليس لهذا الارتباط أهمية معنوية، حيث بلغ مستوى الدلالة الإحصائية ٠,١٤، كما ترتبط الحرارة الصغرى به أيضا ارتباطاً طردياً ضعيفاً تبلغ قيمته ٠,٢١ «، وقد بينت قيم مستوى المعنوية على أن هذا الارتباط أيضا غير دال إحصائيا «»Insignificant، حيث تبلغ قيمة مستوى الدلالة ٠,٩٥، ويرجع ذلك لكون الحرارة لا ترتفع أو تنخفض كثيرا عن الحد الحراري اللازم لنمو البابايا، حيث تعد ملائمة بصفة عامة كما أن تباينها قليل مما يضعف علاقة تذبذب كمية الإنتاج بها.

• الرطوبة: ترتبط الرطوبة النسبية العظمى والصغرى بإنتاج فاكهة البابايا ارتباطاً طردياً قوياً، يبلغ ٠,٨٠ و ٠,٨١ لكل منهما على التوالي، ويدل ذلك على

جدول (١٠)
المعدلات الشهري لعناصر المناخ, خلال موسم النضج لأشجار الفاكهة المختارة.
في الفترة من عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٩م.

العام	العنصر	متوسط الحرارة (م)	الحرارة العظمى (م)	الحرارة الصغرى (م)	متوسط الرطوبة النسبية	الرطوبة النسبية العظمى	الرطوبة النسبية الصغرى	أعلى سرعة للرياح كم/س	كمية الأمطار ملم
٢٠٠٠		٢٧,٩	٣٣,٠	٢٢,٨	٦٩,٧	٩٣,٤	٤٦,٠	٢٠	٢١,٩
٢٠٠١		٢٨,١	٣٢,٧	٢٣,٦	٦٣,٧	٨٧,٤	٤٠,٠	٣١	٢٦,٦
٢٠٠٢		٢٨,٢	٣٣,١	٢٣,٤	٦٥,٢	٩٠,٤	٤٠,٠	٢٥	٣٦,٠
٢٠٠٣		٢٧,٧	٣٢,٣	٢٣,٠	٦٤,٥	٩٢,٦	٣٦,٤	٢٧	٦٩,٢
٢٠٠٤		٢٧,٨	٣٢,٥	٢٣,٢	٦٥,٦	٨٩,٢	٤٢,٠	٢٦	١٥٣
٢٠٠٥		٢٧,٩	٣٢,٩	٢٣,٠	٦٧,٤	٩١,٦	٤٣,٢	٢٢	٤,٣
٢٠٠٦		٢٧,٩	٣٢,٨	٢٣,٠	٧٠,٠	٩٢,٠	٤٨,٠	٢٥	٣٥,٧
٢٠٠٧		٢٧,٩	٣٢,٢	٢٣,٦	٧٠,٧	٩٤,٢	٤٧,٢	٢١	٢٤٦,٨
٢٠٠٨		٢٨,٦	٣٤,١	٢٣,١	٧١,٣	٩٣,٨	٤٨,٨	٢٠	٧١,٩
٢٠٠٩		٢٨,٨	٣٤,٢	٢٣,٤	٧١,٥	٩٤,٠	٤٩,٠	١٩	١٤٣,٧

المصدر: الرئاسة العامة للأرصاد الجوية وحماية البيئة, ٢٠١٠م.

أن الإنتاج يزداد مع وفرة الرطوبة الجوية والعكس، و هذا الارتباط دال إحصائيا «»Insignificant حيث تبلغ قيمة مستوى الدلالة ٠,٠٠٥ و ٠,٠٠٤ لكل من الرطوبة العظمى والصغرى على التوالي.

• الرياح: تعد سرعة للرياح من أقوى العناصر المناخية المؤثرة تأثيراً سلبياً على إنتاج فاكهة البابايا لضخامة ثمارها وضعف سيقانها كما سبق توضيحه، ويؤكد ذلك قيمة معامل الإرتباط Multiple R حيث ترتبط سرعة الرياح بإنتاج البابايا ارتباطا عكسيا تبلغ قيمته – ٠,٦٩، كما بلغ مستوى الدلالة الإحصائية لهذا الارتباط ٠,٠٢ وهو أقل من مستوى الدلالة المحدد «٠,٠٥» مما يدل على وجود علاقة قوية بين إنتاج فاكهة البابايا وبين سرعة الرياح وأن الارتباط بينهما معنوي وذو أهمية أو دلالة إحصائية «»Significant.

• الأمطار: بينت قيم معامل الارتباط Multiple R بين إنتاج فاكهة البابايا وبين الأمطار «٠,٣٠» أن هناك علاقة ارتباط طردي متوسط بينهما، كما بينت قيم الدلالة أنه ليس هناك أهمية أو دلالة «»Insignifi-cant للأمطار عند مستوى دلالة ٠,٠٥، فقد كانت قيمة الدلالة ٠,٣٨، ويرجع ذلك إلى أن فاكهة البابايا كغيرها من أشجار الفاكهة تعتمد على الري المنظم، عدا بعض المزارع الأهلية التي تعتمد على مياه الأمطار في الري.

٣. فاكهة الجوافة.

• الحرارة: ترتبط الحرارة بإنتاج أشجار فاكهة الجوافة ارتباطا موجبا تصل قيمته إلى ٠,٥٦ و ٠,١٥ لكل من الحرارة العظمى والصغرى، وقد بينت قيم الدلالة أنه ليس هناك أهمية أو دلالة «»Insignifi-cant عند مستوى معنوية تساوي ٠,٠٥، فقد كانت قيمة الدلالة للحرارة العظمى ٠,٠٩، وللحرارة الصغرى ٠,٩٨، ومعنى هذا أن ليس هناك علاقة قوية وواضحة بين الحرارة وبين إنتاج فاكهة الجوافة، ويرجع ضعف العلاقة إلى عدم وضوح التباين في قيم الحرارة ولكون أشجار الجوافة تتحمل التباين في الحرارة.

• الرطوبة: تؤكد قيم معامل الارتباط Multiple R أن هناك ارتباطا موجبا بين الرطوبة النسبية وبين إنتاج أشجار فاكهة الجوافة، إذ تبلغ قيمة الارتباط ٠,٤١ و ٠,١٢ لكل من الرطوبة الصغرى والعظمى على التوالي، كما تؤكد قيم الدلالة لهذا التحليل على أن هذا الارتباط غير دال إحصائيا «»Insignificant، حيث تبلغ قيمة

جدول (١١)
ارتباط العناصر المناخية بإنتاج أشجار الفاكهة بسهل تهامة في منطقة جازان.
خلال الفترة من ٢٠٠٠م إلى ٢٠٠٩م.

العناصر المناخية	المانجو		البابايا		الجوافة	
	معامل الارتباط Multiple R	مستوى الدلالة Signif	معامل الارتباط Multiple R	مستوى الدلالة Signif	معامل الارتباط Multiple R	مستوى الدلالة Signif
متوسط الحرارة	٠,٤٤	٠,١٩	٠,٣٣	٠,٣٣	٠,١٣	٠,٧٠
الحرارة العظمى	٠,٥٧	٠,٠٨	٠,٥٠	٠,١٤	٠,٥٦	٠,٠٩
الحرارة الصغرى	٠,٢١	٠,٥٥	٠,٢١	٠,٩٥	٠,١٥	٠,٩٨
متوسط الرطوبة النسبية	٠,٨٧	٠,٠٠١	٠,٨٩	٠,٠٠١	٠,٣٣	٠,٣٤
الرطوبة النسبية العظمى	٠,٧٠	٠,٠٢	٠,٨٠	٠,٠٠٥	٠,١٢	٠,٧٢
الرطوبة النسبية الصغرى	٠,٨٢	٠,٠٠٣	٠,٨١	٠,٠٠٤	٠,٤١	٠,٢٤
سرعة الرياح	- ٠,٧٠	٠,٠٢	-٠,٦٩	٠,٠٢	- ٠,٤٠	٠,٢٤
الأمطار	٠,٥٣	٠,١١	٠,٣٠	٠,٣٨	٠,٢٣	٠,٥١

المصدر: ناتج معامل ارتباط بيرسون.

مستوى الدلالة ٠,٧٢ و ٠,٠,٢٤ لكل من الرطوبة العظمى والصغرى على التوالي، ويرجع ذلك إلى تحمل أشجار الجوافة للرطوبة المرتفعة.

• الرياح: يتأثر إنتاج فاكهة الجوافة كغيرها من أشجار الفاكهة بسرعة الرياح تأثيراً سلبياً، ويؤكد ذلك قيم معامل الارتباط Multiple R والتي بلغت - ٠,٤٠ ، أي توجد علاقة ارتباط عكسية متوسطة بين إنتاج فاكهة الجوافة وسرعة الرياح، كما تؤكد قيم الدلالة على أن هذا الارتباط غير دال إحصائيا «»Insignificant، حيث تبلغ قيمة مستوى الدلالة ٠,٢٤، مما يؤكد أن أشجار الجوافة تعد أكثر مقاومة لسرعة الرياح مقارنة بأشجار المانجو والباباي، وذلك مقارنة بقيم معاملات الارتباط وقيم الدلالة السابقة.

• الأمطار: ترتبط كمية الأمطار المباشرة بإنتاج فاكهة الجوافة ارتباطاً طردياً ضعيفاً « ٠,٢٣ «، أما مستوى الدلالة فيؤكد أنه ليس هناك أهمية معنوية (Insignificant) أي ليس هناك علاقة واضحة بين الأمطار وإنتاج الجوافة، حيث تبلغ قيمة مستوى الدلالة «٠,٠١ « مما يؤكد اعتماد المزارعين في زراعتها على الري المنظم من المياه الجوفية، وبالتالي تكاد تقتصر زراعتها على المزارع الأهلية الحديثة في حين تقل زراعتها في المزارع التقليدية.

النتائج والتوصيات

النتائج.

من تحليل البيانات ومناقشتها توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- أن سهل تهامة ونتيجة لموقعة الفلكي في النطاق المداري، نجده يتسم بارتفاع معدلات الحرارة بصفة عامة خلال شهور السنة حيث يتراوح متوسط درجة الحرارة بين ٢٥,٧ م و ٣١,٢ م، مما جعله منطقة ملائمة لزراعة أشجار الفاكهة الاستوائية وشبه الاستوائية كالمانجو والبابايا والجوافة والأناناس.

- يتميز سهل تهامة بقلة التباين الفصلي في خصائصه المناخية. نظراً لاستواء السطح ولظروف الموقع الجغرافي بمحاذاة ساحل البحر الأحمر غرباً، إذ إن المدى الحراري لمتوسط درجة الحرارة بين فصلي الصيف والشتاء لا يتجاوز ٧,٤ درجات مئوية في جميع محطات سهل تهامة.

– رغم ملاءمة مناخ سهل تهامة بمنطقة جازان لزراعة أشجار الفاكهة المدارية بصفة عامة، إلا أنها تتعرض لبعض التأثيرات الناتجة عن المناخ ومنها ارتفاع الرطوبة النسبية حيث تصل الرطوبة العظمى في فصل الشتاء إلى ٩٠٪ في معظم المحطات، وكذلك زيادة معدلات سرعة الرياح، إضافة إلى تأثيرات ناتجة عن غزارة الأمطار في بعض المواسم، والتي تؤثر بشكل خاص على المزارع التقليدية.

– يعتبر موسم الشتاء الفترة المثلى لإنتاج الفواكه المدارية في سهل تهامة، وبخاصة في الفترة الممتدة من بداية شهر أكتوبر وحتى نهاية شهر فبراير، إذ أنه خلال هذه الفترة تقل الأضرار المناخية التي قد تتعرض لها محاصيل الفاكهة.

– تعد الرياح في سهل تهامة من أقوي العناصر المناخية تأثيراً على إنتاج أشجار الفاكهة المدارية والمتمثلة في المانجو والباباي والجوافة، حيث ترتبط سرعة الرياح بكمية الإنتاج ارتباطا عكسياً قوياً تبلغ قيمته – ٠,٧٠ و – ٠,٦٩ و – ٠,٤٠ لكل من المانجو والبابايا والجوافة على التوالي، وهذا الارتباط ذو أهمية معنوية. إذ إنه كلما زادت سرعة الرياح كلما قل الإنتاج.

– ضعف العلاقة الارتباطية في سهل تهامة بين كمية الأمطار وزراعة وإنتاج أشجار الفاكهة المدارية بكمية الأمطار الساقطة، وبخاصة فاكهة المانجو حيث تبلغ قيمة معامل الارتباط ٠,٥٣، ويرجع ذلك إلى أن زراعة الفاكهة تقوم بشكل أساس على المياه الجوفية بطرق الري المنظمة. ما عدا بعض المزارع الأهلية التقليدية التي تعتمد على الأمطار، وخاصة في زراعة أشجار البابايا التي ترتبط كمية إنتاجها بالأمطار ارتباطا طرديا متوسطاً ويرجع ذلك إلى قلة متطلباتها من المياه مقارنة ببقية أشجار الفاكهة المدارية.

التوصيات.

في ضوء النتائج السابقة تطرح الدراسة التوصيات الآتية:

– إجراء المزيد من الدراسات المستقبلية وبخاصة الأبحاث التطبيقية التي ترتبط بدراسة تأثير الظواهر الطبيعية الجوية على مختلف المحاصيل الزراعية في سهل تهامة، والتي سوف يكون لها دورٌ هامٌ في تنمية وزيادة كميات الإنتاج الزراعي، وذلك بهدف تحقيق الاكتفاء الذاتي لتلبية احتياجات السكان المتزايدة، لكونها منطقة واعدة في مجال التنمية الزراعية.

– زيادة عدد محطات البحوث المناخية والتجارب الزراعية والعملية في منطقة جازان، ودعم الأبحاث التطبيقية في مجال المناخ التطبيقي بهدف إدخال محاصيل زراعية جديدة تتلاءم وظروف مناخ سهل تهامة.

– دعم المزارعين المهتمين بزراعة أشجار الفاكهة في منطقة جازان، على غرار الدعم الذي تقوم به الدولة للمحاصيل الأخرى مثل القمح والتمور، حتى تتمكن منطقة جازان ليس فقط من سد الاحتياج المحلي والوطني بل أيضاً المساهمة في التصدير إلى خارج المملكة.

– الأخذ بإستراتيجية التوسع الأفقي من خلال استغلال المساحات الصالحة للزراعة وغير المستغلة حالياً، إضافة إلى التوسع الرأسي بزيادة الإنتاجية وزراعة محاصيل الفاكهة المدارية التي تعد ذات عائد اقتصادي مرتفع.

– توعية المزارعين بأهمية زراعة أشجار الفاكهة في المواسم التي تتوفر بها المتطلبات المثلى من العناصر المناخية وخاصة المتطلبات الحرارية المثلى، وتأتي آلية التنفيذ لهذه التوصية من خلال عقد الندوات وورش العمل الزراعية، وكذلك الزيارات الميدانية للمزارع التقليدية مع زيادة نشر الوعي الزراعي عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

– العمل على حماية أشجار الفاكهة من تأثير الرياح التي تعد من أبرز العوامل التي تؤثر على زراعة وإنتاج أشجار الفاكهة، وتأتي آلية التنفيذ لهذه التوصية من خلال إحاطة مزارع الفاكهة بمصدات للرياح قبل بدء الزراعة بسنة على الأقل، وذلك للحد من زحف الرمال أو حدوث انسياق رملي قد يقلل خصوبة التربة نتيجة زيادة نسبة الرمل بها، وكذلك من خلال تغطية البادرات الصغيرة والشتلات حتى لا تتعرض لتكسر الأغصان.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية.

١. الإحيدب، إبراهيم سليمان(٢٠٠٠م) المخاطر الطبيعية في المملكة العربية السعودية وكيفية مواجهتها، الطبعة الثانية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

٢. جاوة ، ناهد صالح (١٩٩٧م) الحرارة المتجمعة وأثرها على نمو وإنتاجية محصول القمح والذرة الرفيعة في جنوب غرب المملكة العربية السعودية: دراسة في المناخ التطبيقي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات بجدة ، الأقسام الأدبية ، جدة.

٣. الجراش، محمد عبد الله، (١٩٩٢م) الأقاليم المناخية في المملكة العربية السعودية: تطبيق مقارن للتحليل التجميعي وتحليل المركبات الأساسية، الجمعية الجغرافية السعودية، العدد ١٣، جامعة الملك سعود، الرياض.

٤. الرئاسة العامة للأرصاد وحماية البيئة. (٢٠٠٢). تقرير مراقبة الجفاف، التوقعات الفصلية (من يوليو إلى سبتمبر ٢٠٠٢م)، الإصدار التاسع. مركز المعلومات والوثائق العلمية، إدارة المناخ.

٥. الراوي، صباح محمود علي، (٢٠٠٥م). المناخ وأشجار الفاكهة النفضية في محافظة الأنبار العراقية، مجلة الجمعية الجغرافية اليمنية، العدد ٣، صنعاء.

٦. الرويثي ، محمد أحمد (١٩٩٧م) الموانئ السعودية على البحر الأحمر، مؤسسة الرسالة، القاهرة، مصر.

٧. السرسي، مجدي عبد الحميد (١٩٩٤م). بعض مشكلات التنمية الزراعية في منطقة جيزان وإمكانيات التغلب عليها، الندوة الخامسة لأقسام الجغرافيا بالمملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض.

٨. السرسي ، مجدي، و العريشي، علي محمد (١٩٩٥م) جغرافية الزراعة في منطقة جيزان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٩. سقا، عبد الحفيظ محمد (١٩٩٨م) الجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية، دار الكنوز، جدة

١٠. شحادة ، نعمان (١٩٨٣م) المناخ العملي، الجامعة الأردنية، مطبعة النور النموذجية.

١١. شحادة ، نعمان (١٩٩٨م) علم المناخ المعاصر، دار القلم ، دبي.

١٢. شرف، عبد العزيز طريح (٢٠٠٠م) الجغرافيا المناخية والنباتية، مع التطبيق على مناخ أفريقيا ومناخ العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

١٣. الشريف، عبد الرحمن صادق، (٢٠٠٣م). جغرافية المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني، إقليم جنوب غرب المملكة، دار المريخ، الرياض.

١٤. الشلش، علي حسين، (١٩٨٤م). أثر الحرارة المتجمعة على نمو ونضج المحاصيل الزراعية في العراق، مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية ، العدد ٦١ ، الكويت.

١٥. عطا، محمد فوزي، (٢٠٠٠م). نموذج تطبيقي في الجغرافيا المناخية على زراعة القمح في المملكة العربية السعودية، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد ٣٥، السنة ٣٢، جامعة القاهرة، مصر.

١٦. عطا، محمد فوزي، (٢٠٠١م) المناخ وزراعة المحاصيل السكرية في مصر، الإنسانيات، العدد ٩، جامعة الإسكندرية، مصر.

١٧. العريشي، عائشة علي، (٢٠٠٤م). العناصر المناخية وتأثيرها على إنتاجية بعض محاصيل الحبوب بمنطقة جازان: دراسة في المناخ التطبيقي. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات بجدة ، الأقسام الأدبية ، جدة.

١٨. العريشي، عائشة علي، (٢٠٠٨م). العواصف وتأثيرها على التنمية في منطقة جازان: دراسة في المناخ التطبيقي. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية – جامعة الملك خالد، أبها.

١٩. العريشي، عائشة علي، (٢٠٠٩م). الأمطار في منطقة جازان – خصائصها وتأثيرها على التنمية الزراعية. رسائل جغرافية، وحدة البحث والترجمة، العدد ٣٤٨، الجمعية الجغرافية الكويتية، جامعة

الكويت.
٢٠. العريشي، عائشة علي، (٢٠١٠م). المناخ وراحة الإنسان في منطقة جازان، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد ٢٦، جامعة عين شمس، مصر.
٢١. العريشي، على محمد. (١٩٨٢م). منطقة جيزان: دراسة في الجغرافيا الإقليمية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٢٢. العريشي، على محمد. (٢٠٠١م) سهل تهامة في منطقة جازان بالمملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية تقييميه للنمط الزراعي الحديث، الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد ٢٥٥، الكويت.
٢٣. علي، محمد السيد حافظ. (٢٠٠١م). المناخ وأثره على النشاط البشري بشبه جزيرة سيناء: دراسة في المناخ التطبيقي. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإسكندرية، مصر.
٢٤. العمري، علي صقر (١٩٩٩م) المناخ وزراعة العنب في الطائف ، الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد ٢٢٥، الكويت.
٢٥. المشهدي، عبده سعود وعبد الحليم الدماطي. (١٩٧٩م). التربة والمياه. النشرة العلمية رقم ٢، كلية الزراعة، قسم التربة، مركز البحوث الزراعية، مطابع جامعة الرياض.
٢٦. المغلوث، فريدة (١٩٩٠م) أثر المناخ على الزراعة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية: دراسة في المناخ التطبيقي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، الدمام.
٢٧. موسى، علي حسن. (١٩٨٢م). الوجيز في المناخ التطبيقي. دار الفكر، دمشق.
٢٨. • موسى، علي، (١٩٩٤م) المناخ والزراعة، دار دمشق ، سوريا.
٢٩. • الوليعي، عبد الله ناصر (١٩٩٩م). الجغرافيا الحيوية للمملكة العربية السعودية، دار المريخ للنشر، الرياض.
٣٠. • وزارة الدفاع والطيران (١٩٨٥-٢٠٠٩م) الإحصاءات المناخية الصادرة من مصلحة الأرصاد وحماية البيئة، جازان.
٣١. وزارة الشؤون البلدية والقروية، وكالة الوزارة لتخطيط المدن (٢٠٠٦م). المخطط الإقليمي لمنطقة جازان. التقرير الفني الثاني، المعلومات الأساسية والأوضاع الراهنة، (المجلد الأول) الدراسات الطبيعية والبيئية والعمرانية.
٣٢. وزارة الشؤون البلدية والقروية، وكالة الوزارة لتخطيط المدن (٢٠٠٨م) المخطط الإقليمي لمنطقة جازان. التقرير الفني الخامس، مخطط التنمية الزراعية والحيوانية والثروة السمكية.
٣٣. وزارة الزراعة والمياه. (١٩٨٦م) الاحتياجات المائية للمزروعات في المملكة العربية السعودية، الرياض .
٣٤. وزارة الزراعة والمياه. (١٩٨٧م) إدارة التنمية الزراعية بوادي جيزان، نشرة عن الباباي: زراعته والعناية به وإنتاجه، إعداد لبيب سليمان صباح.
٣٥. وزارة الزراعة والمياه. (١٩٩٩م) المفكرة الزراعية، الطبعة ٤، إدارة الإرشاد والخدمات الزراعية، شعبة التوعية والإعلام الزراعي.
٣٦. وزارة الزراعة، ووزارة المياه. (٢٠٠٤م). السيول، المجلة الزراعية، نشرة التوعية والإعلام الزراعي، العدد ٢٠٤.
٣٧. وزارة الزراعة والمياه. مركز أبحاث الزراعة بجازان، (٢٠٠٢م). بيانات غير منشورة عن زراعة أشجار الفاكهة بمنطقة جازان.

ثانياً : المراجع الأجنبية.

1- Ahlcrona، E. (1988) The Impact of Climate and Man on Land Transformation in Central Sudan: Application of remote sensing. Lund University press، vol 103 ، England.

2- Al Amri، S،A. (1990): Climate and Climate-crop relationships in South-West region of Saudi Arabia، Unpublished ، Ph،D،thesis، University of Manchester، England.

3- David، K، C. (1981) Climate and Cropping systems in west Africa، Geoforum، Vol 12، No 2، pp 193-202.

4- Diana، m. (1990) Drought Impacts

in Mexico: Climate، Agriculture، Technology، and land Tenure in Sonora and Pueblo ، Annals of the Association of American، Geographers، Vol 80،No 1 .

5- Griffiths، J،F. (1976)، Applied Climatologic، An introduction ، second edition. oxford unit press ، Britain.

6- Grigg، D. (2000)، An Introduction to Agricultural Geography، second edition. Rutledge London and New York.

7- James، A. (1967) Weather and Agriculture، Wales، Symposium Publications Division Pergamon Press، Oxford.

8- Parry، M، L. (1978) Climatic Change Agriculture and Settlement، Dawson، Archon Book.

9- Thom، H، C. (1954). Normal Degree Days below and Base» Monthly Weather Review 32.

10- Thornthwaite، C، W، (1948) An approach towards a rational classification of climate، Geographical Review، 38، 55-95.

11 - Webster، C، Wilson ، P. (1992) Agriculture in the Tropics ، second edition، Longman London and New York.

Climate and fruits Agriculture in Tihama plain - Jazan Province.

A.A.Arishi

Faculty of Science and Arts in Samtah - Jazan University

Abstract

The climate of Tihama plain in Jazan Province is characterized as a favorable environment for tropical fruits Agriculture. The main objective of this study is to clarify and illustrate the relationship between climate and its impact factors on tropical fruits Agriculture in Tihama plain. The study concludes that climate in Tihama plain is suitable for planting tropical fruits، such as mango، papaya، guava، pineapple. It's clear that the wind is the most climatic factor influence the fruits production، especially in the phase maturity due to damage and loss fruit before maturity. through the summer months، which is characterized by increasing of speed rates of wind، the production of fruit become less than the production of the rest months.

Keywords: Climate - Tihama plain – Jazan Province – Fruits – Mango – Papaya- Guava– Pineapple.

E-mail: aliarishi@yahoo.com
ISSN: 6050-1658

رؤية استراتيجية لقيادة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية

قاسم بن عائل الحربي
كلية التربية – جامعة جازان

المُلخّص

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على طبيعة مدرسة المستقبل ومتطلباتها من القيادة المدرسية، والوقوف على واقع القيادة المدرسية في التشريعات والأنظمة والدراسات الميدانية، والوصول لرؤية إستراتيجية مقترحة لقيادة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية. وتم إجراء البحث على عينة من القيادات التربوية العُليا في وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، والمتخصصين في الجامعات في القيادة التربوية. ومن خلال الاستفادة من نتائج الدراسات السابقة، وفي ضوء الإطار النظري للبحث، وما أسفرت عنه الدراسات التحليلية لواقع القيادة المدرسية بالمملكة، وفي ضوء آراء الخبراء واستجاباتهم على ثلاث جولات لأسلوب «دلفاي»، وتأسيساً على المنطلقات النظرية والمحلية للبحث؛ أسفر البحث عن عدة نتائج من أهمها:- تحديد جوانب القوة والضعف، ومعايير للحكم على أداء القيادات التربوية لقيادة مدرسة المستقبل. – التوصل إلى رؤية مقترحة لقيادة مدرسة المستقبل تتضمن التنظيم الإداري للتعليم بمدرسة المستقبل من حيث: إعداد وتأهيل الكوادر الوطنية، والخطة الاستراتيجية والوصف الوظيفي، وإنشاء إدارة متخصصة للتنمية المهنية ..إلخ. – الممارسات القيادية لقيادة مدرسة المستقبل من حيث توضيح الأدوار، وتوفير المناخ المفتوح، وتنمية مهارات العاملين، وتقديم الحوافز، وتوظيف التكنولوجا المعلوماتية التي تساعد في تكوين قاعدة معرفية. – استخدام الوسائط المتعددة، وتفعيل التنمية المهنية للقيادات المدرسية التي تتضمن مجموعة من الأهداف والمجالات التي يجب توافرها في القائد التربوي بمدرسة المستقبل، واستخدام أساليب تدريبية متنوعة في تنفيذها لزيادة فعالية تلك البرامج. – اكتشاف بعض الصعوبات، والتوصل إلى وسائل التغلب عليها، ومقترحات الرؤية المستقبلية لقيادة مدرسة المستقبل؛ كالتخطيط الاستراتيجي الذي يحدد مسئوليات الجودة في مدرسة المستقبل، والبرامج التدريبية وتدعم فكرة حلقات الجودة، والتأكيد على المشاركة وإيجاد نظام للحوافز، وتوفير برامج إعدادية للمعلمين والطلاب، وتصميم مبادئ مدارس المستقبل.

كلمات مفتاحية: رؤية إستراتيجية – مدرسة المستقبل — القيادة الفاعلة — إنسان المستقبل — الإدارة التربوية

مُقدّمة

تواجه جميع المنظمات اليوم كثيراً من التحديات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية المختلفة، والتي جعلتها مطالبة بأن تكون منظمات تعلم Learning Organization، قادرة على تجديد ذاتها، حتى تواكب مطالب هذه التغيرات من جهة، ومن ثم تستطيع أن تلبي الاحتياجات المجتمعية التي تتغير بتغير العصر من جهة أخرى.

وقد بدأت الدراسات تتوجه نحو المستقبليات، وأصبح من المألوف أن نسمع عن تعبيرات مثل: استشراف المستقبل، المستقبليات البديلة، السيناريوهات المحتملة، ولم يعد الحديث مقتصرًا على حتمية مستقبلية معينة باسم العلم أو التكنولوجيا، بل تعداه إلى التفكير في الصور المختلفة التي يمكن أن يتخذها المستقبل، والمسار الذي يمكن أن تأخذه كل صوره على اعتبار أن هذه الدراسات لم تعد ترفاً بل غدت ضرورة عملية للمجتمعات وهي بصدد اتخاذ قرارات تتعلق بسياستها التنموية واستراتيجياتها المستقبلية.

وفي خضم هذا التفكير المستقبلي يصبح التركيز على بناء إنسان المستقبل أمرًا مهمًا، من حيث دعم قدرته على التساؤل النقدي، وتملك مهارات المنهج والتفكير العلمي، والوعي بآليات التعامل مع المستقبل، والتهيؤء لإثراء المعرفة بإبداعه الثقافي والعلمي والجمالي، المؤمن

البريد الإلكتروني : d.k-alharbi@hotmail.com
ردمد : ١٦٥٨-٦٠٥٠

بالعلم كمنهج للتفكير وكسبيل للتقدم، المنحاز إلى الشورى وحرية إبداء الرأي، القادر على إعمال النظر والتفكير الإبداعي، وعلى إنتاج المعرفة والتكنولوجيا وليس مجرد استخدامها، المعتنق لقيم المشاركة، المتمسك بهوية ذاتية مستنيرة ببعديها الديني والثقافي، والتي تعمل في إطار عام يوجه أفعاله وطموحاته. (مكرم، ١٩٩٩، ص ٨٥٩ [١])

وتتجه المملكة العربية السعودية – مثل معظم المجتمعات المعاصرة – إلى التعليم، باعتباره أهم أدواتها في التأهب لمواجهة ما يواجهها من تحديات. لأنه بطبيعته عملية مستقبلية على المدى القريب أو البعيد، وبدون إجراء تخطيط أو تحديث له يصعب التفكير في المستقبل، فالتعليم هو المدخل الذي يؤدي إلى تحقيق طموحات المجتمع المستقبلية، وهو أحد أبرز مداخل المستقبل الأفضل. إذ لا يتصور تحقيق تقدم شامل بدون تعليم ذي جودة عالية.

ومما لاشك فيه أن التحولات المعرفية والتغيرات العديدة التي تشهدها الحياة المعاصرة تقتضي أن تولي المؤسسات التربوية أهمية خاصة لبناء الشخصية القادرة على التعلم الذاتي من خلال تزويدها بالمهارات الفكرية والتقنية والحياتية، وتطعيمها بالقيم الوطنية والأخلاقية والمهنية؛ ولهذه الأهمية فإن المدرسة مطالبة بأن تستجيب لهذه التغيرات حتى تتفاعل بوعي مع مستجدات المستقبل، فترسم صورة له في هذا المجتمع، تأخذ بثوابت القيم والعادات والتقاليد، وتراعي معالم التطور الذي يشهده العالم، وبحيث تقدر تداعيات المستقبل من خلال فلسفة تربوية تعليمية رائدة وقادرة على تشكيل فكر الجيل المستقبلي، المقبل على حب العلم، والمتطلع لمزيد من المعرفة، بحيث يصبح جيلاً مبدعاً ومفكراً وواعيا وخلاقا، يؤمن بالحرية والحوار، ويمتلك آليات التعامل مع المتغيرات والمستجدات المستقبلية. (كاساسوس،٢٠٠٢، ص١٦).

ولذلك فإن نجاح أي محاولة للارتقاء بنوعية التعليم في ظل سمات عالم اليوم الذي يشهد متغيرات متسارعة في شتى المجالات لايعتمد فقط علي برنامج تطويري، وإنما يستلزم مسبقًا تجويد القيادة لهذه المدارس، فالتعليم الجيد بحاجة إلى القيادة الفعالة والتي تعتبر بمثابة نقطة الإنطلاق والبداية نحو النجاح لتحقيق الامتياز والتميز في أي منظمة تربوية. (المصلح، ٢٠٠٢، ص٢).

إن التطور السريع الذي تعيشه المملكة العربية السعودية في الألفية الثالثة الذي أصبح الآن حقيقة مسلماً بها ونعيش أحداثها في مجال التعليم بعامة والإدارة المدرسية بخاصة من حيث زيادة معدلات التغيير، وزيادة حركة العولمة الإدارية فكراً وتنفيذاً، وسرعة التغيرات التكنولوجية، وتغيير طبيعة قوى العمل، والتحول من الفكر الاقتصادي إلى الفكر المعرفي، وزيادة معدلات الصراع والمنافسة ومن ثم جاء اهتمام الخطط التنموية في جوانبها التعليمية بالتوسع في افتتاح المدارس في كل أرجائها.

ومن هذا المنطلق قامت المملكة العربية السعودية بإجراء مراجعة وتقويم شاملين لجميع عناصر النظام التعليمي في ضوء المتغيرات الجديدة، واستشراف صورة المستقبل والتي استهدفت التطوير الشامل والارتقاء بالكفاية النوعية للنظام التعليمي، وإحداث تغيرات جذرية في المفاهيم والعمليات والأساليب، وتطوير الفلسفة والأهداف التربوية، وإعداد القيادات التربوية للارتقاء بمهنة التعليم، ولعل مشروع الملك عبدالله لتطوير التعليم دليلٌ على الاهتمام بالتعليم وتحقيق أهداف مدرسة المستقبل، حيث شكلت الزيارات التي قام بها عدد من المتخصصين في وزارة التربية والتعليم للاطلاع على النظم والأساليب التعليمية في الدول المتقدمة تعليمياً صورة أولى لهذا النموذج الجديد (www.tatweer.edu.sa)

وقد جاءات فكرة مشروع الملك عبدالله بن عبدالعزيز – وفي إطارحرص القيادة في المملكة العربية السعودية على الإرتقاء بالتعليم – لتطوير التعليم العام «تطويراً» ببرامجة الأربعة (تطوير المناهج، تأهيل المعلمين والمعلمات، تحسين البيئة التعليمية، ودعم النشاط غيرالصفي) والذي يؤكد ضرورة الاستجابة للتحولات الجوهرية المتسارعة في العصر الحالي، ويسعي إلى إيجاد

(١) يشير الرقم الأول إلى سنة النشر، والرقم الثاني يشير إلى رقم الصفحة في ذات المرجع.

نموذج تعليمي سعودي لمدرسة المستقبل يضاهي النماذج العالمية. الأمر الذي يجعل القيادة المدرسية في مدارس المملكة العربية السعودية تواجه تحدياً قوياً. لمواكبة التغيرات المستقبلية ومسايرة المستجدات التي تفرضها الظروف المتغيرة من خلال خطة إستراتجية تركز على التنمية الدائمة يمكن أن تحدد ملامحها فيما يلي:(www.tatweer.edu.sa)

– قيادة مدرسية تعمل باحتراف وفق خطة إستراتجية ناجحة.

– تطبيق جودة الأداء الإداري والتعليمي في المدرسة.

– السعي نحو تحقيق رؤية طموحة لمدرسة المستقبل.

– التركيز على الشراكة المجتمعية التي توفرالمعلومات والخدمات التعليمية والتربوية.

– مراعاة منظومة القيم المدرسية وتهيىء الظروف الملائمة لنمو المهارات.

– المشاركة في تقويم العمليات والمخرجات واتخاذ القرارات العلاجية المبنية على نتائجها.

والدراسة الحالية تشتمل على ستة محاور أساسية؛ الأول يتناول الإطار العام للبحث، والثاني يهتم بالإطار النظري لقيادة مدرسة المستقبل، والثالث يركز على الدراسة التحليلية لواقع القيادة المدرسية بالمملكة العربية السعودية، أما المحور الرابع فيهتم بالدراسة التنبؤية لتطوير قيادة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية، ويختتم المحور الخامس بتحديد ملامح الرؤية الاستراتيجية المقترحة لتطوير قيادة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية.

ثانياً: مشكلة البحث:

رغم ماتبذله المملكة العربية السعودية من جهود في سبيل تطوير التعليم قبل الجامعي. ليواكب المتغيرات والمستجدات العالمية والإقليمية والمحلية الحاضرة والمستقبلية، إلا أن تلك الجهود يشوبها كثير من جوانب القصور، وتقابلها مشكلات عديدة تحول دون تفعيل تلك الجهود بالصورة التي تحقق الأهداف المنشودة، وفي هذا الصدد أشارت معظم التقارير الصادرة من وزارة التربية والتعليم خلال الأعوام ١٤٢٨هـ، ١٤٢٩هـ، ١٤٣٠هـ، إلي ضرورة العمل على ما يلي:

– توعية القيادات المدرسية بأهمية التخطيط الإستراتيجي لإيجاد بنية واضحة للعمل التربوي.

– البحث عن البدائل المقترحة لتحفيز القيادات المدرسية على زيادة الأداء.

– دعم جودة العملية التعليمية داخل حجرة الدراسة،وإيجاد أنماط غير تقليدية لأساليب التعليم والتعلم

– تحديث الموارد البشرية والتنمية المهنية.

– التطوير التقني ونظم المعلومات.

– تطوير بناء المدارس وصيانتها.

– تعليم ودمج الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة.

– الإيمان بضرورة بناء ثقافة التقويم المستمر على أساس معايير واضحة لكل من المعلم والطالب.

ولعل من أبرز المشكلات التي تعاني منها المدرسة بالمملكة العربية السعودية ما يلي:

– ارتفاع معدلات الهدر في مخرجات التعليم العام.

– غموض الفلسفة والأهداف المرجوة من التعليم الثانوي.

– الاختلاف في معدل كثافة الفصول وفقاً للمعدلات العالمية.

– ضعف وقصور المناهج الدراسية في ملاحقة التغيرات الحادثة في هذا العصر المعلوماتي.

– كثرة المباني المستأجرة.

– الفجوة بين التخطيط للتعليم العام ومتطلبات التنمية.

وإذا انتقلنا من المستوى التشريعي لمدارس التعليم العام بالمملكة العربية السعودية إلى الواقع التعليمي؛ نجد أن هناك فجوة كبيرة تضع أساس المشكلة وتحددها في أداء القيادة المدرسية، ويؤكد ذلك ما توصلت إليه بعض الدراسات والبحوث إلى أن هناك بعض السلبيات والقصور في أداء القيادات التربوية في المدارس بالتعليم العام ومنها: (العواد، ٢٠٠٠)

– وجود انخفاض في مستوى أداء القيادة المدرسية لمسئولياتها ومهامها الإشرافية.

– القصور في التنظيم والتوجيه والكفاءة في مجال العمل.

– قصور في أداء مديري المدارس ومن ذلك (العويضي، ١٤١٨هـ).

– ضعف إلمام مدير المدرسة بأساليب التخطيط وأساليب الإشراف والمتابعة المختلفة.

– ضعف الدور القيادي داخل المدرسة بوصفه مشرفاً مقيماً.

– الروتين وكثرة العمل الإداري وبعض التعقيدات البيروقراطية في الأعمال الإدارية ،وجمود اللوائح والأنظمة وعدم تطويرها لمواكبة متطلبات العصر.

كما أسفرت بعض الدراسات عن العديد من السلبيات وجوانب القصور في الدورات والبرامج التدريبية المنفذة للقيادات التربوية في مدارس التعليم العام، وعدم مواكبتها للتحولات المحلية والعالمية ويمكن تلخيصها فيما يلي:(الحربي،٢٠١٠)، (المبعوث، ٢٠٠٤).

– غياب الإستراتيجية الواضحة المحددة لتدريب القيادات التربوية.

– ضعف نظام المتابعة والتقويم للمتدربين.

– قلة المدربين المتخصصين في مجال التدريب للقيادات التربوية المدرسية.

– عدم وجود برامج منتظمة ومتواصلة للقيادات، والإداريين بالنظام التعليمي.

– التركيز على الأساليب التقليدية في معظم البرامج التدريبية للقيادات التربوية.

– قصور وعي صانعي القرار فيما يخص التنمية المهنية للعاملين في المجالات الإدارية.

– القصور في الكفاءة الإدارية والفنية للقيادات المدرسية الحالية.

بناء على ما سبق يمكن القول بأن هناك ضرورة لإعداد وتطوير القيادات التربوية المدرسية لقيادة مدرسة المستقبل، ويمكن تلخيص مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

س: كيف يمكن إيجاد رؤية إستراتيجية لقيادة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

س١: ما طبيعة مدرسة المستقبل وما متطلباتها من القيادة المدرسية؟

س٢: ما التحولات العالمية المعاصرة وانعكاساتها على القيادات المدرسية المستقبلية؟

س٣: ما الاتجاهات الحديثة في القيادة ومتطلباتها لمدرسة المستقبل؟

س٤: ما واقع القيادة المدرسية بالمملكة العربية السعودية في ضوء التشريعات والأنظمة والدراسات الميدانية عن المملكة العربية السعودية؟

س٥: ما الرؤية الاستراتيجية للقيادة المدرسية لمدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية؟

ثالثاً: أهداف البحث:

تتحدد أهداف البحث فيما يلي:

١– التعرف على طبيعة مدرسة المستقبل ومتطلباتها من القيادة المدرسية.

٢– الوقوف على التحولات العالمية المعاصرة وانعكاساتها على تطوير الأداء القيادي لمدرسة المستقبل.

٣– التعرف على الاتجاهات الحديثة في مجال القيادة التربوية المستقبلية ومتطلباتها لمدرسة المستقبل.

٤– الوقوف على واقع القيادة المدرسية في التشريعات والأنظمة والدراسات الميدانية عن المملكة العربية السعودية.

٥– الوصول لرؤية مقترحة لقيادة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية.

رابعاً: أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث مما يلي:

١– دعم إعداد القيادات التربوية داخل مدرسة المستقبل؛ لتصبح المدرسة منظمة تعلم قادرة على تجديد ذاتها، ومواكبة المتغيرات المتسارعة في المجتمع في ضوء أدوارهم المستقبلية.

٢– تأتي هذه الدراسة متزامنة مع بعض الجهود المبذولة من جانب وزارة التربية والتعليم للارتقاء بمستوى

القيادات التربوية وتطويرها بالتعليم العام.

٣- تعدد المستفيدين من هذه الدراسة، حيث يتوقع لها أن تمد القائمين في وزارة التربية والتعليم بما ينبغي عمله عند تطوير وإعداد القيادات التربوية لقيادة مدرسة المستقبل، وسط الانعكاسات المذهلة والمتغيرات المتسارعة المحلية والعالمية.

٤- الإسهام في تطوير برامج التنمية المهنية للقيادات التربوية بالمملكة العربية السعودية، في ضوء أدوار القيادات المدرسية، من حيث إعدادهم وتأهيلهم لممارسة أدوارهم المستقبلية بمدرسة المستقبل.

خامساً: مصادر البحث وأدواته:

تستمد الدراسة الحالية مادتها العلمية من المصادر التالية:

١- التقارير والمؤتمرات المتعلقة بموضوع البحث.

٢- البحوث والدراسات السابقة ذات العلاقة بالموضوع.

٣- الكتب والمراجع العربية والأجنبية الخاصة بمجال البحث.

٤- استبيان دلفاي موجهاً للخبراء في مجال القيادة التربوية في الجامعات السعودية، ووزارة التربية والتعليم لاستطلاع آرائهم، والإفادة منها في بناء الرؤية الإستراتيجية لقيادة مدرسة المستقبل بالممكة العربية السعودية.

سادساً: مصطلحات البحث:

مدرسة المستقبل: هي النزعة نحو الجديد المجهول والمستقبل ،أساسها يقوم على الخروج على المألوف والرغبة في المغامرة ، والثورة على الأساليب التقليدية المتعارف عليها في المدارس (مراد، ١٩٩٨، ص ٦٦٣). وهي مشروع يقوم على تطوير التعليم والمناهج وأساليب التفكير لدى المتعلمين في جميع المراحل الدراسية، كما تعتبر مدرسة المستقبل تحدياً حقيقياً يظهر القدرات الإبداعية لدى المتعلمين كما يظهر قدرات القيادات التربوية والمعلمين على العطاء للأجيال القادمة (الحربي، ٢٠٠٩، ص٦٠).

سابعاً: الدراسات السابقة:

هدفت دراسة (رشاد، ٢٠٠٨م) إلى التعرف على الأسس الفكرية لمدرسة المستقبل، والوقوف على واقع صيغة المدرسة الذكية في ماليزيا والولايات المتحدة الأمريكية، والتعرف على أوجة التشابة والاختلاف بين هاتين الصيغتين، والوصول إلى رؤية مقترحة للمدرسة المصرية بما يحقق الأسس الفكرية لمدرسة المستقبل وتطبيقاتها، كما توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

- تحليل مقارن لصيغتي المدرسة الذكية في ماليزيا ومدرسة الميثاق في الولايات المتحدة الأمريكية.

- التوصل إلى رؤية مقترحة لمدرسة المستقبل في مصر من حيث: فلسفة مدرسة المستقبل وأهدافها، ومعلم مدرسة المستقبل ومواصفاته، والمناهج الدراسية، وتقويم أداء الطلاب.

- التوصل إلى متطلبات لتنفيذ الرؤية المقترحة لمدرسة المستقبل في مصر منها: الدعم والتبني السياسي، والتمويل المادي المناسب، وحشد الرأى العام خلف هذه الرؤى التطويرية، وإقامة شركات قوية تدعم هذه الرؤية.

أما دراسة (محمد، ٢٠٠٨م) فهدفت إلى التعرف على فلسفة تدريب القيادات الإدارية في التعليم العام بالمملكة العربية السعودية من حيث الأهداف – الوظائف- الأهمية –الأساليب، ووضع تصور مقترح لتطوير برامج تدريب القيادات الإدارية في التعليم في ضوء متطلبات الجودة الشاملة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

- تزويد مباني التدريب بقاعات متعددة النشاط وأجهزة ووسائل ومصادر تعليمية.

-التنوع في أساليب التدريب.

- دعم فكرة حلقة الجودة والاستفادة من متطلبات الجودة الشاملة في تطوير برامج التدريب للقيادات الإدارية.

- أهمية نشر ثقافة التدريب بين القيادات الإدارية في التعليم بالمملكة السعودية.

وجاءت دراسة (عبد المنعم، ٢٠٠٠) لتهدف إلى التعرف على واقع المدرسة الثانوية من حيث توافر المتطلبات الفنية للمدير للقيام بمهام وظيفته، والتوصل

إلى بدائل يمكن من خلالها بناء المدير العصري بالمدارس الثانوية بجمهورية مصر العربية، وقد استخدمت المنهج الوصفي الذي يقوم على عرض الأفكار وتحليلها واستخلاص الأحكام وصولا للنتائج. من خلال اتباع أسلوبي تحليل الوظيفة وتحليل الفرد، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

– تدني منظومة المتطلبات الفنية بجميع جوانبها عند مدير المدرسة الثانوية العصري.

– تدني قدرة مدير المدرسة على التعامل مع الآخرين، والتعامل مع نفسه، وتغيير إطار فكره وكيفية مواجهة التحديات.

– ضعف القدرة على تحليل المشكلات التعليمية ومواجهة الأزمات.

– نقص مهارات المشاركة والعمل في فريق لزيادة فرص الحوار من أجل تقديم أفكار جديدة.

– قصور مهارات المدير المهنية الضرورية التي تمكنه من القيام بأداء مهام عمله بشكل مقبول.

– قلة الدورات التدريبية المخصصة للمدراء لتنمية قدراتهم ومهاراتهم التربوية والإدارية باستمرار.

أما دراسة Mann، ١٩٩٨)) فهدفت إلى معرفة الحاجة لبرامج التنمية المهنية لمديري المدارس ومساعديهم في «هونولولو»، عن طريق إيفادهم لتلقي برامج تدريبية بمركز التدريب بالمنطقة التعليمية والتي ركزت على ورش العمل وحلقات النقاش والمؤتمرات والإسناد إلى أصحاب الخبرة، خلال مدة تمتد من ثلاثة أسابيع إلى ثلاثة أشهر من Honolulu خلال العمل مع قادة أصحاب خبرة يمثلون قدوة ومثالاً يقتدى به. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها أن:

– التنمية المهنية للمديرين تؤدي إلى حدوث تغيير على المستوى المدرسي.

– تحقيق التنمية المهنية الفعالة يتطلب إجراء تغيير في الهيكل التنظيمي للمؤسسة التعليمية وتزويدها بمؤشرات لقياس الأداء والمخرجات التعليمية.

– المديرين يتعلمون بحكم تجاربهم اليومية وبالتدريب والممارسة والتغذية الراجعة والتأملات والاستفسارات الجماعية وطرح التساؤلات.

– سرعة تدفق المعلومات تؤدي إلى تفعيل برامج التنمية المهنية للقيادات التربوية.

وأخيراً، هدفت دراسة Cregg، ١٩٩٧ إلى التعرف على أهم الاحتياجات التدريبية لمديري المدارس بولاية أوهايو الأمريكية، وتوصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها أن:

– برامج التنمية المهنية أسهمت في تحسين مهارات المديرين وقدراتهم ومساعدتهم على القيام بأدوارهم بنجاح من خلال اكتسابهم خبرات ومهارات إدارية جديدة.

– الارتقاء بمستوى أداء مديري المدارس يتطلب التنمية المهنية، والتطبيق العملي على الدور القيادي الذي يركز على متطلبات القيادة التحويلية.

– برامج التنمية المهنية تبنى على أساس تلبية الاحتياجات التدريبية للقيادات، وحسب توصيفهم الوظيفي وفعالية أدائهم.

وبتحليل الدراسات السابقة، يمكن استخلاص مجموعة من المعطيات منها ما يلي:

• ركزت بعض الدراسات على ضعف القيادات المدرسية، كما أنها أحد العوامل المسببة للهدر التربوية، وتدني مستوى الخريجين في التعليم العام.

• ركزت معظم الدراسات على برامج التنمية المهنية وأهميتها، ودورها في تطوير قدرات ومعارف العاملين بالمؤسسات التعليمية على المستوى المدرسي للمديرين والإداريين والمدرسين.

• أشارت بعض الدراسات السابقة إلى أهمية التزام القادة ببرامج التنمية المهنية، وتحديد ثقافة المؤسسة التعليمية من خلال وجود قيادات تربوية لها، والقدرة على تطبيق المفاهيم القيادية الحديثة، والتطبيق العملي على الدور القيادي المستقبلي.

• أن معظم الدراسات السابقة اعتمدت المنهج الوصفي، وخلت هذه الدراسات من استخدام أساليب ودراسات المستقبل واستشرافه، مما يعطي الدراسة الحالية بعداً مهماً تميزها عن الدراسات السابقة باستخدامها أسلوب دلفي ، باعتباره أسلوباً علمياً في التنبوء واستشراف المستقبل، ويسهم في تحسين فاعلية الرؤى

والقرارات المستقبلية.

ثامناً: منهج البحث:

يتبع البحث في منهجيته المنهج الوصفي بحكم كونه قادرا علي رصد واقع الظاهرة وتحليل جوانبها المختلفة، كما يستعين البحث بأسلوب دلفي Delphi tech-nique وهو أحد أساليب الدراسات المستقبلية التي تستخدم للتنبوء بالتطورات المستقبلية عن طريق مجموعة من الخبراء المتخصصين يتبادلون الرأي، ويقدم كل منهم توقعه وتصوره للنموذج المقترح، ويتم عرض هذه الإجابات مرة أخرى على هؤلاء الخبراء بعد تجميعها وتعديلها ليقوموا بتقويمها، وتقديم تصورات جديدة لمدرسة المستقبل، ويستمر الباحث في تكرار هذه العملية إلى أن يصل الخبراء إلى رأي متقارب، أو أن يصلوا إلى قناعة بأن آراءهم حول مدرسة المستقبل ومواصفاتها القيادية متفق عليها من الجميع.

تاسعاً:

الإطار النظري لقيادة مدرسة المستقبل:

يناقش هذا المحور الأساس الفكري لمدرسة المستقبل، والتحولات العالمية المعاصرة وانعكاسها على القيادة المدرسية، والاتجاهات الإدارية الحديثة وانعكاسها على قيادة مدرسة المستقبل، وأخيراً التنمية المهنية للقيادات التربوية لمدرسة المستقبل وذلك على النحو التالي:

١- مفهوم مدرسة المستقبل: تأتي مدرسة المستقبل لتطوير المدرسة الفعالة، وهي مشروع يقوم على تطوير التعليم والمناهج وأساليب التفكير لدى المتعلمين في جميع المراحل الدراسية، كما تعتبر مدرسة المستقبل تحدياً حقيقياً يظهر القدرات الإبداعية لدى المتعلمين كما يظهر قدرات القيادات التربوية والمعلمين على العطاء للأجيال القادمة (الحربي، ٢٠٠٩، ص٦٠) فهي تهتم بالعديد من الأدوار منها (الحر،٢٠٠١، ص٧٠): صياغة أنظمة ولوائح مدرسية ذات جودة عالية. التخطيط الإستراتيجي والعمل على التقويم الذاتي. توفير بيئة عمل إيجابية. الاهتمام بدعم النمو المهني، واستخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. توفير قيادة فعالة تعمل على إقامة علاقات شراكة فعالة مع المجتمع المحلي. ويركز مفهوم مدرسة المستقبل على النظرية الجزئية والتقنية، والنظرية الشمولية لتكون صالحة للمستقبل، وملبية لحاجات المجتمع المحلي والاهتمام بالجانب التقني المعلوماتي في المدارس، وتعمل على إعداد المتعلمين فيها لحياة عملية ناجحة مع تركيزها على المهارات الحياتية التي تُلبي احتياجات المستقبل، وبما يخدم الجانب التربوي والقيمي لدى المتعلمين، وهي: مشروع تربوي يطمح لبناء نموذج مبتكر لمدرسة حديثة متعددة المستويات، وتمتد رسالتها من الإيمان بأن قدرة المجتمعات على النهوض وتحقيق التنمية الشاملة معتمدة على جودة إعداد بنائها التربوي والتعليمي، (الحربي، ٢٠٠٩ مرجع سابق، ص ٧٠). ويمكن التوصل إلى أن مدرسة المستقبل: هي منظومة من الأداءات المتكاملة التي تسعى للتفاعل الإيجابي مع المستقبل اعتماداً على فاعلية الأداء والإنجاز، كما تسعى لإحداث التنمية المتكاملة للشخصية في أبعادها المعرفية والمهارية والوجدانية كافة، بما يمكنهم من التأقلم مع المعطيات الحالية والمتغيرات والتحديات المستقبلية في ضوء الضوابط واللوائح التنظمية،والمهارات اللازمة لقائد مدرسة المستقبل.

٢- أهداف مدرسة المستقبل: طرحت كثير من الدراسات أهداف مدرسة المستقبل بطرق مختلفة ويمكن إيجاز أبرز هذه الأهداف فيما يلي: (عثمان، ٢٠٠٢، ص ٦-٧)

- ترسيخ الإنتماء الوطني والحفاظ على الهوية الوطنية.
- تحقيق النمو الشامل والتكامل للمتعلمين في المجالات المعرفية والمهارية والوجدانية.
- الربط بين حلقات التعليم المختلفة.
- الاهتمام ببرامج ذوي الاحتياجات الخاصة.
- إكساب المتعلمين مهارات التفكير بأنواعه المختلفة.
- تكوين العقلية النقدية، وتنمية الملكات الابتكارية والإبداعية.
- التدريب على استخدام تكنولوجيا الحاسبات والاتصالات والمعلومات.
- تطبيق مبدأ ديمقراطية التعليم، وتحقيق تكافؤ

الفرص.

– ربط التعليم باحتياجات المجتمع، والإيفاء بمتطلبات سوق العمل.

– العناية بإعداد المعلم وتدريبه من حيث: تعزيز دوره التقليدي إلى متطور مهتم بأساليب تحصيل المعرفة، ومكون لمواقفهم و اتجاهاتهم، وتنمية قدراتهم الذاتية، والفكر الناقد لديهم .

– الاهتمام لدى الطلاب بتكوين المواقف، والاتجاهات الإيجابية الفعالة التي تمكنهم من مواجهة التغير، والتكيف مع الجديد، وامتلاك مهارات الإبداع وكفاياته.

٣– خصائص مدرسة المستقبل: ذكر كثير من الباحثين في الأدبيات أن من أبرز خصائص مدرسة المستقبل ما يلي: (المصري، ٢٠٠٤، ص ٢٠–٢٣)

– تسمح بدور كبير للمجتمع في العملية التعليمية، وذلك عن طريق مساهمة أولياء الأمور ومؤسسات المجتمع المدني.

– يتعرض المعلم لتعليم و تدريب مستمرين في أثناء الخدمة لرفع كفاياته.

– المؤسسة التعليمية مزيج من التقليدية (ذات جدران)، والافتراضية (بلا جدران).

– جسور الانتقال من عالم التعليم إلى عالم العمل قوية ومؤسسية.

– التعليم للجميع، بحيث يصل كل فرد في مجال ومستوى تعليمه إلى أقصى ما تؤهله إليه قدراته، وميوله واستعداداته.

– الحرية الأكاديمية للمعلم أقل تقييداً.

– سن الرابعة هو السن الشائع للالتحاق بالتعليم الأساسي العام.

– تعددية مصادر المعرفة كماً ونوعاً.

– التعليم مدى الحياة.

– الخطط التعليمية تراعى الحاجات الفردية للدارسين عن تنويع المهام و النشاطات المتاحة.

وتتطلب مدرسة المستقبل إعداد قائد تربوي ناجح لمدرسة المستقبل. يكون قادراً على القيام بدور إيجابي في ظل تلك الأهداف والخصائص لمدرسة المستقبل وذلك يتطلب من القيادة المدرسية ما يلي: (مكتب التربية لدول الخليج، ٢٠٠٠، ص ١١٧)

– القدرة على الاستيعاب المستمر للتطورات العلمية المتنوعة وتطويعها في المجال التربوي.

– القدرة على متابعة سير إجراءات العمل المدرسي.

– الإشراف بفعالية على أعداد كبيرة من القوى البشرية والطلاب.

– صقل مواهب القيادة المدرسية عن طريق التربية المتكاملة المستدامة.

– استمرارية تقويم المناهج التعليمية بما يتفق مع أهدف وخصائص مدرسة المستقبل.

– إعادة هيكلة المدرسة لتعزيز دورها التربوي والاستفادة من إمكانات التقنية الحديثة لتخفيف الضغوط الوظيفية.

– تحديث الأنظمة واللوائح التربوية بما يتناسب مع الاتجاهات التربوية المعاصرة.

– تنمية ثقافة البيئة المدرسية بهدف الوصول إلى إتقان الأداء عن طريق فريق العمل التعاوني.

مما سبق يكمن القول بأن القيادة التربوية المدرسية الفعالة من الضروري أن تكون قادرة على تفعيل دور المجتمع المدرسي، وتوجيه كل فرد من أفراد المدرسة إلى الأداء التطويري الذي يحقق الجودة والذي يسهم في تطوير إنتاجية المدرسة كماً وكيفاً.

٤– صيغ مدرسة المستقبل: تتعدد صيغ مدرسة المستقبل والتي منها:

- **المدرسة الدولية (International school):** تقوم فكرتها على التعليم الذاتي الذي يركز على شخصية الطلاب واهتماماتهم، وإتاحة الفرصة لهم لكي يتمتعوا ويمارسوا التعليم الفعال النشط، والبحث عن المعلومات، وتنمية مواهبهم، وتنمية المسئولية والحماس للتعليم، والتفاعل المتبادل بين الطلاب والمعلمين من أجل إنجاز التعليم، كما تؤكد أيضاً على فكرة التعليم مدى الحياة، لذا يدرس فيها الطلاب علوم المستقبل .
- **مدرسة العمل (school to work):** تهدف إلى إعداد الطلاب إعداداً أكاديمياً وتكتيكياً في مهارات

الحياة، وقيادة الأعمال لمواجهة سوق العمل العالمية في المستقبل، وتحقيق المشاركة بين مؤسسات الأعمال والتعليم من خلال نظام التعليم بالعمل عن طريق التدريب، والجمع بين المدرسة والعمل الذي يعطي الطلاب الفرصة لاختبار نوع العمل الذي يرغبون فيه والإعداد له.

• **مدرسة البناء الأكاديمي (Grammar school)**: تهدف إلى تشجيع الطلاب على مواجهة التحديات التي تواجههم في حياتهم، وتنمي داخلهم الإيجابية، والكرامة والأمانة، كما تهتم بالموهوبين وتوفير البيئة التعليمية المناسبة التي تساعدهم على تنمية ذكائهم، وإعطائهم المواد الدراسية التي تكسبهم المعرفة في جميع فروع المعرفة.

• **مدرسة الميثاق (Charter school)**: تقوم على أسس التعاون والشراكة بين المعلمين وأولياء الأمور وقادة المجتمع، وتقديم العديد من المهارات التي تساعد الطلاب على مواجهة تحديات المستقبل، وإكسابهم المهارات التي تساعدهم في عملية التحصيل الدراسي.

٥- خصائص قائد مدرسة المستقبل: تقوم إدارة مدرسة المستقبل على فكرة الديمقراطية والمشاركة بين المدير والمعلمين والفريق الإداري داخل المدرسة. لذا فإن قائد مدرسة المستقبل ينبغي أن يتميز بعدة خصائص منها: الرؤية النقدية الهادفة إلى التغيير والتحسين، والتعامل الجيد مع التقنيات وما تتيحه بمصادرها المختلفة من المعلومات، كما يتبنى مداخل إدارية معاصرة، ويستخدم أسلوب الإدارة بالمبادرة والابتكار بدلاً من الإدارة باللوائح، والقدرة على الإحساس بالمرؤوسين، واستثمار الوقت من الجهد في التدريب، ورعاية ودعم العاملين، وكذلك مهارات التفاعل مع الآخرين بفاعلية وتأثير، ويحترم جميع العاملين معه من معلمين وموظفين وفنيين، وإداريين، وعمال، ومتعلمين، والتكيف مع بيئات العمل المختلفة (مجدي إبراهيم، ٢٠٠١، ص ١٩٧)

٦- أدوار مدير مدرسة المستقبل: إعداد خطة التنمية المهنية؛ لمساعدة المجتمع المدرسي على إنجاز الأهداف، وتوظيف أنظمة التكنولوجيا في إدارة المدرسة، ويقوم بالتخطيط التعليمي وتطوير فريق العمل بالمدرسة وتقويم وتخطيط وإصلاح المدرسة من خلال التقارير التي يقوم بإعدادها، وإجراء المقابلات التي تتعلق بالأمور الإدارية بالمدرسة، وإدارة التعليم والتعلم، وتفعيل عمليه الاتصال بالمجتمع المحلي والطلاب.

http://www.edu.pe.ca/publications/admin-study/executive.asp

٧- شروط اختيار قائد مدرسة المستقبل:

-الحصول على درجة البكالوريوس في التربية.

-الحصول على درجة الماجستير في الإدارة التعليمية.

-قضاء مدة سنتين كحد أدنى في التدريس.

-أن يكون لدية الخبرة لا تقل عن سنتين في الإدارة.

-اجتياز اختبارات لمعرفة مهاراتهم في العمل وقدراتهم العقلية والطبعية.

-البرامج التدريبية التي تعلمه منهج القيادة ، والنظريات الإدارية المختلفة التي تجعله على وعي كامل بكل جوانب القيادة.

http://www.maschools.org/district/applications/adminipert.pdf

٨- برامج إعداد وتدريب قائد مدرسة المستقبل:

- درجة الماجستير في التربية التي يتم فيها دراسة الموضوعات التالية: أساسيات القيادة التعليمية، أشكال الإدارة التعليمية، تأثير المشاركة في المدارس، القائد التربوي ودوره في القيادة، وتغيير المدارس، تعليم القيادة، العلاقات الداخلية للقائد التربوي، إدارة المنظمات التعليمية، دراسة تطوير المناهج، دراسة ملاحظة وتقييم التعلم، دراسة قيادة المدرسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وكل مقرر (ثلاث ساعات) ويمكن من خلال اجتياز تلك المقررات الحصول على درجة الماجستير في التربية تؤهله للقيادة التربوية لمدرسة المستقبل.

- تصميم برامج لتدريب القيادات الإدارية بمواصفات تتوافق مع متطلبات قائد مدرسة المستقبل، حيث تتضمن فصلين دراسيين، ومدة البرنامج لكل فصل دراسي (٢٦) ساعة ويعد بمثابة دبلوم في القيادة

التربوية يتم من خلال التعاون مع الجامعات (مراكز التدريب).

– إعطاء (خمسة سيمينارات) للقيادات المدرسية خلال فترة الصيف لفهم طبيعة القيادة ودور القيادات المدرسية، وتشمل عدة موضوعات مثل: القيادة وآدابها، خطة إستراتيجية لإصلاح المدرسة وتغييرها، القيادة التعليمية وتطوير الفريق والمراقبة، تمويل المدرسة وإصلاح الميزانية، مسئوليات الإدارة وتشمل الشراكة مع أولياء الأمور، حل المشكلات، تطوير مهارات القيادة، العلاقات الإنسانية، إدارة الأزمات، إدارة الضغوط، إدارة الجودة، الإدارة بالأهداف، الإدارة الذاتية، الإدارة الموقفية، القيادة التحويلية.

٩– التحولات العالمية المعاصرة وانعكاسها على القيادة المدرسية: لا شك أن القيادة المدرسية في المملكة العربية السعودية تواجه مؤثرات وتحديات مختلفة ومتنوعة في عصر تكنولوجي سريع التغير، وهناك عدة عوامل تسهم في ذلك، منها ما يلي:

– **متغير الثورة المعرفية:** أهم المحددات الرئيسة لتوازنات القوى في عالم المستقبل، نظراً لما أثمره من إمكانات تكنولوجية مما يتطلب إحداث تغيير عميق في المفاهيم الانسانية وطموحاتها. وهذه الثورة المعرفية التي حدثت نتيجة للطفرة الهائلة في تكنولوجيا الاتصالات قد تباينت في جعل قيمة أي مجتمع يعتمد على رصيده المعرفي وعلى الدخول في مجتمع المعرفة Knowledge Society أو مجتمع التعلم Learning Society وقدرته على تقليل الفجوة الرقمية Digital Divide والتي جعلت العالم على أعتاب ثورة تعليمية جديدة تتعرض فيها المؤسسات التعليمية لتحول عميق وسريع، وذلك بفعل قوى مادية وفكرية خارج نطاق سيطرة المؤسسة التعليمية حاملة معها تحديات لا مناص من مواجهتها (بشير، ٢٠٠٢، ص ٨٧). ولا شك أن مواجهتها أو التفاعل معها لن يكون بغير مدارس مستقبلية، تستلهم التعليم الذي تقدمه للألفية الجديدة من فيضان المعلومات، وتنمية الإبداع لدى القيادة المدرسية لمدرسة المستقبل والذي يجعلها تستجيب للتحديات المعلوماتية بمفاهيمها وتقنياتها، وتسخيرها جميعاً لصالح العمليات التعليمية والتدريبية، وزيادة فعاليتها في العمل اليومي المدرسي، وفي ذات الوقت يجعله يمتلك مهارات المنهج والتفكير العلمي الواعي بآليات التعامل مع المستقبل ومتغيراته لخدمة أهداف الإدارة المدرسية بمدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية.

– **متغير الثورة التكنولوجية:** يعد التطور التكنولوجي متغيراً أساسياً في رسم أية صورة للمستقبل، وهو يتطلب من المتخصصين في العلوم الاجتماعية الإسهام بشدة عند محاولة استشراف المستقبل وأبعاده لمعرفة مدى تأثيره على صورة المدرسة مستقبلا، باعتباره الوجه المكمل للمتغير المعرفي مما تأتي به التكنولوجيا من آمال وطموحات تعتمد كلها على قوة العلم وتستند إلى عالم المعرفة. وبلاشك فإن أهمية النظر إلى الثورة التكنولوجية كركيزة أساسية تستند إليها العملية التعليمية في مدرسة المستقبل من كونها قد أحدثت تأثيرات واسعة على المجتمعات بصفة عامة وعلى التربية الحادثة فيها بصفة خاصة. وعلى مدرسة المستقبل أن تحسن الإفادة من التكنولوجيا القائمة فعلاً والتي يمكن حصرها في:

– تكنولوجيا الإلكترونيات الدقيقة، والشرائح والدوائر المتكاملة التي مكنت من صناعة المعالجات الدقيقة، وشرائح الذاكرة ودمجها في حاسبات صغيرة الحجم عالية القدرة أدخلت العالم فيما يعرف بعصر "Computerized".

– تكنولوجيا الاتصال عن بعد: ويقصد بها النقل المركب بالصوت والصورة بالأقمار الصناعية أو بالكابلات والألياف الضوئية. الأمر الذي يؤدي إلى حدوث تغير في شكل ونوع المعرفة المتداولة.

– تكنولوجيا المحاكاة بالكمبيوتر: وهي امتداد لوسائل المحاكاة القديمة، تهتم بعرض المعلومات والخبرات البديلة بقصد تمثيل الحياة الواقعية بشكل كبير، وتعتمد على العقلية والتنظيم في عرض وتنسيق المعلومات.

– تكنولوجيا الواقع الافتراضي التي تهتم بتمثيل المعلومات المتقدمة والخيال العلمي بدقة، وتعمل على توضيح كل من الخطط والطرق التي ساعدت في ظهور المعلومات الحديثة.

– تكنولوجيا الشبكات التي جعلت الأفراد يتحدثون

عن وجود جيل الشبكات ينتقي التعليم في ظل تحد حقيقي؛ مما جعل هذا الأمر واحداً من المسلمات الأساسية المتغيرة للنظام المدرسي الجديد حتى لا تقع في عزلة. (Strong، 1998، p. 140)

– **المتغير التنموي**: إذا كانت التنمية ظاهرة عالمية تشارك فيها جميع الشعوب فإنها في ذات الوقت أصبحت تدرك أنها تعني الشعب في جملته، ولتغيير توجهاتها يتطلب الضرورة الاقتصادية وراء إحداث التنمية، وإعادة النظر في القيم، وإرساء قواعد المعلومات تدعمها موارد بشرية ومؤسسات كافية، ومدرسة المستقبل كمؤسسة تربوية سيكون لها الدور الكبير في الاستجابة لمتطلبات التنمية البشرية التي تتوفر لديها القدرات التكنولوجية والمهارية المحلية التي تحسب لمواصفات الإنتاج التنافسي مع الأسواق المحلية والعالمية، وهو ما يدعوها أن تتلاءم في مناهجها وتخصصاتها وقيادتها التربوية مع مرونة الطلب وحق التعليم الجيد، بالشكل الذي يرقى بها إلى المستويات العالمية في إعداد قيادتها في مجال الإدارة المدرسية وأنشطتها التربوية والتعليمية، وبرامجها، لذا فإن قيادة مدرسة المستقبل ينبغي أن تراعي الأمور التالية:

– التنمية الاعتبارية التي تشكل شبكة الاتصالات بأنواعها بديلا عن التجمعات والاجتماعات، حيث حل العلم والتعلم محل رأس المال والعمالة وعناصر الإنتاج التقليدية، وحيث يلعب الذكاء الصناعي والحقيقة الاعتبارية والمحاكاة دوراً جديداً في رسم السياسات، وبيان أن التنمية الحقيقية هي تنمية قدرة المعرفة والابتكار والاكتشاف.

– التنمية الذاتية التي تؤكد على حقيقة أن المجتمع وهو يواجه مستقبلا غير معلوم، عليه أن يتفاعل مع تحدياته برؤية نابعة من الذات والهوية.

– التنمية الروحية التي يقصد بها مجموعة الأبعاد الثقافية والمعنوية والاخلاقية التي تعتبر أن الفرد لا يستطيع أن يحقق ذاته إلا من خلال علاقاته وتفاعلاته في ضوء منها مع الجماعة. وحتى تحقق مدرسة المستقبل أهدافها من الضروري أن تتضمن نظاماً أخلاقياً تؤكد عليه، لتجمع بين روحية ومادية التنمية باعتبارها عملية متعددة الأبعاد، عملية يكون فيها الإنسان في وقت واحد هو الأصل والطرف الفاعل والغاية كذلك (بهاء الدين، ١٩٩٩، ص ١٤).

– عمليات التحول الحادثة من الاقتصاديات الصناعية إلى الاقتصاديات المعرفية التي تبنى في الأساس على مستويات عالية من الاستثمار في التعليم والتدريب والبحث والتنمية والبرمجيات ونظم المعلومات، وتتميز بالاعتماد الدائم على تكنولوجيا المعلومات الحديثة، ليس فقط للتواصل بين الأفراد ولكن أيضا لإيجاد معرفة جديدة. وفي هذا الإطار فإن مدرسة المستقبل مطالبة بألا تقف بعيدة عن هذا التحول. وعليها انتهاج سلوك تجديدي يملكها من القدرة على استيعاب التغيير وتوقعه في الوقت الذي يمكنها هى من الاستجابة للاحتياجات المستقبلية المتجددة.

– **المتغير الاجتماعي**: شهدت دول العالم خلال العقدين الماضيين تغيرات أساسية في العلاقات والهياكل والقيم الاجتماعية مثلت بداية جديدة ربما تؤدي خلال القرن الحادي والعشرين إلى إعادة هيكلة للبناء والأنساق الاجتماعية في كل دول العالم (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٠، ص ٢٠) وبشكل عام فإن أشكال التغيرات الاجتماعية المتوقع حدوثها في القرن الحادي والعشرين ستؤثر في شكل ومعالم المنظمة المدرسية، وما تقوم به من أدوار ووظائف وفي صلتها وتعاملها مع المؤسسة الاجتماعية الأساسية، خاصة الأسر ومؤسسات الرعاية الاجتماعية. ومن شأن مدرسة المستقبل أن تجعل مجتمعها كما يذهب (آلن هارجريفز Hargreaves) مهيئاً بشكل كبير لإنتاج المعرفة، والذي سيكون من أهم مزاياه (Hargreaves، 2001، p. 14-15)

– تعزيز المعرفة من خلال مجموعة من الفرص المعدة لإعادة الربط والنقل والتعاون.

– ضمان مراقبة الجودة. لأن كل فرد يستطيع إنتاج المعرفة الجديدة واختبارها ونقدها.

– تحسين إنتاجية التعلم بناء على حقيقة أن أي فرد يستطيع أن يتعلم كيف يعرف؟

– إتاحة الفرص لإعادة التنظيم المكاني للأنشطة ونشأة مجتمعات افتراضية لأن نقل المعرفة قد أصبح أقل

تكلفة من انتقال البشر.

– تبويب حصة كبيرة من القاعدة المعرفية، وهو ما يؤدي إلى مخزون أكبر ومقدرة اتصالية، وييسر عملية نشأة اتجاهات معرفية جديدة.

وهذا يتطلب من قيادة مدرسة المستقبل أن تعقل من هذه التهيئة بتوضيح الأيديولوجيات التي تتجاذب الأفراد داخل المجتمع، أو بداخلها، وذلك بأن تشرح لهم الأسس التاريخية والثقافية والدينية لهذه الأيديولوجيات، كما يتطلب منها تعريف الأفراد بأهم القضايا الاجتماعية التي تحيط بهم، وذلك انطلاقاً من رسالتها في إعدادهم ليقوموا بأدوارهم الاجتماعية الحالية والمستقبلية بتعريفهم بأنهم أعضاء في المجتمع وأنه يجب على كل عضو أن يضطلع بمسئولياته تجاه الآخرين كل يوم، في نشاطه المهني والثقافي والتشاركي والاستهلاكي، وبتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم وبتنمية كفاءتهم الاجتماعية، والخروج عن دائرة التقاليد التي قد تعوق مشاركتهم، ويأتي هذا التحديث لمدرسة المستقبل في إطار مسئوليتها التربوية بتحديثها، وإجراء تغيير إيجابي لتجديدها على ضوء التطور الاجتماعي والاقتصادي الذي يشهده المجتمع.

– **المتغير الاقتصادي**: منذ الربع الأخير من القرن العشرين بدأت مجموعة من المتغيرات الاقتصادية تحدث في العالم بدأت معالمها تتضح وتتبلور تدريجياً في تحولين رئيسين:

– التحول السريع الذي حدث في الدول الصناعية، ومن اقتصاد يقوم ويرتكز على الزراعة والصناعة، إلى اقتصاد يعتمد على الخدمات والمعلومات، وتشهد الدول النامية التحول نفسه لكن بسرعة أقل.

– عولمة الاقتصاد حيث أخذ النشاط الاقتصادي يستقل عن الدولة القومية والاقتصاد الوطني، وارتبط هذا التحول ببروز مبادئ جديدة تقوم على خصخصة النشاط الاقتصادي، وبروز شركات العولمة أو ما تعرف باسم «الشركات الكوكبية» التي تدير عملياتها الاستثمارية كقوة مستقلة عن الدولة وظهور حرية التجارة الدولية والمتمثلة في أربعة مكونات: حرية انتقال رأس المال، وتبادل التجارة والسلع، وحرية انتقال الأفراد، وحرية العمل.

وهذه التغيرات الاقتصادية وبعد انضمام المملكة العربية السعودية إلى منظمة التجارة العالمية أصبحت من أكثر التغيرات تأثيراً في تشكيل معالم مجتمع القرن الحادي والعشرين، وبالتالي من التأثير على ما ستكون عليه قيادة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية. كما أن هناك اتجاهاً متنامياً في أوساط الشباب لإكمال دراساتهم والاتجاه نحو العمل في قطاع الخدمات، بعد أن يحصلوا على تدريب قصير المدى، ومن ثم تم النظر إلى التعليم نظرة اقتصادية بحتة من حيث تكلفته وتحمل نفقاته، حيث شرعت كثير من الدول في تحميل الأفراد جزءاً من تكلفة التعليم، وبدأت تعتمد على القطاع الخاص في إقامة وإنشاء المؤسسات التعليمية.

كما أن هناك جانباً آخر لتأثير العولمة على المؤسسة المدرسية وهذا يتصل بالاتجاه نحو وضع نظام عالمي لتقويم المؤهلات، ووضع نظم لتحديد المستويات التعليمية تمكن من أن يتوافق النظام التعليمي من حيث مخرجاته مع مبدأ حرية العمل وانتقال الأفراد بين الدول، وأدت كذلك عولمة الاقتصاد والتحويل إلى ظهور بعض التوجهات لإدخال تغيرات في مناهج التعليم وإعداد القيادات التربوية، والتحويل وغيرها حتى تصبح مساندة للعولمة الاقتصادية .

– **المتغير السياسي**: كانت السياسة دائماً من أبرز اختصاصات الدولة القومية التي تحرص على عدم التفريط بها واحتكارها ضمن نطاقها الجغرافي والوطني الضيق. بيد أنه تزايد تأثير مؤسسات المجتمع المدني المحلية والعالمية في مجال وضع السياسات واتخاذ القرارات التعليمية، كما أصبح التعاون والتنسيق مع التكتلات الإقليمية التي تنتمي إليها الدول أمراً مهماً إن أرادت بعض الدول أن تحافظ على عناصر هويتها وتوجهاتها الحضارية الوطنية والقومية .

مما سبق يمكن القول بأن الثورات التي أثرت على تشكيل معالم القرن الحادي والعشرين في سياقاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتربوية والتعليمية ليست بالضرورة متضامنة ومتناسقة، وقد تم تناولها تمهيداً للكيفية التي يتم فيها إعداد القيادات

التربوية لمدرسة المستقبل، ومدى تأثيراتها في تشكيلها لعالم القرن الحادي والعشرين ولمنظماته وبخاصة المنظمة المدرسية،حيث يعتمد إلى حد كبير على دور وقوة الإرادة والاختيار للأفراد والدول والمجتمعات وإعطاء مساحة كبيرة لإرادة وتخطيط الأفراد والدول في التأثير على مسار وقوة هذه التحولات.

تاسعاً: واقع القيادة المدرسية بالمملكة العربية السعودية (دراسة تحليلية):

يتناول البحث الحالي واقع القيادة المدرسية وتشخيصها للوصول إلى تحديد جوانب القوة والضعف للقيادة المدرسية، قياساً للاطار النظري للبحث والعمل على التوصل إلى إستراتيجية جديدة لقيادة مدرسة المستقبل. ونظراً لتطوير المؤسسات التعليمية في المملكة العربية السعودية وتعدد مراحلها وتضاعف مسئولياتها، تولدت الحاجة إلى إيجاد تنظيم يوضع الإطار العام لعمل هذه المؤسسات التعليمية (المدارس) ، وإعداد قيادة تربوية تواكب التقدم التقني والمعرفي، تكون قادرة على القيام بدور إيجابي في الخطط التنموية التربوية.

وصدرت وثيقة رسمية عام ١٩٧٠م تضم (٢٣٦ مادة) وتشمل الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم في المملكة، واعتمادها على عدة مصادر منها التنمية الدائمة ومطالبها، وخصائص العصر واتجاهاتة الحاضرة والمستقبلية، وربطها بحاجة الموظف السعودي ومطالب نموه، وأكدت هذه الوثيقة- وهي أعلى سلطة تشريعية -على أهمية التفاعل الواعي مع التطورات الحضارية العالمية في شتى الميادين العلمية، بما يتناسب مع احتياجات المجتمع السعودي، وظهرذلك جلياً في الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم والأهداف العامة للتعليم، كما ركزت على تدريب القوى البشرية بهدف رفع كفاءة أدائها في الباب السادس من الوثيقة.(وزارة المعارف ١٣٩٦،ص٥).

ومدرسة المستقبل تمتد قوتها من تلك الضوابط والأنظمة التي تثبت وجودها، فهي بحاجة إلى تطويع التقدم التكنولوجي بما يفيد الواقع التربوي، وذلك يتطلب منها تدريب القوى البشرية التربوية على كيفية الاستفادة من هذا التقدم في مجال عملها التربوي، وكل وفق التخصص الدقيق له، ولتحقيق ذلك لابد من إعادة النظر إلى آلية إختبار القيادات المدرسية وتدريبها، والشروط اللازمة لتعيين القيادات المدرسية، كما أكدت الدراسات الميدانية في مجال القيادة المدرسية على سن القوانين واللوائح والأنظمة والآليات التي تهيئ للقائد التربوي قيادة المدرسة في الحاضر والمستقبل بكفاءة وفاعلية.

وفي ضوء ماسبق فإن قيادة مدرسة المستقبل لها أهمية كبيرة في ربط وحداتها فيما بينها، وتتضح الحاجة للقائد التربوي الفاعل للتغيير في مدرسة المستقبل، والمشرف المقيم على جميع جوانبها التربوية والتعليمية والإدارية والاجتماعية، والمؤثر والقدوة الحسنة لزملائه أداءً وسلوكاً. ومن أدوار القائد التربوي الفاعل ما يلي:

- كمخطط للعمل التعليمي: يبدأ دوره التخطيطي بدراسة الأهداف العامة للتعليم وأهداف المرحلة التعليمية التي تنطوي تحتها مدرسته.
- كمنظم: يقوم بعملية التنظيم لتنفيذ واجب أو تحقيق أهداف.
- تهيئة بيئة العمل، لتحقيق الثبات والاستقرار في العمل.
- كمشرف تربوي: يساعد المعلمين على فهم أهدف المرحلة التي يعملون بها، ودراسة المناهج الدراسية، وطرق التدريس وغيرها، على تنفيذها، وتطوير المستوى المهني للمعلمين.
- كمقوم للعمل المدرسي للوقوف على حسن سير العملية التعليمية والتربوية ومدى تحقيقها لأهدافها، ومدى نجاح جهود تحسينها وتطويرها.

والمتتبع لحركة العملية التعليمية بالمملكة العربية السعودية، يمكنه أن يدرك أن القيادة المدرسية لمدرسة المستقبل تواجه العديد من التحديات التي تحد من القيام بالأعمال والمسئوليات الملقاه على عاتقها، كما أنه من الميسور ملاحظة المآخذ العديدة عليه فيما يتعلق بممارسته لدوره القيادي والإنتاجية المرادة (السلوم، ١٩٩٦، ص ٤٥٧).

واستجابة لتوجيهات المسئولين في وزارة التربية والتعليم،عقدت الندوات، واللقاءات التربوية،

والتوصيات من الباحثين إلى إصلاح ذلك الأمر واتخذت خطوات تنظمية جديدة من أجل تطوير القيادة المدرسية سواء من حيث اختبارهم أو إعدادهم أوتدريبهم أثناء الخدمة، بهدف تمكين القيادات المدرسية من القيام بمهامها بكفاءة ونجاح ومن هذة الخطوات للتحسين: (وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٥).

– إنشاء قسم للإدارة المدرسية في كل منطقة ومحافظة تعليمية لمتابعة أعمال القيادات المدرسية، وتوجيههم وتقويمهم يكون مرتبطاً بالإشراف التربوي، بهدف رعاية وتنمية مهارة القيادة التربوية ليصبح الرجل التربوي الأول في مدرسته.

– تشكيل لجنة للإدارة المدرسية في كل منطقة ومحافظة تعليمية لمقابلة واختيار مديري المدارس الجدد، وتقويم من هم على رأس العمل..

ويبدو أن عدم الرضاء عن واقع التعليم في المملكة العربية السعودية بصفة عامة، والقيادة التربوية بصفة خاصة لمسايرة المتغيرات والمستجدات الحديثة يقف وراء طرح **مشروع الملك عبدالله بن عبدالعزيز لتطوير التعليم العام** «**تطوير**» برامجه الأربعة (تطوير المناهج، تأهيل المعلمين والمعلمات، تحسين البيئة التعليمية، دعم النشاط غير الصيفي) وبأهدافه قصيرة ومتوسطة وطويلة المدى؛ استجابة ضرورية لهذه التحولات الجوهرية المتسارعة.

وهدف هذا المشروع في خطته قصيرة المدى إيجاد نموذج تعليمي سعودي لمدرسة المستقبل يضاهي النماذج العالمية، لذلك تم اختيار خمسين مدرسة (للبنين والبنات) وفق ضوابط ومعايير مدروسة في مختلف مناطق المملكة، وأعيد تأهيل كافة مكوناتها من ضمنها القيادة المدرسية، وذلك للبدء في أولى خطوات تنفيذ التطوير التعليمي الإجرائي، والمتوقع من القيادة المدرسية في ضوء هذا المشروع:

– قيادة تعمل باحتراف وفق خطة إستراتيجية.

– تطبيق جودة الأداء الإداري والتعليمي في المدرسة.

–أن تسعى نحو تحقيق رؤية طموحة للمدرسة.

– أن تسعى لتطوير الشراكة المجتمعية التي توفر المعلومات والخدمات التعليمية والتربوية.

– أن تسعى لرفع كفاءة تعليم المنهج وتحقيق أهدافه من خلال فاعلية المدرسة تجاهها.

– أن تسعى لرعاية منظومة القيم المدرسية وتهيئة ظروف ملائمة لنمو المهارات.

– أن تسعى للمشاركة في تقويم العمليات والمخرجات واتخاذ القرارات العلاجية المبنية على نتائجها.

ومما سبق يمكن القول بأن الواقع أظهر أن الأهداف المعلنة لتطوير التعليم بالمملكة العربية السعودية لم تترجم كلها على أرض الواقع في مدارس التعليم العام(حكومي وأهلي) لأسباب من أهمها القيادة المدرسية التي تحتاج إلى التأهيل والتدريب(المبعوث، ٢٠٠٤،ص ٢٣٦).

تحاول الرؤى التربوية المعاصرة توفير القيادة المدرسية الفاعلة والتي بدورها تستطيع أن تحقق جودة المدرسة، ومن ثم كفاءتها وفاعليتها وتترجم هذه الرؤية في:

– التأكيد على أن يكون القائد التربوي للمدرسة صاحب رؤية، يستطيع أن يصنع وقائع تربوية جديدة تطلق قوى الإبداع بين المجتمع المدرسي.

– التأكيد على سير استقلالية القائد التربوي، بحيث يستطيع أن يقوم العمل في كافة مستويات النظام التعليمي المبني على مبادئ تفويض السلطة، المشاركة المجتمعية، وتوزيع المهام والمسئوليات، والمساءلة وغيرها من الاتجاهات الحديثة في القيادة التربوية.

– السعي نحو الريادة والتميز لجميع أعضاء المجتمع المدرسي، وذلك من خلال قيادة لمدرسة فعالة تقود التطوير التربوي، وتركز على مبدأ الشورى، وتؤكد على معلم قائد تربوي متمكن متعدد الأدوار، ومناهج عصرية تعتمد على التكنولوجيا.

– التأكيد على أن تصبح القيادة التربوية المدرسية قيادة قادرة ومؤثره على التعامل مع متغيرات المستقبل.

– الإيجابات والسلبيات:

وفي ضوء تقويم الواقع الحالي للتنمية المهنية للقيادات التربوية المدرسية بالمملكة العربية السعودية من خلال الدراسة النظرية والاستطلاعية والمقابلات الشخصية. يمكن استخلاص مجموعة من الإيجابيات والسلبيات

على النحو التالي:

١- الإيجابيات:

- اهتمام الإدارة العليا بوزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية بمستوى القيادات التربوية.

- تزويد القيادات المدرسية بمعارف ومهارات جديدة عن طريق مراكز التدريب التابعة لوزارة التربية والتعليم وإدارة التربية والتعليم.

- تشجيع القيادات التربوية المدرسية لحضور الدورات والندوات واللقاءات التي تعقد داخل دول مناطق ومحافظات المملكة العربية السعودية.

- زيادة الوعي لدى بعض القيادات المدرسية بأهمية البرامج التدريبية في تحسين مستوى الأداء في معظم دول الأعضاء.

- اهتمام وزارة التربية والتعليم بالتنسيق مع الجامعات وكليات التربية وكليات المعلمين ببرامج التدريب للقيادات التربوية المدرسية أثناء الخدمة؛ لرفع كفاءتهم وتنمية قدراتهم ومهاراتهم القيادية.

- وجود قسم يشرف على تنظيم وتنفيذ البرامج التدريبية للقيادات المدرسية بوزارة التربية والتعليم.

٢- السلبيات:

- القصور في توفير خطة واضحة ومحددة لدى وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية فيما يختص ببرامج التنمية المهنية، والتدريب وعلاقتها بتطوير القيادات المدرسية لإدارة مدرسة المستقبل لفصل دراسي واحد فقط.

- غياب التحديد الفعلي للاحتياجات التدريبية للقيادات التربوية المدرسية قبل تصميم البرامج التدريبية لدى دول الأعضاء.

- ندرة المدربين المتخصصين في تدريب القيادات التربوية المدرسية بدول الأعضاء.

- القصور في الالتزام من قبل القيادات التربوية المدرسية في الحضور بالوقت المحدد لبدء البرنامج التدريبي.

- غياب التقويم للبرامج المنفذة للقيادة التربوية المدرسية لمعرفة مدى الفائدة منها، وأثر التدريب على الميدان التربوي.

- التركيز على الأسلوب التقليدي (المحاضرة) في تنفيذ معظم البرامج التدريبية للقيادات التربوية المدرسية وغياب الأساليب التدريبية الحديثة الأخرى.

- ضعف الترابط بين موضوعات البرامج التدريبية المنفذة، والواقع العملي للقيادات المدرسية.

- قلة الكوادر البشرية العاملة والمشرفة على التدريب، وافتقار بعضها للمؤهلات العلمية المرتبطة بعملية التدريب.

- القصور في القواعد التنظيمية المحددة لمهام ومسئوليات القيادة المدرسية، في مدارس التعليم العام، حيث إنها متداخلة مع مهام المراحل الأخرى (ابتدائي، متوسط، ثانوي). من التعليم العام، وتنص على العموم لجميع المراحل.

- تعيين بعض المعلمين غير المؤهلين تربوياً ونفسياً للتدريس بمدارس التعليم العام.

- ضعف مصداقية الاختيار للقيادات المدرسية، وتطبيق الشروط الآلية للاختيار، وإدخال عامل المحسوبية في الاختيار، إضافة إلى القصور في تفريغ المعلمين المتميزين الذين يرغبون في العمل القيادي بمدارس التعليم العام في التخصصات العلمية، بحجة الحاجة لخدماتهم كمعلمين.

- عزوف أغلبية القيادات المدرسية المتميزة — ممن تنطبق عليهم شروط الترشيح — عن العمل القيادي بمدارس التعليم العام وذلك لعدة أسباب منها: قلة الحوافز المادية والمعنوية، أو لصعوبة المرحلة، والأنظمة والقوانين الصادرة من وزارة التربية والتعليم.

- ليس هناك برامج إعدادية تلتحق بها القيادات المدرسية التربوية، التي لديها رغبة في ممارسة العمل القيادي مستقبلاً للمدارس.

- عناصر القوة وعناصر الضعف للقيادة المدرسية:

في ضوء عرض وتحليل الإطار العام للبحث، والإطار النظري، وتقويم الواقع الحالي للقيادة المدرسية لمدارس التعليم العام، يمكن تحديد عناصر القوة والضعف للقيادة المدرسية فيما يلي:

١- عناصر القوة:

• تدريب القيادات المدرسية لإكساب المعارف والمهارات الجديدة في مجال القيادة التربوية.

• تشجيع القيادة المدرسية لحضور الدورات والندوات واللقاءات التي تعقد داخل المملكة وخارجها.

• اهتمام وزارة التربية ممثلة في إدارة التدريب التربوي بالتنسيق مع الجامعات السعودية لعقد دورات تدريبية عالية الجودة أثناء الخدمة.

• إنشاء قسم للإدارة التربوية يهدف إلى التخطيط الإستراتيجي لتطوير القيادات المدرسية.

• إنشاء مراكز للتدريب في كل إدارة تعليمية بمناطق المملكة ومحافظتها لتحسين مستوى الأداء للقيادات المدرسية في جميع مدارس التعليم العام..

٢- عناصر الضعف:

• غياب الفهم الواضح لمفاهيم التغير التربوي لدى معظم القيادات بمدارس التعليم العام.

• غياب الرؤية الواضحة لدى وزارة التربية والتعليم فيما يختص باختيار وإعداد القيادات المدرسية لقيادة مدرسة المستقبل.

• غياب التحديد الفعلي للاحتياجات التدريبية للقيادات التربوية المدرسية قبل تصميم البرامج التدريبية للقيادات المدرسية.

• القصور في القواعد التنظيمية المحددة لمهام مسئوليات القيادة في مدارس التعليم العام.

• ضعف مصداقية الاختيار للقيادات المدرسية وتطبيق الشروط الآلية للاختيار.

• عزوف أغلبية القيادات المدرسية المتميزة — ممن تنطبق عليهم شروط الترشيح — عن العمل القيادي بمدارس التعليم العام وذلك لعدة أسباب منها:

- قلة الحوافز المادية والمعنوية.

- غياب الرؤية الإستراتيجية في معالجة معوقات الأداء للقيادات المدرسية بمدارس التعليم العام، وتظهر نتائج الدراسات والبحوث انخفاض كفاءة القيادات المدرسية من حيث الأداء والخبرة والتدريب والإبداع وقيادة التطوير بالمدرسة.

- المركزية المفرطة لمعظم القيادات التربوية العليا في النظام التعليمي بالمملكة العربية السعودية، مما انعكس على قدرة قيادة المدرسة على إحداث التغيير مسايرة المتغيرات والتحولات الجديدة في العالم.

مما سبق يمكن القول بأن عناصر الضعف أكثر من عناصر القوة مما يوضح الحاجة إلى إعادة النظر بشأنها في عملية التطوير، وبما يمكنها من تحقيق أهدف مدرسة المستقبل.

- معايير الحكم على أداء القيادات التربوية لقيادة مدرسة المستقبل المقترحة في المملكة العربية السعودية:

تأسيسا على مراجعة أدبيات الإدارة التربوية والقيادة المدرسية يمكن تقديم بعض المعايير النظرية للحكم على أداء القيادات التربوية في قيادة مدرسة المستقبل المنشودة في المملكة العربية السعودية في حال تطبيقها الفعلي، ومن أهم تلك المعايير القدرة على مايلي:

• تيسير عملية التحسين والتطوير لكل المشاركين في وضع مثل هذه الرؤية عن طريق استخدام التكنولوجيا وتوصيل مثل هذه الرؤية للآخرين.

• وجود عملية خاصة بتحسين وتطبيق وتقييم الخطة الخاصة بالتكنولوجياعلى نطاق واسع.

• مدى القدرة على دعم الثقافة الداعمة للسياسات التي تتعلق بالتجديد المستمر للتكنولوجيا داخل المدرسة.

• استخدام البيانات في صنع القرارات داخل المدرسة.

• التأكيد على التأييد الكامل للسياسات والبرامج المدرسية على المستوى المحلي بهدف دعم خطة محددة باستخدام التكنولوجيا.

• توظيف وسائل التقنية وتقويمها لتحصيل التدريس والمناهج المتمركزة حول المعايير بما يؤدي إلى تحسين التحصيل الدراسي للطالب.

• تفسير بقية وسائل التعلم التي تساعد في تحسين أداء الطلاب ودعمها.

• توفير بيئة مدرسية متمركزة حول المتعلم حيث تساعد على استخدام التكنولوجيا التي تشبع الحاجات المختلفة للطلاب.

• التأثير في تيسير استخدام أساليب التقنية في

تحسين طرق التدريس التي تهدف إلى تطوير مهارات حل المشكلات وصنع القرارات.

• ضمان التزام الافراد العاملين بما تتيحه المدرسة من تنمية مهنية لهم، استناداً على مبادئ الجودة والتحسين المستمر لعملية التعليم والتعلم.

• الاحساس بالآخرين، وأن البشر أهم الموارد الفردية؛ يحسن التعامل معهم ويحس بمشاعرهم ويصل للتأثير على سلوكهم.

• القدرة على مواجهة متطلبات القيادة الحديثة، وتحقيق الفاعلية باستخدام أدوات التقنية في بحوث العمليات وعلم القرار، والتفويض وإدارة الوقت، واستخدام الإدارة بالأهداف، واستغلال الطاقات الكامنة لدى أعضاء المجتمع المدرسي.

• استخدام التكنولوجيا لدعم عملية الاتصال والتعاون بين العاملين والآباء والطلاب ومجتمع المدرسة.

• عمل نماذج للأعمال الروتينية والاستخدام الأمثل للتكنولوجيا.

• المشاركة في ايجاد مجتمع مدرسي يشجع الأفراد العاملين والطلاب على استخدام التكنولوجيا لتحسين إنتاجيتهم.

• الانخراط في التعلم المهني من خلال استخدام مصادر التكنولوجيا.

• الالتزام بالاستخدام الواعي لأساليب التقنية في التعلم.

• استخدام التكنولوجيا للتطوير التنظيمي الإداري والتربوي داخل المدرسة(المدرسة الالكترونية)

• تطوير السياسات وتطبيقها لتضمن إمكانية تطبيق هذه التكنولوجيا.

• تطبيق نظم الإدارة المتمركزة حول التكنولوجيا المتكاملة ونظم المعلومات واستخدامها

• توزيع الموارد البشرية والمالية للتأكد من المساندة الكاملة في تحقيق الخطة الإستراتيجية.

• التأكيد على تكامل الخطط الاستراتيجية وخطط التكنولوجيا وخطط التطوير وخطط عملية التطوير التي تساعد على الاستخدام الأمثل لهذه الموارد.

• تطبيق الإجراءات اللازمة لتحقيق التحسينات المستمرة في النظام التكنولوجي وتشجيع التغيرات الإدارية،مقارنة بالتغيير داخل المدرسة.

• استخدام وسائل متعددة لتقييم وتقويم الاستخدام الملائم لموارد تكنولوجيا التعلم والاتصال والمعلومات في عمليتي التعليم والتعلم.

• إدارة الجماعات، وتشغيل فريق العمل،وتفعيل عملية الشراكة الجماعية في اتخاذ القرار داخل المدرسة.

• استخدام التكنولوجيا في جمع البيانات وتحليلها وتفسير النتائج واستخدامها في تحسين الممارسات التربوية وعملية التعلم.

• تقييم مهارات الأفراد والعاملين وأدائهم في استخدام التكنولوجيا، وتسهيل التنمية المهنية الجيدة وإبلاغهم بالقرارات الجيدة في المدرسة.

• استخدام أساليب التكنولوجيا التي تساعد كلا من المتعلمين والمعلمين.

• القدرة على تحديد الممارسات الاجتماعية التي تساعد في استخدام أساليب التقنية، ونجاح العملية التربوية والتعليمية.

• ضمان أمان وسهولة استخدام إستراتيجيات وطرق تدريبية تعمل على الارتفاء بأداء الطلاب ذوى الأداء التعليمي المنخفض ورعاية الموهوبين.

• المشاركة في تطوير السياسات التي تشجع على ضرورة استخدام الموارد البشرية والمادية المتاحة داخل المدرسة.

العاشر: تطوير قيادة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية: (دراسة تطبيقية تنبؤية)

في ضوء نتائج الدراسات السابقة، والأدبيات التي تم عرضها في الإطار النظري، وما توصلت إليه الدراسة النظرية، والدراسة الاستطلاعية والمقابلات الشخصية لواقع التنمية المهنية للقيادات التربوية المدرسية، وبما يتفق مع طبيعة المجتمع السعودي، يمكن التوصل إلى رؤية إستراتيجية مقترحة لتطوير التنمية المهنية للقيادات التربوية المدرسية لإدارة مدرسة المستقبل في ضوء أدوارهم المستقبلية، وذلك من خلال تصميم استبيان يتضمن

مرتكزات أساسية لإحداث التطوير المنشود، وعرضها على مجموعة من الخبراء والمختصين في مجال البحث. للوقوف على مدى صلاحيتها، وإمكانية تطبيقها باستخدام أسلوب دلفاي من خلال القيام بثلاث جولات ميدانية، وفيما يلي تعريف بأسلوب دلفي ، وإجراءات تطبيقية:

– تصور بعض خبراء التربية للرؤية الإستراتيجية للقائد التربوي لمدرسة المستقبل بالمملكة:

في ضوء ما عرض له الإطار النظري من أدبيات التحولات العالمية وانعكاساتها على القيادة التربوية المدرسية ، والاتجاهات الحديثة للقيادة التربوية ومتطلباتها لمدرسة المستقبل القيادي لقائد مدرسة المستقبل، وما أشارت إليه الدراسة النظرية للواقع في ضوء التشريعات والأنظمة والدراسات الميدانية عن المملكة العربية السعودية، بدا واضحاً أن هناك مجموعة من جوانب القوة، وجوانب الضعف التي تتسم بها (القيادة المدرسية). وهو الأمر الذي يتطلب معه صياغة مجموعة من الإجراءات لعلاج جوانب القصور وجوانب القوة وذلك من خلال إجراءات الدراسة التنبؤية للقيادة المدرسية لمدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية.

أولاً: إجراءات الدراسة التنبؤية:

أ. أهداف الدراسة التنبؤية: تهدف الدراسة التنبؤية إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تحديد أهم جوانب القوة ونواحي الضعف في القيادة المدرسية بمدراس التعليم العام بالمملكة.
- تحديد الفرص والمخاطر المتواجدة في المدرس بالمملكة.
- تحديد إمكانية إيجاد رؤية إستراتيجية للقيادة المدرسية لمدرسة المستقبل بالمملكة، بما يحقق أهداف تطوير المملكة للتعليم، ومسايرة المتغيرات والمستجدات العالمية.

ب.الأسلوب المستقبلي للتنبوء: يعد أسلوب «**دلفي**» طريقة للتنبوء بالمستقبل، ويقوم على فكرة أن نتائج تفكير الجماعة أفضل كثيراً من نتائج تفكير أي فرد فيها، ويمتاز هذا الأسلوب ببعض المميزات من أهمها:

١- أن القضايا والمشكلات الاجتماعية تتميز بكثرة العوامل أو المتغيرات التي تؤثر فيها، ومن ثم فإن محاولة فهمها أو إيجاد حلول من منظور فردي قد يؤدي إلى خلل في التشخيص أو العلاج.

٢- أن مجموعة الخبراء الذين يؤخذ رأيهم في قضية ما وفق أسلوب دلفي تزيد من احتمالات الرؤية الشاملة لأبعاد القضية، وكشف الجوانب المختلفة لمضامينها، كما يزيد من احتمالات شمولية الحلول.

٣- أن المجموعة أكثر قدرة على مواجهة المخاطر والتحديات، وأن الحلول التي تتخذها المجموعة تكون عادة أكثر جرأة من الحلول التي يتخذها الأفراد، من منطلق الدعم والمؤازرة التي يقدمها الخبراء. (فهمي،١٩٨٧، ص٢٠٩)

٤- الاعتماد على مجموعة من الخبراء المختصين في مجال الموضوع المطروح للدراسة، وعدم الاعتماد على رأي خبير واحد، انطلاقاً من مسلمة وهي أن رأي الاثنين أفضل من الرأي الفردي، وإتاحة الفرصة لجمع المعلومات من عدة شخصيات يشهد لها بالكفاءة في مجال البحث للحصول على معلومات موضوعية ثابتة.

٥- عدم معرفة الخبراء المشاركين في التنبوء لبعضهم، مما يمكنهم من إبداء آرائهم بحرية وموضوعية دون التعرض لتأثير الآخرين.

٦- إجراء التنبوء لعدة مرات تتراوح بين ثلاث إلى خمس مرات من خلال سلسلة استبانات يتم طرحها على الخبراء، حيث يتم بعد كل جولة إعادة صياغة الاستبيانات في ضوء نتائج الجولة وطرحها على مجموعة الخبراء، وتستمر هذه العملية حتى الوصول إلى إجماع أو شبه إجماع حول موضوع قيد البحث. (عبد الحي،١٩٩٦، ص٤٠)

ويتبع أسلوب دلفاي الخطوات المنهجية التالية:

- تحديد أبعاد الموضوع، ووضع الأسئلة على شكل استمارة أو استبيان يتضمن مجموعة من الأسئلة.
- يطلب من كل خبير أو مختص – كل على حده – الإجابة عن الأسئلة، وإضافة المعلومات التي يرى أنها ذات صلة وثيقة بموضوع الدراسة.

– بعد كل جولة يتم تحليل النتائج في ضوء إجابات الخبراء وملاحظاتهم، ويعاد صياغة الاستبانات، وتطرح عليهم مرة أخرى.

– تكرر هذه العملية لعدة مرات تتراوح بين ثلاث إلى خمس جولات حسب أهمية موضوع الدراسة واستقرار النتائج.

وفي ضوء ما أسفرت عنه الدراسات السابقة والدراسة النظرية وواقع القيادة المدرسية في ضوء الأنظمة والتشريعات والدراسات واللقاءات التربوية، تم وضع الصورة المبدئية لاستبيان دلفاي، وتنقسم إلى نوعين: مفتوح، وآخرمغلق وفقاً لما تحويه الاستبانة من أسئلة في داخلة وعليه نوضح ذلك في فيما يلي:

– تم تقسيم الاستبيان طبقاً للتنظيم الإداري لمدرسة المستقبل بدول الأعضاء، وصياغة مجموعة من الممارسات القيادية التي يمكن من خلالها التوصل لرؤية إستراتيجة بالمملكة للقيادة المدرسية لمدرسة المستقبل مثل المشاركة في صنع القرار، تفويض السلطة والاتصال ، وتقويم الأداء، والتنمية المهنية للقيادات التربوية المدرسية بمدرسة المستقبل.

– طلب من المحكمين تحديد درجة ارتباط التنظيم الإداري لمدرسة المستقبل، ودرجة ارتباط كل ممارسة من الممارسات، سواء كانت كبيرة، أم متوسطة، أم منخفضة.

وبعد إجراء وتنفيذ توجيهات هيئة التحكيم، تم الوصول إلى الصورة النهائية لاستبانة دلفي والتي تعد الصورة التي قدمت في الجولة الأولى من جولات دلفي، وتم تحديد المطلوب من مجموعة الخبراء في تحديد درجة الأهمية لكل عبارة، والتي تتراوح ما بين (كبيرة– متوسطة– منخفضة).

وقد اعتمدت المعالجة الإحصائية لبيانات الجولات (دلفي) الثلاث على حساب التكرار والنسب المئوية لكل عبارة في كل جولة، وتم حساب التكرار والنسب المئوية لاستجابات الخبراء عن محاور الاستبيان. وقد تم تحليل البيانات في ضوء النسب التالية:

(٩٠٪ فأكثر إجماع)، (٨٠ ٪ تمركز عال)، (٧٥٪ تمركز متوسط)، (٧٠ ٪ تمركز منخفض).

ثانياً: تطبيق جولات دلفي ونتائجها:

تم اختيار مجموعة من الخبراء والمختصين في مجال الدراسة لاستطلاع آرائهم حول الرؤية الإستراتيجية للقيادة المدرسية لمدرسة المستقبل بالمملكةالعربية السعودية وقد تم التركيز على الخبراء في مجال القيادة التربوية في كليات التربية بالجامعات السعودية والقيادات في وزارة التربية والتعليم.

الجولة الأولى: بدأ تطبيق الجولة الأولى ابتداء من١٤٢٩/٥/١٢هـ واستمرت حتى١٤٣٠/٦/١٥هـ، وقد تم توزيع استبيان الجولة الأولى على عينة مكونة من(٢٥) خبيراً، ووصل للباحث منها(٢١) استبانة، ولعل ذلك يرجع لانشغال بعض الخبراء فلم يتمكنوا من الإجابة عنه، وتمثلت أسئلة الاستبانة المفتوحة في الجولة الأولى في الأسئلة التالية:

المحور الأول: ما رؤيتك للتنظيم الإداري لمدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية؟

المحور الثاني: ما الممارسات القيادية للقائد التربوي بمدرسة المستقبل؟

المحور الثالث: ما مقترحاتك التنمية المهنية للقيادات التربوية لمدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية؟

وتم رصد وتحليل نتائج الجولة الأولى لأسلوب دلفي للوقوف على آراء واتجاهات الخبراء، فيما يتعلق بالصورة المستقبلية للقيادة المدرسية لمدرسة المستقبل بالمملكة في ضوء أدوارهم المستقبلية.

الجولة الثانية: بعد تحليل إجابات الجولة الأولى وتصنيفها،(الأسئلة المفتوحة) تم تصميم استبانة الجولة الثانية بناءً على توجيهات الخبراء، وما أسفرت عنه نتائج الجولة الأولى، ومضافاً إليها آراء أخرى لكل محور من محاور الاستبانة، وقد تم استفتاء الخبراء مرة أخرى حول ما طرحوه في الجولة الأولى من أراء حول الصورة المستقبلية للدور القيادي لمدرسة المستقبل بهدف الوصول إلى اتفاق عام، وحتى تتاح لهم الفرصة للاطلاع على جميع الآراء التي اقترحت بخصوص التنظيم الإداري، والممارسات القيادية والتنمية المهنية للقيادات التربوية، وقد تم استبدال صيغة بعض الأسئلة المفتوحة في الجولة الثانية بأسئلة مغلقة بهدف الاستفادة الكاملة من نتائج

الجولة الأولى وتعميقها، ومنها المحور الثالث المقترح من الخبراء وهو التنمية المهنية للقيادات التربوية، وقد بدأ تطبيق الجولة الثانية في الفترة الزمنية من ٦/١٥ —١٤٣٠/١٢/١٥ على الخبراء أنفسهم.

هذا وقد اتفقت معظم آراء الخبراء في الجولة الثانية على بعض الملاحظات منها: إعادة صياغة بعض العبارات المرتبطة بالتنظيم الإداري لمدرسة المستقبل و بالممارسات القيادية، والتنمية المهنية للقيادات المدرسية، كذلك إضافة بعض العبارات تحت ممارسات القائد التربوي لقيادة مدرسة المستقبل في ضوء أدوارهم المستقبلية، كذلك إعادة ترتيب بعض العبارات في بعض محاور الاستبانة وفق المحاور التالية:

المحور الأول: التنظيم الإداري لمدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية:

م	المقترحات	درجة الأهمية					
		كبيرة		متوسطة		منخفضة	
		ك	٪	ك	٪	ك	٪
١	إعداد وتأهيل كوادر وطنية تتولى المشاركة في تدريب القيادات التربوية بكافة مستويات التعليم العام.	١٣	٨١,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
٢	وضع خطة إستراتيجية شاملة لتنمية المهنية للقيادات التربوية بكافة مستوياتها العام .	١١	٦٨,٧٥	٣	١٨,٧٥	٢	١٢,٥
٣	توفير مناخ مدرسي مفتوح يسمح بالابتكار العلمي في طرح الرؤى المستقبلية لمدارس التعليم العام.	١٢	٦٨,٧٥	٣	١٨,٧٥	٨	١٢,٥
٤	وضع وصف وظيفي محدد للمهام والمسئوليات للقيادة التربوية بكافة مستوياتها بالتعليم العام.	١٣	٨١,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
٥	وضع معايير موضوعية لاختيار القيادات التربوية بكافة مستوياتها بالتعليم العام(كالخبرة،والقدرة على القيادة)	١٢	٧٥,٠	٤	٢٥,٠	-	-
٦	وضع معايير موضوعية لترقية القيادات التربوية بكافة مستوياتها بالتعليم العام(كالمؤهل العلمي،تقارير الأداء وغيرها).	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
٧	إنشاء إدارة متخصصة للتنمية المهنية متكاملة مزودة بأحدث التجهيزات والتقنيات.	١٣	٨١,٢٥	١	٦,٢٥	٢	١٢,٥
٨	إصدار تشريعات موحدة في دول الأعضاء لتنظيم عملية القادة التربويون بكافة مستوياتها في التعليم العام.	١١	٦٨,٧٥	٣	١٨,٧٥	٢	١٢,٥
٩	منح القيادات التربوية بكافة مستوياتها في التعليم العام المزيد من الصلاحيات اللازمة لتيسير الأعمال الموكلة لهم	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
١٠	ضرورة إشراك القيادات التربوية بكافة مستوياتها في التعليم العام في اتخاذ القرارات التربوية بالتعليم.	١٣	٨,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
١١	مشاركة القيادات التربوية بكافة مستوياتها في حل المشكلات التربوية بالتعليم العام	١٣	٨١,٢٥	٣	١٨,٧٥	-	-
١٢	استخدام الإدارة الإلكترونية في مدارس التعليم العام بدول الأعضاء	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
١٣	المرونة والقدرة على التكيف مع المتغيرات المستقبلية	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
١٤	إيجاد قنوات اتصال فعالة مفتوحة تحقق الانسيابية والسرعة في تدفق المعلومات بين كافة العاملين في القطاع التربوي العام	١٣	٨١,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
١٥	اعتماد مبدأ للحوافز (الإيجابية السلبية) لمكافأة المميزين ومحاسبة المقصرين والمهملين بالتعليم العام	١٢	٦٨,٧٥	٣	١٨,٧٥	٢	١٢,٥
١٦	إحداث تغيير إيجابي في الثقافة التنظيمية للتعليم لتنمية ثقافة الجودة الشاملة لكافة العاملين بالتعليم العام.	١٣	٨١,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
١٧	التقليل من المركزية في وزارة التربية التعليم للتخفيف من الإجراءات الروتينية بما يساعد على أنجاز الأعمال بأسرع وقت وجهد ممكن.	١٢	٨١,٣٥	٣	١٨,٧٥	-	-
١٨	ضرورة اكتساب القيادات التربوية بكافة مستوياتها في مهارات تفويض السلطة ليتمكنوا من إنجاز أعمالهم بكفاية عالية.	١٣	٨١,٢٥	٣	١٨,٧٥	-	-
١٩	العمل على إيجاد طرق وأساليب معاصرة لتقويم الأعمال الإدارية والتربوية بالتعليم العام	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
٢٠	تفعيل دور الرقابة الإدارية على التعليم العام (الداخلية والخارجية والذاتية)لضمان مخرجات فعالة من النظام التربوي في دول الأعضاء.	١٣	٨١,٢٥	٢	١٢,٥	-	٦,٢٥
٢١	ضرورة التنسيق بين أجهزة التعليم العام المختلفة ومؤسسات التعليم العالي بدول الأعضاء.	١٣	٨١,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦+٢٥.
٢٢	الاهتمام بدراسة وتقويم مخرجات النظام التعليمي بدول الأعضاء (على المستوي التعليم العام- والتعليم العالي).	١٣	٨١,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
٢٣	ضرورة ربط التخطيط التربوي بالتخطيط الاقتصادي وبخاصة مجال التدريب.	١٢	٨١,٣٥	٣	١٨,٧٥	١	-

المحور الثاني: الممارسات القيادية للقائد التربوي بمدرسة المستقبل:

م	المقترحـــات	درجة الأهمية					
		كبيرة		متوسطة		منخفضة	
		ك	٪	ك	٪	ك	٪
١	توضيح الأدوار والواجبات المطلوب أداؤها من العاملين	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	–	–
٢	تحديد معايير واضحة لقياس الأداء.	١١	٦٨,٧٥	٣	١٨,٧٥	١	٦,٢٥
٣	توفير مناخ تعاوني يساعد على مشاركة العاملين في تقويم أدائهم.	١٢	٧٥,٠	٢	١٢,٥	٢	١٢,٥
٤	تقويم التغذية الراجعة للعاملين عن أدائهم وبصفة منتظمة.	١٣	٨١,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
٥	تحديد الفجوة بين الأداء الفعلي والأداء المنشود.	١٢	٧٥,٠	٤	٢٥,٠	–	–
٦	إتاحة الفرصة للعاملين لمحاكاة النماذج ذات الأداء المتميز	١٢	٧٥,٠	٤	٢٥,٠	–	–
٧	تحديد الاحتياجات التدريبية للذات وللعاملين.	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	–	–
٨	تنمية مهارات العاملين في ضوء نتائج تقويم أدائهم.	١٣	٨١,٢٥	١	٦,٢٥	–	–
٩	إشراك العاملين في التنبوء بالسلوك المرغوب فيه لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة.	١١	٦٨,٧٥	٣	١٨,٧٥	٢	١٢,٥
١٠	تقديم الحوافز العادلة للأداء الجيد.	١٣	٨١,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
١١	إتاحة الفرصة لتوليد الأفكار الجديدة التي تخدم القرار المراد تنفيذه.	١٠	٦٢,٥	٤	٢٥,٠	٢	١٢,٥
١٢	إتاحة الفرصة لإبداء الآراء في حل المشكلات التي تواجه المدرسة أثناء صنع القرار	١١	٦٨,٧٥	٣	١٨,٧٥	٢	١٢,٥
١٣	الاستفادة من أجهزة الحاسب الآلي المتاحة لتخزين المعلومات التي تسهم في تكوين الذاكرة التنظيمية للإفادة منها في صنع القرار	١٣	٨١,٢٥	٣	١٨,٧٥	–	–
١٤	توفير مناخ مدرسي يسمح بالابتكار لطرح البدائل الخاصة بموضوع القرار	١٣	٨١,٢٥	٣	١٨,٧٥	–	–
١٥	الاعتراف بقدرات العاملين على الاستخدام الفعال للسلطة المفوضة لهم.	١٣	١٨,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
١٦	بناء ثقافة تنظيمية تنمي قدرات العاملين على إنجاز المهام المطلوبة بالتفويض.	١١	٦٨,٧٥	٣	١٨,٧٥	٢	١٢,٥
١٧	منح العاملين الحرية في استخدام السلطة المفوضة لهم لتنفيذ المهام المطلوبة	١٢	٧٥,٠	٢	١٢,٥	٢	١٢,٥
١٨	مراعاة قدرات العاملين وإمكاناتهم في تحديد المهام التي يمكن أن تفوض لهم	١٣	٨١,٢٥	٣	١٨,٧٥	–	–
١٩	حفز العاملين على قبول السلطة المفوضة لإنجاز المهام.	١٢	٧٥,٠	٤	٢٥,٠	–	–
٢٠	منح العاملين الصلاحيات التي تتناسب مع المهام المفوضة لهم.	١٣	٨١,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
٢١	توظيف تكنولوجيا المعلومات في تخزين المعلومات التي تساعد في تكوين قاعدة معروفيه.	١٣	٨١,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
٢٢	استخدام الوسائط المتعددة التقنيات في تكوين الذاكرة التنظيمية.	١٠	٦٢,٥	٤	٢٥,٠	٢	١٢,٥
٢٣	دعم برامج نشطة تدعم الاتصال على كافة المستويات الإدارية.	١٣	٨١,٢٥	٣	١٨,٧٥	–	–
٢٤	توفير شبكة اتصال يمكن من خلالها تبادل المعلومات.	١٣	٨١,٢٥	٣	١٨,٧٥	–	–
٢٥	تدريب العاملين على استخدام تقنيات الاتصال الحديثة المتاحة.	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	–	–
٢٦	السماح بتدفق المعلومات الصحيحة بين كافة المستويات الإدارية.	١١	٦٨,٧٥	٣	١٨,٧٥	٢	١٢,٥
٢٧	تحديد أدوار العاملين في دعم عمليات الاتصال الفعال.	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	–	–
٢٨	تشجيع الرؤية التعاونية لحل المشكلات التي تعوق العمل المدرسي وتحتاج إلى قرار.	١٣	٨١,٢٥	٣	١٨,٧٥	–	–

المحور الثالث: التنمية المهنية للقيادات التربوية:

م	أ- أهداف التنمية المهنية	درجة الأهمية					
		كبيرة		متوسطة		منخفضة	
		ك	٪	ك	٪	ك	٪
١	الارتقاء بمستوي الأداء وتجويد العمل.	١٣	٨٧,٢٥	٣	١٨,٧٥	-	-
٢	تطوير القدرات والكافيات العلمية والمهنية.	١٣	٨١,٢٥	٣	١٨,٧٥	٢	١٢,٥
٣	اكتساب خبرات جديد ة في مجال العمل.	١٢	٧٥,٠	٣	١٢,٥	١	٦,٢٥
٤	إحداث تغيرات إيجابية في المفاهيم والاتجاهات والسلوكيات	١٣	٨,٢٥	٢	١٨,٧٥	١	٦,٢٥
٥	تنمية الوعي بأهمية العمل الجماعي لتحقيق الأهداف التربوية	١٣	٨١,٢٥	٣	١٢,٥	-	-
٦	التمكن من استخدام الموارد المتاحة بشكل فعال.	١٤	٨٧,٢٥	٢	١٢,٥	-	-
٧	إعداد قادة لديهم رؤيا مستقبلية للنهوض بمستوي التعليم.	١٤	٨٧,٢٥	٢	١٢,٥	-	-
٨	القدرة على إنجاز الأعمال بأقل جهد ووقت ممكن.	١٣	٨,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
٩	اعتماد الأساليب العلمية المتطورة في العمل.	١٤	٨٧,٢٥	٢	١٢,٥	-	-
١٠	تنمية مهارات التحليل والتفكير النقدي والإبداعي.	١٣	٨٧,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
١١	اكتساب مهارات استخدام التقنيات والتكنولوجيا الحديثة.	١٤	٨٧,٢٥	٢	١٢,٥	-	-
١٢	تعزيز الثقة بالنفس وتحمل المسؤولية.	١٣	٨٧,٢٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
	ب- مجالات التنمية المهنية						
١٣	تحديد الأهداف ووضع الخطط.	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
١٤	تحديد الآلية والوقت اللازم لتحقيق الأهداف الموضوعة.	١١	٦٨,٧٥	٣	١٨,٧٥	-	-
١٥	توزيع الأعمال والمهام والمسئوليات.	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
١٦	تنظيم الوقت وإدارته بفعالية.	١٢	٧٥,٠	٣	١٨,٧٥	١	٦,٢٥
١٧	تفويض الصلاحيات والمشاركة في صنع القرار.	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
١٨	تفعيل الاتصالات وتبادل المعلومات	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
١٩	تنمية الوعي بأهمية القرارات المستندة على البيانات والمعلومات الحقيقية	١٢	٧٥,٠	٣	١٨,٧٥	١	٦,٢٥
٢٠	إعداد وإدارة الموازنة المالية وتحديد أولويات الصرف والإنفاق	١٣	٨٧,٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
٢١	مراقبة ومتابعة تنفيذ الأعمال.	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
٢٢	الاهتمام بالعلاقات الإنسانية في التعامل مع المجتمع.	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
٢٣	تشجيع التعاون والتنسيق بين العاملين والعمل بروح الفريق.	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
٢٤	اتباع أساليب متطورة وفعالة في تقويم الأداء.	١٣	٨٧,٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥
	ج- أساليب التنمية المهنية						
٢٥	ورش العمل	١٦	١٠٠	-	-	-	-
٢٦	حلقات النقاش	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
٢٧	دراسة الحالة.	١٣	٨١,٢٥	٣	١٨,٧٥	-	-
٢٨	التدريب في موقع العمل.	١٤	٨٧,٥	٢	١٢,٥	-	-
٢٩	الندوات والمؤتمرات.	١٣	٨٧,٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥

٣٠	المحاضرات.	١٠	٦٢,٥	٤	٢٥	٢	١٢,٥	
٣١	البحوث الميدانية وكتابة التقارير.	١٠	٦٢,٥	٤	٢٥	٢	١٢,٥	
٣٢	دراسة مقررات جامعية والدراسات العليا.	١٠	٦٢,٥	٤	٢٥	٢	١٢,٥	
٣٣	التعلم من أصحاب الخبرات وتبادل الزيارات.	١٣	٦٢,٥	٢	١٢,٥	١	٦,٢٥	
٣٤	التعلم عن بعد باستخدام التقنيات الحديثة كالحاسب والانترنت	١٣	٨٧,٥	٣	١٨,٧٥	-	-	

* * *

الجولة الثالثة: بناء على تحليل نتائج الجولة الثانية في ضوء إجابات الخبراء وملاحظاتهم، تم إعادة صياغة الاستبيان ، وإعادة طرحه على الخبراء مرة أخرى للوصول إلى أكبر قدر من الاتفاق بين الخبراء في تحديد رؤيتهم لقيادة مدرسة المستقبل طبقا لمحاور البحث:

المحور الأول: التنظيم الإداري لمدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية:

م	المقترحات	درجة الأهمية: كبيرة ك	٪	متوسطة م	٪	منخفضة
١	إعداد وتأهيل كوادر وطنية تتولى المشاركة في تدريب القيادات التربوية بكافة مستويات التعليم العام.	١٦	١٠٠			
٢	وضع خطة إستراتيجية شاملة للتنمية المهنية للقيادات التربوية بكافة مستوياتها العام .	١٦	١٠٠			
٣	توفير مناخ مدرسي مفتوح يسمح بالابتكار العلمي في طرح الرؤى المستقبلية لمدارس التعليم العام.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
٤	وضع وصف وظيفي محدد للمهام والمسئوليات للقيادات التربوية بكافة مستوياتها بالتعليم العام.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
٥	وضع معايير موضوعية لاختيار القيادات التربوية بكافة مستوياتها بالتعليم العام(كالخبرة،والقدرة على القيادة)	١٦	١٠٠			
٦	وضع معايير موضوعية لترقية القيادات التربوية بكافة مستوياتها بالتعليم العام(كالمؤهل العلمي،تقارير الأداء وغيرها).	١٦	١٠٠			
٧	إنشاء إدارة متخصصة للتنمية المهنية متكاملة مزودة بأحدث التجهيزات والتقنيات.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
٨	إصدار تشريعات موحده في دول الأعضاء لتنظيم عملية اختيار القادة التربويين بكافة مستوياتها في التعليم العام.	١٦	١٠٠			
٩	منح القيادات التربوية بكافة مستوياتها في التعليم العام المزيد من الصلاحيات اللازمة لتيسير الأعمال الموكلة لهم	١٦	١٠٠			
١٠	ضرورة إشراك القيادات التربوية بكافة مستوياتها في التعليم العام في اتخاذ القرارات التربوية بالتعليم.	١٦	١٠٠			
١١	مشاركة القيادات التربوية بكافة مستوياتها في حل المشكلات التربوية بالتعليم العام	١٦	١٠٠			
١٢	استخدام الإدارة الإلكترونية في مدارس التعليم العام بدول الأعضاء	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
١٣	المرونة والقدرة على التكيف مع المتغيرات المستقبلية	١٥	٩٣,٧٥			
١٤	اعتماد مبدأ محاسبة المقصرين والمهملين بالتعليم العام	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
١٥	إيجاد قنوات اتصال فعالة مفتوحة تحقق الانسيابية والسرعة في تدفق المعلومات بين كافة العاملين في القطاع التربوي العام	١٦	١٠٠			
١٦	اعتماد مبدأ للحوافز (الإيجابية السلبية) لمكافأة المميزين.	١٦	١٠٠			
١٧	إحداث تغيير إيجابي في الثقافة التنظيمية للتعليم لتنمية ثقافة الجودة الشاملة لكافة العاملين بالتعليم العام.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
١٨	التقليل من المركزية في وزارة التربية التعليم للتخفيف من الإجراءات الروتينية بما يساعد على إنجاز الأعمال بأسرع وقت وجهد ممكن.	١٦	١٠٠	١	٦,٢٥	
١٩	ضرورة اكتساب القيادات التربوية بكافة مستوياتها في مهارات تفويض السلطة ليتمكنوا من إنجاز أعمالهم بكفاية عالية.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
٢٠	العمل على إيجاد طرق وأساليب معاصرة لتقويم الأعمال الإدارية والتربوية بالتعليم العام	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
٢١	تفعيل دور الرقابة الإدارية على التعليم العام (الداخلية والخارجية) لضمان مخرجات فعالة من النظام التربوي في دول الأعضاء.	١٦	١٠٠			

٢٢	ضرورة التنسيق بين أجهزة التعليم العام المختلفة ومؤسسات التعليم العالي بدول الأعضاء.	١٦	١٠٠			
٢٣	الاهتمام بدراسة وتقويم مخرجات النظام التعليمي بدول الأعضاء (على المستوي التعليم العام- والتعليم العالي).	١٦	١٠٠			
٢٤	ضرورة ربط التخطيط التربوي بالتخطيط الاقتصادي.خاصة في مجال التدريب بدول الأعضاء.	١٦	١٠٠			

المحور الثاني: الممارسات القيادية للقائد التربوي بمدرسة المستقبل:

م	العبارات	درجة الأهمية				
		كبيرة		متوسطة		منخفضة
		ك	٪	ك	٪	
١	توضيح الأدوار والواجبات المطلوب أداؤها من العاملين	١٦	١٠٠			
٢	تحديد معايير واضحة لقياس الأداء.	١٦	١٠٠			
٣	توفير مناخ تعاوني يساعد على مشاركة العاملين في تقويم أدائهم.	١٦	١٠٠			
٤	تقويم التغذية الراجعة للعاملين عن أدائهم وبصفة منتظمة.	١٦	١٠٠			
٥	تحديد الفجوة بين الأداء الفعلي والأداء المنشود.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
٦	إتاحة الفرصة للعاملين لمحاكاة النماذج ذات الأداء المتميز	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
٧	تحديد الاحتياجات التدريبية للعاملين.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
٨	تنمية مهارات العاملين في ضوء نتائج تقويم أدائهم.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
٩	إشراك العاملين في التنبوء بالسلوك المرغوب فيه لتحقيق الأهداف التربوية.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
١٠	تقديم الحوافز المناسبة للأداء الجيد.	١٦	١٠٠			
١١	إتاحة الفرصة لتوليد الأفكار الجديدة التي تخدم القرار المراد تنفيذه.	١٦	١٠٠			
١٢	إتاحة الفرصة لإبداء الآراء في حل المشكلات التي تواجه المدرسة أثناء صنع القرار	١٦	١٠٠			
١٣	توفير مناخ مدرسي يسمح بالابتكار لطرح البدائل الخاصة بموضوع القرار	١٦	١٠٠			
١٤	الثقة بقدرات العاملين على الاستخدام الفعال للسلطة المفوضة لهم.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
١٥	بناء ثقافة تنظيمية تنمي قدرات العاملين على إنجاز المهام المطلوبة بالتفويض.	١٦	١٠٠			
١٦	منح العاملين الحرية في استخدام السلطة المفوضة لهم لتنفيذ المهام المطلوبة	١٦	١٠٠			
١٧	مراعاة قدرات العاملين وإمكاناتهم في تحديد المهام التي يمكن أن تفوض لهم.	١٦	١٠٠			
١٨	تحفيز العاملين على قبول السلطة المفوضة لإنجاز المهام.	١٦	١٠٠			
١٩	منح العاملين الصلاحيات التي تتناسب مع المهام المفوضة لهم.	١٦	١٠٠			
٢٠	توظيف تكنولوجيا المعلومات في تخزين المعلومات التي تساعد في تكوين قاعدة معرفيه.	١٦	١٠٠			
٢١	استخدام الوسائط المتعددة التقنيات في تكوين الذاكرة التنظيمية.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	
٢٢	دعم برامج نشطة تدعم الاتصال على كافة المستويات الإدارية.	١٥	٩٣,٧٥		٦,٢٥	
٢٣	توفير شبكة اتصال يمكن من خلالها تبادل المعلومات.	١٦	١٠٠			
٢٤	تدريب العاملين على استخدام تقنيات الاتصال الحديثة المتاحة.	١٦	١٠٠			
٢٥	تحديد أدوار العاملين في تدعيم عمليات الاتصال الفعال.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥	

ثالثاً: التنمية المهنية للقيادات التربوية:

م	أ- أهداف التنمية المهنية	درجة الأهمية					
		كبيرة		متوسطة		منخفضة	
١	الارتقاء بمستوي الأداء وتجويد العمل.	١٦	٪١٠٠				
٢	تطوير القدرات والكاءات العلمية والمهنية.	١٦	٪١٠٠				
٣	اكتساب خبرات جديد ة في مجال العمل.	١٦	٪١٠٠				
٤	إحداث تغيرات إيجابية في المفاهيم والاتجاهات والسلوكيات	١٥	٪٩٣,٧٥				
٥	تنمية الوعي بأهمية العمل الجماعي لتحقيق الأهداف التربوية	١٦					
٦	التمكن من استخدام الموارد المتاحة بشكل فعال.	١٦					
٧	إعداد قادة لديهم رؤيا مستقبلية للنهوض بمستوي التعليم.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥		
٨	القدرة على إنجاز الأعمال بأقل جهد ووقت ممكن.	١٥	٩٣,٧٥				
٩	اعتماد الأساليب العلمية المتطورة في العمل.	١٦	٪١٠٠				
١٠	تنمية مهارات التحليل والتفكير النقدي والإبداعي.	١٦	٪١٠٠				
١١	اكتساب مهارات استخدام التقنيات والتكنولوجيا الحديثة.	١٦	٪١٠٠				
١٢	تعزيز الثقة بالنفس وتحمل المسؤولية.	١٦	٪١٠٠				
م	ب- مجالات التنمية المهنية	كبيرة		متوسطة		منخفضة	
١٣	تحديد الأهداف ووضع الخطط.	١٦	٪١٠٠				
١٤	تحديد الآلية اللازمة لتحقيق الأهداف الموضوعة.	١٦	٪١٠٠				
١٥	توزيع الأعمال والمهام والمسئوليات.	١٦	٪١٠٠				
١٦	تنظيم الوقت وإدارته بفعالية.	١٦	٪١٠٠				
١٧	تفويض الصلاحيات والمشاركة في صنع القرار.	١٥	٪١٠٠				
١٨	تفعيل الاتصالات وتبادل المعلومات	١٦	٪١٠٠				
١٩	تنمية الوعي بأهمية القرارات المستندة على البيانات والمعلومات الحقيقية	١٥	٪٩٣,٧٥	١	٦,٢٥		
٢٠	إعداد وإدارة الموازنة المالية وتحديد أولويات الصرف والإنفاق.	١٥	٪٩٣,٧٥	١	٦,٢٥		
٢١	مراقبة ومتابعة تنفيذ الأعمال.	١٥	٪٩٣,٧٥	١	٦,٢٥		
٢٢	الاهتمام بالعلاقات الإنسانية في التعامل مع المجتمع.	١٦	٪١٠٠				
٢٣	تشجيع التعاون والتنسيق بين العاملين والعمل بروح الفريق.	١٦	٪١٠٠				
٢٤	اتباع أساليب متطورة وفعالة في تقويم الأداء.	١٦	٪١٠٠				
٢٥	ورش العمل	١٦	٪١٠٠				
٢٦	حلقات النقاش	١٦	٪١٠٠				
٢٧	دراسة الحالة.	١٦	٪١٠٠				
٢٨	الندوات والمؤتمرات.	١٦	٪١٠٠				
٢٩	المحاضرات.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥		
٣٠	البحوث الميدانية وكتابة التقارير.	١٦	٪١٠٠				
٣١	دراسة مقررات جامعية والدراسات العليا.	١٥	٩٣,٧٥	١	٦,٢٥		
٣٢	التعلم من أصحاب الخبرات وتبادل الزيارات.	١٦	٪١٠٠				

وفي ضوء ما أسفرت عنه نتائج جولتي دلفي السابقتين، وبعد الاتفاق على البدائل المستقبلية المطروحة للرؤية الإستراتيجية للقيادة المدرسية لمدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية ثم تم توزيع استبانة الجولة الثالثة على الخبراء ذاتهم في الفترة الزمنية ١/١ إلى ١٤٣١/٣/٣٠هـ ، وتم استخراج التكرار والنسب المئوية لإجابة الخبراء وتبين أن الأسئلة التي تضمنتها الاستبانة في الجولة الثانية حصلت على شبه إجماع من الخبراء، والمختصين في الجولة الثانية، ومن خلال تحليل النتائج التي تم التوصل إليها من الجولات الثلاث لأسلوب دلفي، يمكن الوقوف على النقاط التالية:

– أن عبارات الاستبانة كانت أهميتها كبيرة للتعبير عن الممارسات المستقبلية الواجب القيام بها من قبل القائد التربوية لقيادة مدرسة المستقبل لإيجاد الرؤية الإستراتيجية لقيادة مدرسة المستقبل..

– أن نتائج الجولة الأولى شهدت العديد من التغيرات تضمنت تعديل الصياغة لبعض العبارات، وحذف بعض العبارات، وإضافة البعض منها من خلال آراء الخبراء.

– من خلال تحليل الفروق بين متوسط استجابات الخبراء يلاحظ أن الفرق بين درجة أهمية العبارات في الجولة الأولى كان أكبر منها في الجولة الثانية . حيث بلغ متوسط الإيجابات في الجولة الأولى ٨٦٪ تقريباً في حيث كان الفرق بين الجولة الثانية والثالثة صغيراً، حيث بلغ ٩٦٪ تقريباً.

وتبين من خلال التحليل أن المقترحات حصلت على شبه إجماع من الخبراء، وهذا يعني إمكانية تطبيقه في الواقع الفعلي للمجتمع السعودي.

الحادي عشر: ملامح الرؤية الإستراتيجية لقيادة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية

أولا: منطلقات الرؤية المقترحة:

في ضوء تحليل الإطار النظري للدراسة، والمقابلات الشخصية والدراسة الاستطلاعية لتطوير التنمية المهنية للقيادات التربوية لقيادة مدرسة المستقبل يمكن تحديد المنطلقات النظرية، والمحلية التي تتناسب مع طبيعة المجتمع بالمملكة العربية السعودية وفيما يلي عرض لكل منهما:

١– المنطلقات النظرية للرؤية المقترحة: في ضوء أدبيات التنمية المهنية للقيادات التربوية، والاتجاهات الحديثة للقيادة التربوية التي تضمنها الإطار النظري للبحث، يمكن تحديد المنطلقات النظرية التالية بأن:

– يكون النظام التعليمي قادراً على استيعاب التقنيات والتكنولوجيا الحديثة، والاستفادة من المتغيرات العالمية المعاصرة في المجالات التعليمية والإدارية.

– توافر القيادة لمدرسة المستقبل يستلزم تطوير برامج التنمية المهنية للقيادات التربوية المدرسية.

– القيادة التربوية المدرسية تتمتع بموقع مهم في مدرسة المستقبل، يمكنها من إحداث التطوير المطلوب الذي يحقق أهداف التعليم بدول الخليج من خلال استثمار الموارد المتاحة بفعالية.

– تكون أهداف التنمية المهنية وأساليبها منسجمة مع سياسة النظام التعليمي وأهدافه.

– فعالية القيادة تتطلب الإعداد والتأهيل الجيد قبل شغل الدور القيادي، والتنمية المهنية الدائمة باستخدام أساليب ومداخل متنوعة وفعالة.

– الإدارة التربوية الإلكترونية تمثل نموذجاً تنظيمياً يتماشى مع متطلبات العصر، حيث يتم تشكيل التنظيم التربوي على أسس ومعايير، وتضمن أعلى مستويات الكفاءة في الأداء ويمتاز بالمرونة، واستخدام آليات الإدارة الكترونية في وظائف الإدارة.

– إدماج التقنيات في نظم الأداء الوظيفي التربوي بحيث يصبح التنظيم التربوي نسيجاً متكاملاً ومتفاعلاً فيما بين مكوناته.

– تطبيق آليات الجودة التربوية قدر الإمكان، وبخاصة ما يتعلق بإمكانية تنفيذ الخطوات الإجرائية في الإدارة المدرسية، وتكوين فرق عمل متعاونة تحقيق التكامل الوظيفي.

– التركيز على العمليات الإدارية التي تشكل الأساس لعملية التحسين المستمر.

– بناء ثقافة تنظيمية في البيئة التربوية لاستيعاب التقنيات الجديدة سواء عن طريق إعادة الهيكلة للعمليات التنظيمية بما يساعد على توافق التنظيم التربوي مع الواقع

واحتياجات الخطط التنموية.

– تحسين مستوى الأداء، وزيادة الإنتاجية يتطلب الأخذ بمفهوم العمل الجماعي، والحد من الصراعات والخلافات بين الأفراد والعاملين بالنظام التعليمي.

– تبني القيادات التربوية المدرسية للاتجاهات الحديثة للقيادة التربوية يسهم في تفعيل جودة الأداء، وتحسين نوعية المخرجات التربوية والتعليمية.

– تهيئة المناخ المناسب للإنتاج والعطاء للقيادات التربوية المدرسية في جو من الحرية الكافية يسهم في حل المشكلات التربوية والتعليمية بالمدرسة.

– القدرة على تحدى الوضع الراهن للمدرسة التقليدية، وتعديله بما يتواءم مع التصور المستقبلي لها يساعد في جعل مدرسة المستقبل في المملكة العربية السعودية أكثر انفتاحاً على بيئتها، ومواكبة لكل ما هو جديد.

– استثارة أعضاء المجتمع المدرسي عقلياً، وتشجيعهم على إعادة دراسة أهدافهم ووسائل تحقيقها من قبل القيادات التربوية المدرسية يسهم في تقديم أهداف ووسائل وبدائل جديدة، وتحديات فكرية واكتساب كفايات جديدة.

– معرفة رغبات القيادات التربوية المدرسية واحتياجاتهم التدريبية، والعمل على تشخيص احتياجاتهم والرؤى المستقبلية لمدرسة المستقبل في ضوء أدوارهم المستقبلية.

– أن القيادة الفعالة هي القادرة على الاستفادة من التغذية الراجعة، وردود الأفعال لتصحيح الممارسات الخاطئة، وتوجيه القرارات المستقبلية.

– تفويض الصلاحيات، والمشاركة في صنع القرارات وتفعيل عملية الاتصال، وتقويم الأداء يعزز الثقة بالنفس وتحمل المسئولية، ويساعد على الإسراع في إنجاز الأهداف المنشودة.

– توافر معايير ومقايس موضوعية ودقيقة في عملية الاختيار والترقية، يضمن اختيار المرشح الأفضل للعمل القيادي بمدرسة المستقبل بدول الأعضاء.

٢– المنطلقات المحلية للرؤية المقترحة: في ضوء تشخيص واقع تطوير التنمية المهنية للقيادات التربوية المدرسية بالمملكة العربية السعودية من خلال الدراسة النظرية، والدراسة الاستطلاعية والمقابلات الشخصية، يمكن تحديد المنطلقات المحلية التالية بأن:

– الدين الإسلامي هو المصدر أو الموجه لحياة المجتمع السعودي الاجتماعية والعلمية والعملية.

– التمسك بالأخلاق العربية والإسلامية، وحسن المعاملة مع الآخرين، وخدمة الوطن، والعمل على تقدمه وازدهاره، والمحافظة على أمنه وسلامته ومنجزاته.

– العمل على توفير بيئة تعليمية حافزة للتعليم.

– قبول التغيير والانفتاح الواعي على ثقافات الأمم الأخرى، وعلى الخبرات والتجارب العلمية والثقافية مع التمسك بالعقيدة الإسلامية والهوية العربية والخليجية.

– إعداد وتأهيل الكوادر البشرية الوطنية في مختلف المجالات للمساهمة في تقدم البلاد ونهضتها.

– بناء شخصيات قيادية متعلمة مزودة بالمعارف والمعلومات المتقدمة، وتهيئتهم لاستيعاب التكنولوجيا الحديثة، وأخذ دور بارز في مسيرة الحضارة الإنسانية.

– اتباع الوسائل المختلفة والمناسبة في عملية تحديد الاحتياجات التدريبية الفعلية للقيادات التربوية المدرسية، والاهتمام باختيارها وإعدادها وتوفير الإمكانات المادية لعملية التدريب.

– تبني وزارة التربية والتعليم لفكرة التنمية الدائمة للقيادات التربوية المدرسية أثناء شغل الدور القيادي، وتنوع الأساليب المستخدمة في تنميتهم مع طبيعة مهامهم ومسئولياتهم القيادية واحتياجاتهم المستقبلية.

– العمل على توافر الحوافز المادية والمعنوية للقيادات التربوية المدرسية في إدارة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية.

– الاهتمام باستقطاب القيادات التربوية المدرسية المتميزة، والاستفادة منها في قيادة مدرسة المستقبل.

– اهتمام الدولة وزارة التربية والتعليم بتوفير الموارد والامكانات المادية والتكنولوجية وتوظيفها في تطوير الدور القيادي لمدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية.

– العمل على تطوير السياسة والإستراتيجية،

والخطط التربوية، والإجراءات التنفيذية الكفيلة بتحقيقها بالمملكة العربية السعودية.

– الاهتمام بتدريب وتنمية القيادات التربوية المدرسية للارتقاء بمستوى أدائهم، وتزويدهم بالكفايات العلمية والتربوية، والمهنية بحيث يكونون قادرين على قيادة التغيير، وإدارة الأزمات، وإدارة الصراعات، وحل المشكلات التي تواجههم في ضوء المتغيرات المستقبلية.

– تصميم برامج تدريبية قصيرة، تركز على بناء مهارة واحدة محددة، مما يمكن القائد من اكتساب مهارات متطورة تمكنه من الترقي في عمله، والعمل على جعلها تواكب التقدم.

– تأكيد أهمية التنمية الروحية الوجدانية للمتعلمين بما يكسبهم آليات التعامل مع المتغيرات الحياتية.

– حفز القيادات المدرسية على حضور الندوات وورش العمل.

– تشجيع مديري المدارس على اقتناء واستخدام التكنولوجيا المتقدمة في المدارس.

– تصميم قاعدة بيانات مركزية مشتركة بين المدارس (الجهة التنفيذية) والجهة المشرفة عليها، تمكنها من تبادل المعلومات، والمشاركة في اتخاذ القرارات التربوية.

– تنمية مهارات التفكير العلمي، وحل المشكلات والعمل الجماعي من خلال الفريق..

– انتهاج مبدأ تقويم النتائج في البرامج التدريبية وفق نموذج (Bird and wart) والذي يحدد مدى تطبيق البرنامج التدريبي في بيئة العمل الوظيفي بمدرسة المستقبل في ضوء أدوارهم المستقبلية.

– توفير فرص التنمية المهنية للمعلمين.

– استخدام الوسائط المتعددة، والتدريب على استخدامها في التعليم.

– إقامة شركات فعالة بين المدرسة والأسرة والمجتمع المحلي والعالمي.

– استخدام التدريب عن بعد باستثمار الشبكات العالمية (كالانترنت) على مختلف المستويات مما يفتح مجالاً أوسع للتدريب.

– اعتماد منهج التدريب الموجه بالأداء، لأنه يركز على المهارات والمعارف التي يحتاجها قائد مدرسة المستقبل فعلياً لتطوير أدائه الوظيفي.

– تنوع قنوات الاتصال التي تربط ما بين المدرسة والمجتمع المحيط بها من جهة، وما بينها وبين الفئات المختلفة داخل المدرسة سواء أكانوا معلمين أم طلاباً أم مشرفين.

– العمل على توفير بيئة تعليمية تراعي الفروق الفردية بين المتعليمين.

ثانيا: ملامح الرؤية المقترحة:

من خلال الاستفادة من نتائج الدراسات السابقة، وفي ضوء الإطار النظري للبحث، وما أسفرت عنه الدراسة التحليلية لواقع القيادة المدرسية بالمملكة العربية السعودية، وفي ضوء آراء الخبراء وإجاباتهم على جولات دلفي، وتأسيسا على المنطلقات النظرية والمحلية سالفة الذكر، يمكن التوصل إلى رؤية مقترحة لقيادة مدرسة المستقبل بالمملكة العربية السعودية، وتتحدد مكونات هذه الرؤية وفقا للشكل التالي:

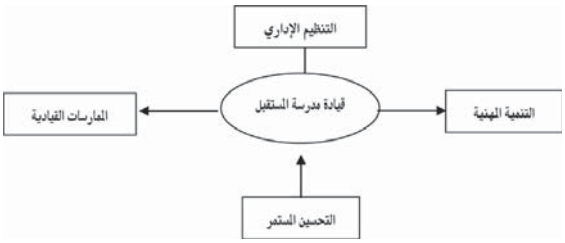

١– التنظيم الإداري للتعليم بمدرسة المستقبل في المملكة العربية السعودية: يتطلب تفعيل التنمية المهنية للقيادات التربوية المدرسية لقيادة مدرسة المستقبل إحداث تغييرات مهمة في التنظيم الإداري بالمدرسةبحيث يتسم بالخصائص التالية:

– إعداد وتأهيل كوادر وطنية تتولى المشاركة في تدريب القيادات التربوية بكافة مستويات التعليم.

– وضع خطة إستراتيجية شاملة للتنمية المهنية للقيادات التربوية بكافة مستوياتها بالتعليم العام.

– توفير مناخ مدرسي مفتوح يسمح بالابتكار والتجديد العلمي في طرح الرؤى المستقبلية لتطوير التعليم بمدارس التعليم العام.

– وضع وصف وظيفي محدد للمهام والمسئوليات للقيادة التربوية بكافة مستوياتها بالتعليم العام.

– وضع معايير موضوعية لاختيار القيادات التربوية بكافة مستوياتها بالتعليم العام(كالخبرة، والقدرة).

– وضع معايير موضوعية لترقية القيادات التربوية بكافة مستوياتها بالتعليم العام(كالمؤهل العلمي،تقارير الأداء وغيرها).

– إنشاء إدارة متخصصة للتنمية المهنية متكاملة مزودة بأحدث التجهيزات والتقنيات بوزارة التربية والتعليم.

– إصدار تشريعات لتنظيم عملية القيادة التربوية لقيادة المدرسة بالمملكة بكافة مستوياتها في التعليم العام.

– منح القيادات التربوية بكافة مستوياتها في التعليم العام المزيد من الصلاحيات اللازمة لتيسير الأعمال الموكلة لهم.

– ضرورة إشراك القيادات التربوية بكافة مستوياتها في التعليم العام في اتخاذ القرارات التربوية بالتعليم.

– مشاركة القيادات التربوية بكافة مستوياتها في حل المشكلات التربوية بالتعليم العام.

– استخدام الإدارة الإلكترونية في مدارس التعليم العام بالمملكة العربية السعودية.

– المرونة والقدرة على التكيف مع المتغيرات المستقبلية.

– إيجاد قنوات اتصال فعالة مفتوحة تحقق الانسيابية والسرعة في تدفق المعلومات بين كافة العاملين في القطاع التربوي العام.

– اعتماد مبدأ للحوافز (الإيجابية و السلبية) لمكافأة المميزين ومحاسبة المقصرين والمهملين بالتعليم العام

– إحداث تغيير إيجابي في تنمية ثقافة الجودة الشاملة لكافة العاملين بالتعليم العام.

– التقليل من المركزية في وزارة التربية والتعليم للتخفيف من الإجراءات الروتينية بما يساعد على إنجاز الأعمال باسرع وقت وجهد ممكن.

– ضرورة اكتساب القيادات التربوية بكافة مستوياتها في مهارات تفويض السلطة ليتمكنوا من إنجاز أعمالهم بكفاءة عالية.

– العمل على إيجاد طرق وأساليب معاصرة لتقويم الأعمال الإدارية والتربوية بالتعليم العام

– تفعيل دور الرقابة الإدارية على التعليم العام (الداخلية والخارجية والذاتية) لضمان مخرجات فعالة من النظام التربوي في المملكة.

– ضرورة التنسيق بين أجهزة التعليم العام المختلفة ومؤسسات التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية.

– الاهتمام بدراسة وتقويم مخرجات النظام التعليمي بالمملكة للتعليم العام العالي بصورة مستمرة

– ضرورة ربط التخطيط التربوي بالتخطيط الاقتصادي.خاصة في مجال التدريب.

٢– الممارسات القيادية للقيادة المدرسية المستقبل:

– توضيح الأدوار والواجبات المطلوب أداؤها من العاملين.

– تحديد معايير واضحة لقياس الأداء.

– توفير مناخ تعاوني يساعد على مشاركة العاملين في تقويم أدائهم.

– تقويم التغذية الراجعة للعاملين عن أدائهم وبصفة منتظمة ومستمرة .

– تحديد الفجوة بين الأداء الفعلي والأداء المنشود.

– إتاحة الفرصة للعاملين لمحاكاة النماذج ذات الأداء المتميز .

– تحديد الاحتياجات التدريبية للذات وللعاملين.

– تنمية مهارات العاملين في ضوء نتائج تقويم أدائهم.

– إشراك العاملين في التنبوء بالسلوك المرغوب فيه لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة.

– تقديم الحوافز العادلة للأداء الجيد.

– إتاحة الفرصة لتوليد الأفكار الجديدة التي تخدم القرار المراد تنفيذه.

– إتاحة الفرصة لإبداء الآراء في حل المشكلات التي تواجه المدرسة أثناء صنع القرار.

– الاستفادة من أجهزة الحاسب الآلي المتاحة لتخزين المعلومات التي تسهم في تكوين الذاكرة التنظيمية للإفادة

منها في صنع القرار.

– توفير مناخ مدرسي يسمح بالابتكار لطرح البدائل الخاصة بموضوع القرار.

– الاعتراف بقدرات العاملين على الاستخدام الفعال للسلطة المفوضة لهم.

– بناء ثقافة تنظيمية تنمي قدرات العاملين على إنجاز المهام المطلوبة بالتفويض.

– منح العاملين الحرية في استخدام السلطة المفوضة لهم لتنفيذ المهام المطلوبة.

– مراعاة قدرات العاملين وإمكاناتهم في تحديد المهام التي يمكن أن تفوض لهم.

– حفز العاملين على قبول السلطة المفوضة لإنجاز المهام.

– منح العاملين الصلاحيات التي تتناسب مع المهام المفوضة لهم.

– توظيف تكنولوجيا المعلومات في تخزين المعلومات التي تساعد في تكوين قاعدة معرفية.

– استخدام الوسائط المتعددة للتقنيات في تكوين الذاكرة التنظيمية.

– دعم برامج نشطة تدعم الاتصال على كافة المستويات الإدارية.

– توفير شبكة اتصال يمكن من خلالها تبادل المعلومات.

– تدريب العاملين على استخدام تقنيات الاتصال الحديثة المتاحة.

– السماح بتدفق المعلومات الصحيحة بين كافة المستويات الإدارية.

– تحديد أدوار العاملين في دعم عمليات الاتصال الفعال.

– تشجيع الرؤية التعاونية لحل المشكلات التي تعوق العمل المدرسي وتحتاج إلى قرار.

٣– التنمية المهنية للقيادات التربوية المدرسية لقيادة مدرسة المستقبل:

تتضمن برامج التطوير مجموعة من الأهداف، والمجالات التي يجب توافرها في القائد التربوي بمدرسة المستقبل، ولزيادة فعالية تلك البرامج كان من الأهمية استخدام أساليب تدريبية متنوعة في تنفيذها، وفيما يلي تلك الأهداف ، والمجالات والأساليب:

أ– الأهداف

١– الارتقاء بمستوى القيادات التربوية، وتحسين المخرجات التعليمية.

٢– تطوير القدرات والكفايات العلمية والمهنية.

٣– تزويد القيادات بمعارف وخبرات جديدة في مجال عملهم.

٤– إحداث تغييرات إيجابية في المفاهيم والاتجاهات والسلوكيات.

٥– تعزيز مفهوم العمل الجماعي، وتفعيل دور فرق العمل.

٦– استخدام الموارد المتاحة بشكل فعال ، وترشيد الوقت والجهد.

٧– إعداد قادة قادرين على النهوض بمستوى العملية التربوية والتعليمية.

٨– اكتساب مهارات التحليل الوظيفي، وتفعيل التفكير النقدي والإبداعي.

٩– استخدام أساليب علمية حديثة لإنجاز الأعمال والمهام بكفاءة وفعالية.

١٠– تعزيز الثقة بالنفس، وتحمل المخاطر والمسئولية.

١١– اكتساب مهارات تشغيل واستخدام التكنولوجيا والتقنيات الحديثة.

ب– المجالات:

١. تحديد الأهداف ووضع الخطط.

٢. تحديد الآلية والوقت اللازم لتحقيق الأهداف الموضوعة.

٣. توزيع الأعمال والمهام والمسئوليات.

٤. تنظيم الوقت وإدارته بفعالية.

٥. تفويض الصلاحيات والمشاركة في صنع القرار.

٦. تفعيل الاتصالات وتبادل المعلومات.

٧. تنمية الوعي بأهمية القرارات المستندة على البيانات والمعلومات الحقيقية.

٨. إعداد وإدارة الموازنة المالية وتحديد أولويات

الصرف والإنفاق.
٩. مراقبة ومتابعة تنفيذ الأعمال.
١٠. الاهتمام بالعلاقات الإنسانية في التعامل مع المجتمع.
١١. تشجيع التعاون والتنسيق بين العاملين والعمل بروح الفريق.
١٢. اتباع أساليب متطورة وفعالة في تقويم الأداء.

جـ- الأساليب:
١. ورش العمل.
٢. حلقات النقاش.
٣. دراسة الحالة.
٤. التدريب في موقع العمل.
٥. الندوات والمؤتمرات.
٦. المحاضرات.
٧. البحوث الميدانية وكتابة التقارير.
٨. دراسة مقررات جامعية والدراسات العليا.
٩. التعلم من أصحاب الخبرات وتبادل الزيارات.

ثالثا: إمكانية تنفيذ الرؤية المقترحة:

لتحديد إمكانية تنفيذ الرؤية السابقة يتوقع البحث عددا من الصعوبات التى فى ظل القيود الحالية، ومن أهم تلك الصعوبات ما يلى:

١. صعوبة إقناع القيادات التربوية العليا بأهمية تأهيل القيادات المدرسية.
٢. جمود التشريعات المنظمة للعمل في مجال الإدارة المدرسية بوزارة التربية والتعليم.
٣. ضعف الكفايات الإدارية لدى شاغلي وظائف الإدارة المدرسية.
٤. ضعف توظيف الموارد البشرية الحالية في مجال القيادة المدرسية.
٥. المناهج الحالية لا تتناسب مع متطلبات وإحتياجات مدرسة المستقبل.
٦. دور المعلم متقن للمعرفة من خلال أسلوبة في طرائق التدريس، والذي يجعل الطالب سلبي في تعلمه ومتلقى للمعلومة فقط دون المشاركة.
٧. المباني الحالية لا تتناسب مع مواصفات وشروط مدرسة المستقبل.

وللتغلب على هذه الصعوبات تقترح الدراسة الحلول التالية:

١. اعتماد التخطيط الإستراتيجي الذى يحدد مسئوليات الجودة في مدرسة المستقبل والبرامج التدريبية للقيادات المدرسية.
٢. دعم فكرة حلقة الجودة بمعنى تفعيل الشراكة بين وزارة التربية والتعليم والابتعاث ، وتطوير برامج تدريب القيادات لمدرسة المستقبل بالمملكة.
٣. التأكيد على المشاركة الحقيقة للقيادات المدرسية في التعليم في التصميم البرنامج التدريبي باعتبارهم شركاء في بناء المنظومة التدريبية من حيث وضع الأهداف وأساليبها في ضوء احتياجاتهم التدريبية .
٤. إعادة هيكلة الصلاحيات الممنوحة للقيادات المدرسية بحيث تتواكب مع متطلبات واهداف مدرسة المستقبل.
٥. تقديم حوافز مادية ومعنوية للقيادات المدرسية، وربط هذه الحوافز بنظام الجودة والتحسين المستمر في إطار العمل والمسئولية الجماعية بمدرسة المستقبل.
٦. وضع رؤية عن واقع أداء القيادات المدرسية في مدرسة المستقبل من حيث مهاراتهم ومعارفهم وعلاقتهم بكل عناصر وأهداف مدرسة المستقبل.
٧. الإعداد لتطوير التدريب وتشمل اختبار مستشارين يتولون إعدادياً نهائياً لخطط التدريب.
٨. وضع خطة استراتيجية لبرامج التنمية المهنية للقيادات المدرسية لمدرسة المستقبل.
٩. مراعاة المهام والمسئوليات الملقاه على قائد مدرسة المستقبل عند التخطيط لتلك البرامج.
١٠. إنشاء وحدة متخصصة بإدارة الجودة الشاملة تتبع الإدارة التربوية بوزارة التربية والتعليم لإعداد القيادات المدرسية.
١١. الاستعانة بمدربين وخبراء من ذوي الاختصاص والخبرة في مجال تدريب القيادات المدرسية.
١٢. إيجاد نظام للحوافز والمكافأة ، واعتماد مبدأ الثواب والعقاب لمكافأة ومحاسبة المقصرين.
١٣. أن تتعدد وتتنوع مدارس المستقبل حتى تتيح

للطلاب حرية الاختيار من بين الأنواع المختلفة بما يتناسب مع رغبات وقدرات الطلاب.

١٤. أن يتم إنشاء مدارس المستقبل التي تشمل مراحل التعليم العام الثلاثة ، إضافة إلى تناسب تلك المدارس مع طبيعة والإمكانات المادية والبشرية للمملكة العربية السعودية حتى يمكن من خلال ذلك مواكبة التغيرات العالمية الحديثة.

١٥. العمل على توفير الوسائل التكنولوجية الحديثة التي تساعد الطلاب والطالبات على التعلم وزيادة مهاراتهم وقدراتهم على مواجهة التحديات العالمية، في المستقبل.

١٦. توافر برامج إعدادية للمعلمين والطلاب تتناسب مع رؤية مدرسة المستقبل.

١٧. غرس القيم الذاتية التي تنمي لدى الطلاب والطالبات المواطنة، والقدرة على تحمل المسئولية ، وتنمية مهارات القيادة والتخطيط ، والقدرة على البحث عن المعلومات والتعليم الذاتي.

١٨. تصميم مباني مدارس المستقبل بما يتناسب مع التخصصات العلمية، وأماكن ممارسة أنشطة التعلم المختلفة، واستخدام الوسائل التكنولوجية.

* * *

قائمة المراجع

أ- مراجع باللغة العربية:

١- أحمد، إبراهيم أحمد (٢٠٠٢م): إدارة الأزمات التعليمية في المدارس: الأسباب والعلاج. القاهرة، دار الفكر العربي.

٢- بهاء الدين، حسين كامل (١٩٩٠م): التعليم والتنمية البشرية، مجلة التربية والتعليم. القاهرة، وزارة التربية والتعليم.

٣- جاك ديلور وآخرون(١٩٩٠م): التعلم ذلك الكنز المكنون. تقرير قدمته إلى اليونسكو اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين، (اليونسكو، مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة، ١٩٩٠م).

٤- جويلي، مها (٢٠٠٢م): المتطلبات التربوية لتحقيق الجودة التعلمية، دراسات تربوية في القرن الحادي والعشرين، دراسة منشورة، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،.

٥- الحر، عبد العزيز (٢٠٠١م): مدرسة المستقبل. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٦- الحربي، قاسم بن عائل (٢٠١٠م): فعالية برنامج تدريب مديري المدارس – بعمادة خدمة المجتمع والتعليم المستمر في جامعة جازان – من وجهة نظر المتدربين والمدربين والجهات الإشرافية المعنية، مجلة كلية التربية-جامعة بني سويف، (ع١٧) يناير.

٧- رشاد، عبد الناصر (٢٠٠٨). مدرسة المستقبل: دراسة مقارنة لبعض صيغها العالمية وإمكانية الإفادة منها في مصر. مجلة كلية التربية جامعة بنى سويف ، العدد الرابع عشر الجزء الأول .

٨- زاهر، ضياء الدين (١٩٩٠م): تدريب الكوادر الإدارية والتدريبية لتعليم الكبار إطار تخطيطي مقترح، الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس، المجلد السادس عشر، القاهرة.

٩- الزميع، على فهد (٢٠٠٢م): مدخل حول تطبيقات جودة الأداء والتخطيط الإستراتيجي، ضمن بحوث مؤتمر الجودة المنعقد في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب في الفترة من ١٠- ١٣ مارس، الكويت.

١٠- سلامة، عبدالعظيم حسين (٢٠٠٤م): اتجاهات حديثة في الإدارة المدرسية الفعالة. دار الفكر العربي، القاهرة.

١١- السلمي، على، (١٩٩٥م): إدارة الجودة الشاملة ومتطلبات التأهيل للأيزو. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢- عبد المنعم، نادية(٢٠٠٠) المتطلبات الفنية لمدير المدرسة العصري في ضوء المتغيرات العالمية. القاهرة: المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية.

١٣- عبدالوهاب، علي (١٩٩٢م): الإدارة بالاهداف– النظرية والتطبيق. القاهرة، مكتبة غريب.

١٤- عثمان، ممدوح عبد الهادي (٢٠٠٢) «التكنولوجيا ومدرسة المستقبل: الواقع والمأمول»، من

بحوث ندوة مدرسة المستقبل، المنعقدة بكلية التربية جامعة الملك سعود، في الفترة من ٢٢-٢٣ أكتوبر ٢٠٠٢، المجلد الأول، جامعة الملك سعود، كلية التربية.

١٥- العواد، خالد بن إبراهيم(٢٠٠٠م)، مدرسة المستقبل، ورقة عمل مقدمة في لقاء أبها عن «مدرسة المستقبل»، ابها .

١٦- فهمي، محمد سيف الدين (١٩٨٧م): التخطيط التعليمي. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

١٧- القريوتي، محمد قاسم ومهدي حسن زويلف (١٩٩٣م): المفاهيم الحديثة في الإدارة: النظريات والوظائف. عمان: دار الأمل.

١٨- كاساسوس، خوان (٢٠٠٢م): تحديث المدارس- العوامل التي تساعد على تحسين التعليم (ترجمة عبد الله يوسف). الرياض: مكتبة الرشد.

١٩- المبعوث، محمد حسن (٢٠٠٤م): تقويم تنفيذ دورة مديري المدارس بالتعليم العام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من وجهة نظر المتدربين، مجلة التربية، الجميعية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، كلية التربية، جامعة عين شمس،القاهرة، السنة السابعة، العدد الثامن عشر، أغسطس.

٢٠- المبعوث، محمد حسن، (٢٠٠٤م): تقويم تنفيذ دورة مديري المدارس بالتعليم العام في جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية من وجهة نظر المتدربين، مجلة التربية- الجمعية المصرية للتربية المقارنة والادارة التعليمية، السنة ٧، (ع١٢).

٢١- مجدي، عزيز إبراهيم (٢٠٠١م): المنهج التربوي العالمي: أسس تصميم منهج تربوي في ضوء التنوع الثقافي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٢- محمد، إلهام فاروق على (٢٠٠٨م): تطوير برامج تدريب القيادات الإدارية في التعليم قبل الجامعي بالمملكة العربية السعودية في ضوء متطلبات الجودة الشاملة (دراسة على محافظة الأحساء) مجلة التربية (ع١١)، الجزء الأول – أبريل.

٢٣- مراد، عبد الفتاح (١٩٩٨)، موسوعة البحث العلمي وإعداد الرسائل والأبحاث والمؤلفات.

٢٤- مرسي، محمد منير، (١٩٩٨م): الإدارة التعليمية: أصولها وتطبيقاتها. القاهرة: عالم الكتب.

٢٥- المصري، منذر واصف، (٢٠٠٤م): مدرسة المستقبل، ضمن بحوث ندوة أنماط التعلم الحديثة، المنعقدة بجامعة السلطان قابوس في الفترة من ٢٩-٣ إلى ٢-٤ -٢٠٠٤، المجلد الثالث، مسقط، جامعة السلطان قابوس.

٢٦- مصطفى، أحمد سيد (١٩٩٤م): مقومات لفاعلية إدارة الجودة الشاملة في منظماتنا العربية، مجلة الإدارة، (ع٨)، ديسمبر.

٢٧- المصلح، إسماعيل (٢٠٠٢م): من أجل تميز التربية القطرية، إعادة هندسة التفكير الإداري المهيمن، ضمن بحوث مؤتمر الجودة: الكفاءة والإتقان والتميز الذي تنظمه الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب المنعقد في الفترة من ١٠-١٣ مارس، الكويت.

٢٨- مقرب، على أحمد (٢٠٠٠م): «النمو المهني وحاجات الإشراف التربوي لمعلمي التعليم الابتدائي، دراسة ميدانية»، مجلة البحث في التربية وعلم النفس، المجلد الرابع عشر، (ع٢).

٢٩- مكتب التربية العربي لدول الخليج (٢٠٠٠) ،» استشراف مستقبل العمل التربوية في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج «، الرياض ، مكتب التربية العربية لدول الخليج .

٣٠- مكرم، عبد الودود (١٩٩٩م): نحو مهام متجددة لكليات التربية لإعداد وتدريب المعلمين في القرن الحادي والعشرين، مؤتمر تطوير نظم إعداد المعلم العربي وتدريبه مع مطلع الألفية الثالثة.، جامعة حلوان، كلية التربية، المجلد الثالث، ١٦-١٧ مايو.

٣١- منذر، واصف المصري (٢٠٠٤م): مدرسة المستقبل، ضمن بحوث ندوة أغاط التعليم الحديثةالمتعقده بجامعة السلطان قابوس، في الفترة من(٢٩\٢٠٠٣- ٤\٢٠٠٤م)، المجلد الثالث،مسقط،جامعة السلطان قابوس بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية.

٣٢- المهدي، مجدي صلاح طه (٢٠٠٣م): معالم فلسفة تربوية مقترحة لمدرسة المستقبل في ضوء بعض الاتجاهات التربوية الحديثة، مجلة التربية والتنمية، السنة الحادية عشر، (ع٢٨)، جامعة عين شمس،القاهرة،

سبتمبر .

٣٣- موسى، حسين واحمد محمد عبد الله (١٩٩٢م): المبادئ العملية للسياسات والاستراتيجيات الغدارية، ط٣. القاهر: جامعة الأزهر.

٣٤- نشوان، يعقوب حسين، (١٩٩٢م): الإدارة والإشراف التربوي. الأردن، دار الفرقان.

٣٥- هلال، محمد عبدالغني حسن (١٩٩٥م): مهارات إدارة الوقت. القاهرة: مركز تطوير الأداء والتنمية والتوزيع.

٣٦- وزارة المعارف (١٩٩٦). وثيقة التعليم الصادرة من اللجنة العليا لسياسة التعليم.

ب- مراجع باللغة الإنجليزية:

1- Cregg Tracy Robert (1997). « Adescriptive study، of practicing. Elementary principals perceceptions of the ir leadership Development needs and effective ways of Developing their leadershio»، Elementery Education professional development Edd، university of cincinnati،.

2- Hargveaves، A (2001): Changin Teachers Changing Times (New York، Mac- Millan).

3- Mann Monica (1998); «Professional Development for Eduactional leaders» PREL Briefing paper Pacific Resources for Eduaction and leaninig Honolulu، office of Eduactional reseach and improvement washington،.

4- Marnik ceorge francis ، " the professioneal Development of school leaders' Exploring the thought and practice of learning about leadership principals، Action focused learning ph.D.dissertation، universityof maine،1997.

5- Strong، H. The Use of curry teaching simulation in professional training Journal of computers in the school، Vol. 13، No. 3- 4، 1998.

يرجى مراجعة المواقع التالية على الإنترنت:

6- www.tatweer.edu.sa

7- http:// www. are. Edu. Au/99pap/co19904htm (by craham collins principal performance Management – The Recent New Zealand Experience،

8- http://www.edu.pe.ca/publications/adminstudy/executive.asp.

9- http://www.maschools.org/district/applications/adminipert.pdf

* * *

Strategic Vision for leadership of Future School in K.S.A.

K. A.El-Harby
Faculty of Education - Jazan University

Abstract

The present study aims at identifying the nature of school of future and its requirements of school leadership. Also،it aims at casting some new light on the reality of school leadership in the light of regulations، rules and the field studies. In order to find out tentative and strategic vision of a leadership of school of future in K.S.A.

The study was conducted on the sample of higher educational leaders in the Ministry of Education in K.S.A and specialists of educational leadership in Saudi universities. Fittingly، on the light of the theoretical framework of the research، as well as the usefulness of the previous studies; in addition to the findings out the analytical studies for the reality of school of school leadership in K.S.A. On the light of the experts' viewpoints and their responses to tripartite rounds of Dolvy's style.

On the light of the empirical and theoretical bases of the study، the research came out of the following results:

- Identifying the points of weakness and strengthens and the criteria of gauging the performance of educational leadership of for the school of future.
- Attaining to a tentative vision for the leadership of school of future، including educational system for education in the school of future.; by preparing and qualifying the national cadres، besides strategic plan، job description and establishing specialized administration for vocational and professional development.
- Shedding some light on the role of leaders of school of future by practicing leadership، saving open and available educational environment، besides enhancing the skills of employees. In addition to offering incentives and employing informational technologies which aims at helping forming cognitive and data bases.
- Using multimedia، and reactivating vocational development for leaders of school which include of sets of objectives، besides other fields which must be available in the educational leader in the school of future. In addition to use accurate various training techniques in achieving such objectives to increase efficacy of the intended program.
- Discovering some problems and coming to effectual means to tackle them. Offering some suggestions of the futuristic vision for leading school of future، for example strategic planning which identifies the quality responsibilities in the school of future.

Keywords: Strategic vision- School of the Future - Effective leadership - Human future - Educational administration

E-mail: d.k-alharbi@hotmail.com
ISSN: 6050-1658

شروط تكفير المُعَيَّن

محمد بن مرعي الحارثي

قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية - جامعة جازان

المُلخّص

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فهذا موضوع بعنوان : **شروط تكفير المُعَيَّن**.

وهو موضوع جدير بالبحث مع شيوع ظاهرة التكفير في أوساط المستهينين به ، وقد اخترت هذا الموضوع لأهمية معرفة شروط التكفير وكونها حامية لأعراض المسلمين ودمائهم وأموالهم عند من يعقلها ؛ فهي تشكل سياجا وسدا منيعا حول كل مسلم ووقاية له من أن يحكم عليه بالكفر لأدنى شبهة أو هوى ، كما أن معرفة هذه الشروط تحد من التقحم في غائلة التكفير لمن أراد أن يتبصر ويقي نفسه المغامرة في هذا المضمار حتى لا يخاطر بدينه وعاقبته ، وكذلك فإن الإلمام بهذه الشروط تجعل الأمر في شأن التكفير مسندا إلى أهله وهم العلماء الراسخون في العلم ، والقضاة الموكل إليهم القضاء في الدماء والأعراض والأموال.

كلمات مفتاحية: تكفير - ردّة - المعيّن - المرتد - محجمة - التأويل - الملجئ - عارض - مؤاخذة - الشبهة.

مُقَدِّمَة

وتحتوي على:

- أهداف البحث.
- أهمية الموضوع.
- أسباب اختياره للكتابة فيه.
- الدراسات السابقة في هذا الموضوع.
- ما يميز هذا البحث عن البحوث السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فهذا موضوع بعنوان : شروط تكفير المعين.

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى :

١- الإسهام في الحد من مشكلة ظاهرة التكفير.

٢- نشر ثقافة الفكر المعتدل القائم على الوسطية الشرعية دون الغلو القائم على الباطل .

٣- القيام بواجب التعاون مع ولي الأمر لحفظ الأمن بعلاج هذه المشكلة.

أهمية الموضوع :

لهذا الموضوع أهمية كبرى تتمثل فيما يلي :

١- شيوع ظاهرة التكفير في أوساط المستهينين بشأنه.

٢- ما يترتب على ذلك من استحلال الدماء والأعراض والأموال والإخلال بالأمن .

٣- عظم شأن الحكم بالتكفير فهو ليس متروكا لمن شاء بل مرده إلى العلماء الراسخين في العلم، والقضاة المخول لهم الحكم فيه.

٤- ما يترتب على الحكم بالكفر من أحكام عظيمة دنيوية وأخروية.

أسباب اختيار هذا الموضوع للكتابة فيه :

١- أهمية معرفة شروط تكفير المعين ، وكونها حامية لأعراض المسلمين ودمائهم وأموالهم عند من يعقلها؛ فهي تشكل سياجا وسدا منيعا حول كل مسلم من أن يحكم عليه بالكفر لأدنى شبهة أو هوى.

٢- أن معرفة هذه الشروط تحد من التقحم في غائلة

البريد الإلكتروني : qtq506@hotmail.com
ردمد : ١٦٥٨-٦٠٥٠

التكفير لمن أراد أن يتبصر ويقي نفسه المغامرة في هذا المضمار حتى لا يخاطر بدينه وعاقبته .

٣- أن الإلمام بهذه الشروط تجعل الأمر في شأن التكفير مسندا إلى أهله وهم العلماء الراسخون في العلم، والقضاة الموكل إليهم القضاء في الدماء والأعراض والأموال..

الدراسات السابقة في هذا الموضوع :

لقد كتب في موضوع التكفير الكثير من الكتابات قديما وحديثا، وقد أفدت من بعضها، وجزى الله كل من كتب في الموضوع ومن أفدت منه خير الجزاء في الدنيا والآخرة. ومما كتب في ذلك:

- عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، تأليف: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ المتوفى عام ١٢٩٣هـ.

- نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، للدكتور محمد الوهيبي.

- ضوابط التكفير مستقاة من المصادر السلفية، جمع وتأليف: حسن بن علي العواجي.

- براءة علماء المسلمين من تكفير الحكام والمحكومين ، تأليف: عبدالله حجاج.

- ظاهرة التكفير: تاريخها - خطرها - أسبابها - علاجها . للأمين محمد أحمد.

- ضوابط تكفير المعين عند شيخي الإسلام ابن تيمية و ابن عبد الوهاب وعلماء الدعوة الإصلاحية، تأليف: أبي العلا راشد بن أبي العلا الراشد

- حكم تكفيرالمعين، تأليف: الحسن بن أحمد بن عبدالله عاكش الضمدي، المتوفي سنة١٢٩٠هـ

- حكم تكفير المعين و الفرق بين قيام الحجة و فهم الحجة . تأليف: إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، المتوفى سنة ١٣١٩هـ

ما يميز هذا البحث عن البحوث السابقة:

أن تكفير المعين موضوع واسع ومتشعب، فأردت أن أسلط الضوء على النقطة التي هي المحور فيه ألا وهي شروط تكفير المعين فحسب، والعناية بتقسيماتها وبيانها؛ لتكون سهلة التناول فتتم الفائدة المرجوة للمتخصص، وطالب العلم، وسائر المطلعين على حد سواء، كما حرصت على سهولة العبارة ليكون في متناول الشباب والناشئة الذين هم المعنيون كثيرا بهذا الموضوع في أحوالنا اليوم، وبالقدر الذي يتناسب مع وقوع بعضهم في هذه المعضلة (ظاهرة التكفير)؛ وذلك إسهاما في الحد منها، تزامنا مع دعوة ولي الأمر في بلادنا -حفظه الله- بإسهام الجانب الفكري العلمي في الحد من هذه المشكلة الكبرى. والله الموفق

خطة البحث

المقدمة:..

التمهيد، ويشمل:

أولا: تعريف الشرط

ثانيا: بيان معنى التكفير

ثالثا: معنى تكفير المعين، والفرق بينه وبين التكفير المطلق .

رابعا: العلاقة بين الحكم بالتكفير والردة

خامسا: عظم خطر التكفير

سادسا: تقسيم شروط التكفير، وهي قسمان:

القسم الأول: الشروط المتعلقة بمن يصدر عنه الحكم بالتكفير .

القسم الثاني: الشروط المتعلقة بالمحكوم عليه بالتكفير .

المبحث الأول: الشروط المتعلقة بمن يصدر عنه الحكم بالتكفير، وهي ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون على علم بشروط وموانع التكفير .

الشرط الثاني: أن يكون ممن هو مخول بإصدار الحكم الشرعي أو القضائي .

الشرط الثالث: أن يعلم ثبوت ردة المحكوم عليه .

المبحث الثاني: الشروط المتعلقة بالمحكوم عليه بالتكفير: وذلك بأن تتحقق فيه شروط ثبوت الردة، وهي:

١- التكليف أي أن يكون عاقلاً بالغاً .

٢- أن لا يكون هناك عارض مثل الجهل والإكراه ونحوهما .

٣- انتفاء الشبهة والتأويل فيما ذهب إليه .

٤- إقامة الحجة عليه .

٥- ثبوت الردة بالبينة أو الإقرار .

الخاتمة، وفيها أهم النتائج، ثم التوصيات.

منهج البحث:

ينهج البحث نهج البحوث الشرعية الفقهية على النحو الآتي:

١- توثيق مسائل البحث.

٢- الاعتماد على الأدلة النقلية والعقلية في تقرير الحكم.

٣- بحث المسائل محل الخلاف بذكر الأقوال وأدلتها مع المناقشة والترجيح .

٤- عزو الآيات إلى سورها بأرقامها.

٥- تخريج الأحاديث والآثار من المصنفات الأصلية في علم الحديث .

٦- التعريف بالمصطلحات وشرح الغريب.

٧- الاعتماد على المصادر العلمية الأصلية.

٨- خطة للبحث مبينة في المقدمة.

* * *

تمهيد، ويشمل:

أولا: تعريف الشرط:

الشرط في اللغة:

قال ابن فارس: «(الشين والراء والطاء) أصل يدل على عَلَم وعلامة، وما قارب ذلك من علم، ومن ذلك الشَرَط العلامة، وأشراط الساعة علاماتها... وتسمى الشُرَط؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها»(١).

وفي القاموس: «الشرط إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه»(٢).

الشرط في الاصطلاح:

هو ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته(٣).

ثانيا: بيان معنى التكفير:

التكفير في اللغة مصدر كفَّر بالفاء المشددة، وهو مأخوذ من الكُفْر بضم الكاف وسكون الفاء ، ومادته(كَفَرَ)، وأصل الباب في معناه:الستر والتغطية، فكل شيء غطى شيئا فقد كفره، ومنه سمي الكافر؛ لأنه يستر نعم الله عليه، وكَفَرَ النعمة أي غطاها،والكافر: الليل المظلم، لأنه ستر كل شيء بظلمته. والكافر: الذي كفر درعه بثوب، أي غطاه ولبسه فوقه، والكافر: الزارع؛ لأنه يغطى البذر بالتراب، والكفار: الزراع، والمتكفر: الداخل في سلاحه، والكافر: البحر؛ لسَتْرِه ما فيه، والكفر نقيض الإيمان . وسميت الكفَّاراتُ كفاراتٍ لأنها تُكَفِّرُ الذنوب أي تسترها مثل كَفارة الأَيْمان وكَفارة الظِّهارِ والقَتْل الخطأ.(٤)

التكفير في الاصطلاح: يطلق على معنيين:

أحدهما: ستر الذنب وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يفعل.(٥) وهذا هو المعنى الشرعي الذي ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومنه الكفارات جمع كَفَّارة وهي ما كُفِّرَ به من صدقة أَو صوم أَو نحو ذلك مثل كَفارة الأَيْمان وكفارة الظِّهارِ والقتل الخطأ..، والأعمال الصالحة من صلاة وإحسان ونحو ذلك يكفر الله بها الخطايا..، والتكفير عن اليمين هو فعل ما يجب بالحنث فيها.(٦)

المعنى الثاني: التكفير: نسبة أحد من أهل القبلة إلى الكفر الذي هو نقيض الإسلام، أو الحكم على المسلم بالردة . ويطلق عليه الإكفار أيضا.(٧)

(١) ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس، «معجم مقاييس اللغة»(٣/٢٦٠). الناشر: دار الفكر،الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. تحقيق : عبد السلام محمد هارون

(٢) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، «القاموس المحيط» (٢/٣٩٨) ط٨، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ . « القاموس المحيط»

(٣) ابن النجار، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي «شرح الكوكب المنير» (١/٤٥٢) الناشر : مكتبة العبيكان، الطبعة: الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م. تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد .

(٤) انظر: الجوهري،إسماعيل بن حماد، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (٣ / ٣٧١)، الطبعة: الرابعة . دار العلم للملايين بيروت، يناير١٩٩٠م. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب،»القاموس المحيط « (١/٤٧٠) ط٨، مؤسسة الرسالة،١٤٢٦هـ. الفيومي، أحمد بن محمد، «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي «(٢/٥٣٥)، المكتبة العلمية – بيروت، ابن منظور، محمد بن مكرم « لسان العرب «، (٥ / ١٤٤) الطبعة الأولى، دار صادر – بيروت.

(٥) المناوي، محمد عبد الرؤوف، « التوقيف على مهمات التعاريف «(ص٢٠٢)، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٤١٠هـ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٦) انظر: الفيومي، المصباح المنير (٢/٥٣٥). وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٣ / ٢٢٧) الطبعة الثانية ، دار السلاسل -الكويت.

(٧) انظر: الفيومي، المصباح المنير (٢ /٥٣٥)، قلعه جي، أ.د محمد رواس، قنيبي،د.حامد صادق « معجم لغة الفقهاء «ص٨٥، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، دار النفائس، بيروت، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٣/٢٢٧). وينظر: السبكي « فتاوى السبكي»(٢/٥٨٦) دار المعرفة – بيروت.

ثالثا: معنى تكفير المعين، والفرق بينه وبين التكفير المطلق:

تكفير المعين: هو وصف شخص بعينه بأنه كافر؛ إما لعمل قام به، أو قول قاله. ويقابله التكفير المطلق: وهو إطلاق الكفر على الفعل أو الاعتقاد أو القول، وعلى فاعل ذلك على سبيل الإطلاق ؛ بأن يقال: من قال كذا فهو كافر، أو من فعل كذا فقد كفر، أو يقال: هذا القول أو الفعل كفر.. فهذا تكفير مطلق لا يعني شخصا بعينه، ولا يلزم من إتيان هذا الشيء قولا أو فعلا تكفير الشخص الذي أتاه. ومجال بحثنا هو نسبة شخص بعينه إلى الكفر، وهو تكفير المعين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– عند ذكر الخلاف في تكفير أهل الأهواء» وحقيقة الأمر في ذلك: أنّ القول قد يكون كفراً، فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعيّن الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجَّة التي يكفر تاركها».(٨)

رابعا: العلاقة بين الحكم بالتكفير والردة:

الرِّدَّةُ بالكسر في اللغة: اسم من الارتداد، و الارْتِدَادُ الرجوع . ومنه المُرْتَدُّ.(٩)

وشرعا: الرّجوع عن الإسلام إلى الكفر.(١٠)

والحكم بالتكفير هو الحكم بالردة عن الإسلام فكلاهما حكم بالخروج عن الإسلام، غير أن الردة مصطلح شرعي قديم وردت به النصوص الشرعية،**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ** ﴾[المائدة: ٥٤]

وفي حديث معاذ بن جبل ﷺ: أن رسول الله–ﷺ– قال له حين بعثه إلى اليمن: ((**أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه، فإن تاب فاقبل منه، وإن لم يتب فاضرب عنقه، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها ،فإن تابت فاقبل منها، وإن أبت فاستتبها**))(١١)، وأحاديث أخرى بهذا المعنى.(١٢)

كما تناول الفقهاء مصطلح الردة في مصنفاتهم وعقدوا بابا أو كتابا مستقلا لأحكام المرتد، في حين أن التكفير بالمعنى المتداول مصطلح كثر استعماله حديثا بعد شيوع ظاهرة التكفير الذي هو موضوع البحث.

خامسا: عظم خطر التكفير:

لقد حذر النبي–ﷺ– من التكفير أشد التحذير ؛ فعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–: أن رسول الله ﷺ قال:((**أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**))(١٣).

وحري بالعاقل أن ينأى بنفسه عن هذه المخاطرة الكبيرة ويسلك طريق السلامة بعيدا عن مغبة إطلاق هذه الكلمة حتى لا يعرض نفسه لوصف الكفر في حال إطلاقه هذه الكلمة على من ليس كذلك، وإن السلامة والعافية في تجنب الدخول في هذه الورطة العظيمة، وترك الحكم بالتكفير لأهله الذين خول لهم الشرع ذلك.

قال ابن عبد البر:«المعنى في قوله فقد باء بها أحدهما يريد أن المقول له يا كافر إن كان كذلك فقد احتمل ذنبه ولا شيء على القائل له ذلك لصدقه في

(٨) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم « مجموع فتاوى ابن تيمية « (٣٤٥/٢٣). دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

(٩) انظر : الرازي، محمد بن أبي بكر « مختار الصحاح « ص ٢٦٧، طبعة ١٤١٥ هـ– ١٩٩٥ م، تحقيق : محمود خاطر . مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، لسان العرب (٣ / ١٧٢)

(١٠) انظر: ابن عابدين، محمد أمين « الدر المختار»(٤ /٤٠٥)، دار الفكر. الماوردي، أبو الحسن « الحاوى الكبير « (١٣ / ١٤٩)، دار الفكر– بيروت. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد « المغني «(٧٢/١٠)، الطبعة الأولى، دار الفكر –بيروت، ١٤٠٥هـ.

(١١) الطبراني، سليمان بن أحمد، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(٢٠ / ٥٣، الطبعة الثانية، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣م . وسنده حسن كما قال الحافظ ابن حجر. (فتح الباري – (٢٧٢/١٢).

(١٢) انظر: ابن ماجه، محمد بن يزيد،» سنن ابن ماجه «(٢ /٨٤٧)، دار الفكر – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، النسائي، أحمد بن شعيب « سنن النسائي «(٧ / ١٠٣)، الطبعة الثانية، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة. النيسابوري، محمد بن عبدا لله الحاكم « المستدرك على الصحيحين « (٤ / ٣٩٣)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ– ١٩٩٠م، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.

(١٣) البخاري، محمد بن إسماعيل «صحيح البخاري» (٢٢٦٤/٥)، الطبعة الثالثة، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. والنيسابوري، مسلم بن الحجاج « صحيح مسلم «(٧٩/١) الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

قوله، فإن لم يكن كذلك فقد باء القائل بذنب كبير وإثم عظيم واحتمله بقوله ذلك، وهذا غاية في التحذير من هذا القول والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة يا كافر»[١٤]

إن تكفير الشخص يعني الحكم عليه بأعظم وأشنع الأشياء في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يستباح دمه بعد الاستتابة، ويفرق بينه وبين زوجته المسلمة، ويمنع التوارث بينه وبين ورثته المسلمين، وإذا مات منع تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين..، وفي الآخرة له حكم الخلود في النار والعياذ بالله.. وهذه كلها أحكام هي أشد الأحكام وليس من السهل أن تترك لأي أحد يحكم بها متى شاء، ولابد أن يحاط الأمر بسياج منيع لا يمكن اقتحامه، ولا يفتحه إلا أهله الذين جعل الأمر إليهم من الله تعالى .

وينبه الإمام الغزالي –رحمه الله– إلى عظيمة أخرى توجب الاحتراز من التكفير فيقول: «والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأِ في سفك محجمة من دم مسلم».[١٥]

ويقول ابن الوزير–رحمه الله–«...الوقف عن التكفير عند التعارض والاشتباه أولى وأحوط...وذلك أن الخطأ في الوقف على تقديره تقصير في حق من حقوق الغني الحميد العفو الواسع أسمح الغرماء وأرحم الرحماء وأحكم الحكماء سبحانه وتعالى والخطأ في التكفير على تقديره أعظم الجنايات على عباده المسلمين المؤمنين وذلك مضاد لما أوجب الله من حبهم ونصرهم والذب عنهم ... فالتارك للتكفير إن قدرنا خطأه فإنما أخل بحق من حقوق الله تعالى وهو إجراء الأحكام عليهم وهو ههنا لم يتركه إلا لعدم شرط جوازه وهو تحقق الموجب له وأما المكفر إن قدرنا خطأه فقد أخل بحق المخلوق المسلم بل تعدى عليه وظلمه أكبر الظلم وأفحشه فأخرجه من الإسلام وهو يشهد أن لا أله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..... وإنما أخطأ في بعض التفاصيل، وقد صرح بالتأويل فيما أخطأ فيه ... فمحل التعمد هو القلب المحجوب عنا سرائره والحاكم فيه علام الغيوب ... وقد عوقبت الخوارج أشد العقوبة وذمت أقبح الذم على تكفيرهم لعصاة المسلمين مع تعظيمهم في ذلك لمعاصي الله تعالى وتعظيمهم لله تعالى بتكفير عاصيه فلا يأمل المكفر أن يقع في مثل ذنبهم وهذا خطر في الدين جليل فينبغي شدة الاحتراز فيه من كل حليم نبيل ولأجل هذا الخطر عذر المتوقف في التكفير وكان هذا هو الصحيح عند المحققين....بل كما قامت عليه الدلائل والبراهين» انتهى مختصرا.[١٦]

سادسا: تقسيم شروط التكفير:

القسم الأول: الشروط المتعلقة بمن يصدر عنه الحكم بالتكفير .

القسم الثاني: الشروط المتعلقة بالمحكوم عليه بالتكفير.

المبحث الأول : الشروط المتعلقة بمن يصدر عنه الحكم بالتكفير

وهي ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون على علم بشروط وموانع التكفير:

ودليل هذا الشرط: قول الله تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن عباس –رضي الله عنهما– في معناه: (لا ترم أحدا بما ليس لك به علم).[١٧]

قال ابن كثير –رحمه الله– :«ومضمون ما ذكروه: أن

(١٤) النمري، ابن عبدالبر « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٢٢/١٧)، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري .

(١٥) الغزالي، محمد بن محمد « الاقتصاد في الاعتقاد «، ص١٧٦، ط١ ١٤٢٣هـ، تحقيق دكتورة/ إنصاف رمضان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق –بيروت.

(١٦) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم « إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد « (ص ٤٠٣) الطبعة الثانية، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت ١٩٨٧م

(١٧) الطبري، ابن جرير « تفسير الطبري، المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن «(٤٤٧/١٧) الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

الله تعالى نهى عن القول بلا علم ..»[١٨]

فلا يجوز رمي مسلم بالكفر إلا من عالم بشروط التكفير وموانعه، وليس كل أحد عالما بتلك الشروط والموانع، بل مرد ذلك إلى العلماء بالشرع الذين يعلمون الأسباب التي تفضي إلى خروج الشخص عن الإسلام.

وليس مجرد إطلاق الكفر في النصوص الشرعية سببا لتكفير أحد بعينه ؛ لما قد يرد من احتمالات تمنع ذلك، كما قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]

قال:(ليس بالكفر الذي تذهبون إليه؛ إنه ليس بكفر ينقل عن الملة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ كفر دون كفر).[١٩]

إذا علم هذا فإن شروط التكفير هي ما نحن بصدد بيانه في هذا البحث.

أما موانع التكفير فهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: موانع في الفاعل، وهي ما تعرض له فتجعله لا يؤاخذ بأفعاله وأقواله، وتسمى عند الأصوليين بـ (عوارض الأهلية)[٢٠]. وهذه الموانع التي تمنع تكفير الفاعل هي:

١- الصغر

٢-الجنون.

ودليل هذين المانعين قوله ﷺ:((**رفع القلم عن ثلاثة، عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق**)).[٢١]

١- الخطأ: وهو انتفاء القصد، مثلَ: سَبْق اللسان، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]

٢- التأويل: والمراد به: وضع الدليل الشرعي في غير موضعه باجتهادٍ أو شبهةٍ تنشأ عن عدم فهم دلالة النص، أو فهِمَهُ فهماً خاطئاً ظنَّه حقاً ، أو ظنَّ غير الدليل دليلاً ، فيُقدم المكلف على الفعل الكفري، وهو لا يراه كفرًا، وبذلك ينتفي شرطُ العمد .

٣- الجهل: فيُعتبر الجهل مانعاً لمن كان عنده أصل التوحيد لكن خفيت عليه بعض المسائل التي قد تخفى أو تُشكل على مثله .

٤- الإكراه الملجيء: وهو ما يُعدِم رضا المكرَه ويفسد اختياره: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:«**تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان و ما استكرهوا عليه**».[٢٢]

٥- التقليد: حيث إنه يترجح القول بجواز التقليد في العقائد للعامي الذي لا يستطيع النظر والاستدلال.

القسم الثاني: موانع في الفعل، وهي مانعان:

١- كون الفعل أو القول غير صريح في الدلالة على الكفر .

٢- كون الدليل الشرعي الذي استُدِل به على التكفير غير قطعي في دلالته على أن ذلك الفعل أو القول مكفرُ.

---

(١٨) ابن كثير، إسماعيل بن عمر « تفسير ابن كثير، المسمى : تفسير القرآن العظيم «(٥ /٧٥)، الطبعة: الثانية، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م

(١٩) خرجه الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدا لله. وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣٤٢)، ومع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص .

(٢٠) انظر : ابن أمير الحاج، محمد بن محمد، « التقرير والتحبير «(٢ /٤٦٦) الطبعة الاولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، دار الكتب العلمية –بيروت، أمير بادشاه، محمد أمين، « تيسير التحرير» (٢/٣٧١)، الناشر دار الفكر .

(٢١) أبو داود، سليمان بن الأشعث « سنن أبي داود «(٢/٥٤٤) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، ابن ماجه، سنن ابن ماجه (١/٦٥٨) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، الترمذي، محمد بن عيسى « الجامع الصحيح سنن الترمذي « (٤/٣٢) تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت. النسائي، سنن النسائي (٦ / ١٥٦)، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة، وصححه الحاكم، وابن حبان، وابن خزيمة، وغيرهم . انظر: الحاكم، /المستدرك على الصحيحين(٢ / ٦٧)، ابن حبان، محمد بن حبان «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان»(١/٣٥٥)، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة– بيروت ١٤١٤هـ–١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ابن خزيمة، محمد بن إسحاق «صحيح ابن خزيمة»(٢/١٠٢)، المكتب الإسلامي– بيروت، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي.

(٢٢) خرجه الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ، وعلق الذهبي في التلخيص بقوله : على شرط البخاري ومسلم . المستدرك على الصحيحين (٢ / ٢١٦) . ومع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص .

القسم الثالث: موانع في الثبوت: وذلك بأن لا يثبت الكفر على فاعله أو قائله الثبوت الشرعي.(٢٣)

الشرط الثاني: أن يكون ممن هو مخول بإصدار الحكم الشرعي أو القضائي:

فليست مسألة التكفير من شأن طلبة العلم ولا من شأن أنصاف المتعلمين فضلا عن العامة وحدثاء الأسنان، بل هو شأن العلماء الربانيين الراسخين في العلم ومن شأن المحاكم الشرعية.

ولما ذكر الإمام الغزالي –رحمه الله– الأمور التي يتعلق بها النظر في التكفير: قال:«فإذا فهمت أن النظر في التكفير موقوف على جميع هذه المقامات التي لا يستقل بآحادها إلا المبرزون، علمت أن المبادر إلى تكفير من يخالف الأشعري أو غيره، جاهل مجازف. وكيف يستقل الفقيه بمجرد الفقه بهذا الخطب العظيم ؟ وفي أي ربع من أرباع الفقه يصادف هذه العلوم؟ فإذا رأيت الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه، يخوض في التكفير والتضليل، فأعرض عنه، ولا تشغل به قلبك ولسانك، فإن التحدي بالعلوم غريزة في الطبع، لا يصبر عنه الجهال، ولأجله كثر الخلاف بين الناس، ولو سكت من لا يدري لقلّ الخلاف بين الخلق»(٢٤)، وإذا كان هذا قد تقرر في حق الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه كما قال الإمام الغزالي، فكيف بأنصاف المتعلمين الذين تجرؤا على التكفير في زمننا؟!

وقد سئل فضيلة الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان –حفظه الله–: من هو المرتدُّ ؟

فأجاب فضيلته:«الحكم بالرِّدَّة والخروج من الدِّين من صلاحيَّات أهل العلم الرَّاسخين في العلم، وهم القضاة في المحاكم الشرعيَّة؛كغيرها من القضايا، وليس من حق كل أحد، أو من حقِّ أنصاف المتعلِّمين، أو المنتسبين إلى العلم، والذين ينقصُهم الفقه في الدِّين، ليس من صلاحيَّاتهم أن يحكُموا بالرِّدَّة؛ لأن هذا يلزم منه الفساد، وقد يحكمون على المسلم بالرِّدَّة، وهو ليس كذلك، وتكفيرُ المسلم الذي لم يرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام فيه خطورة عظيمة..، فالذين يحكمون بالرِّدَّة هم القضاة الشرعيُّون، والذين ينفِّذون هذا الحكم هم ولاة أمور المسلمين، وما عدا هذا؛ فهو فوضى وشرٌّ».(٢٥)

الشرط الثالث: أن يعلم ثبوت ردة المحكوم عليه:

إن الحكم بردة المعين لا يصح إلا عن علم يقيني مدركه ثبوته عند من يصدر الحكم بلا أدنى ريب وذلك لا يتأتى إلا بشرطين: أحدهما: أن يكون الفعل أو القول الصادر من هذا الشخص مكفرا، والثاني: انتفاء موانع التكفير لدى الشخص نفسه، ولا يصح الاستناد فيه إلى الظن بحال من الأحوال، وأي شك في ذلك فإنه يفسر لمصلحة المتهم بالردة.(٢٦)

ولا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحودُ ما أَدخلَه فيه ثم ما تَيقن أنه ردة يَحْكُم بها، وما يَشُك أنه ردَّة لا يَحكُم بها؛ إذ الإسلام الثابِت لا يَزولُ بِشَكٍّ، وَينبغي للعالِم إذا رُفِعَ إلَيْهِ هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الإسلام مع أَنه يَقضِي بصحّة إسلام المكرَه . إن الكفر شَيء عظيم فلا يجعلُ المؤمن كافرًا متى وُجدَت رواية أنه لاَ يكْفر.(٢٧)

ومن انعقد الإجماع على إسلامه فإنه لا يخرج من الإسلام إلا بإجماع أيضا أو نص شرعي لا تأويل له غير الحكم بالكفر؛ يقول ابن عبد البر –رحمه الله– :«..كل من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع من المسلمين، ثم أذنب ذنباً أو تأول تأويلاً، فاختلفوا بعد في خروجه من الإسلام لم يكن لاختلافهم بعد إجماعهم

(٢٣) تنظر تفاصيل الموانع في : آل الشيخ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن « عيون الرسائل والأجوبة على المسائل ١٢٩٣ هـ «(١/١٧٨-١٨٠) ، الطبعة الأولى تحقيق: حسين محمد بوا، الناشر:مكتبة الرشد – الرياض ،الوهيبي، د.محمد بن عبد الله بن علي « نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف» ط/١،دار المسلم للنشر والتوزيع الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٦، ج١، ٢٢٥-٣٠٩؛ ٢٥-٤٩. و العواجي، حسن بن علي بن حسين « ضوابط التكفير مستقاة من المصادر السلفية» ط/١، نشر دار البخاري، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ، ص٣٤- ٣٥، ٣٦.

(٢٤) الغزالي، أبو حامد، « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة «(ص ٧٤)، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ دمشق، تحقيق: محمود بيجو.

(٢٥) المنتقى من فتاوى الفوزان، (ج١ ص ٤٢)، رقم الفتوى (٦١)، مكتبة مشكاة الإسلامية

(٢٦) انظر : البابرتي، محمد محمود، « العناية شرح الهداية « (١٣/١٨٩)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر، « شبهات المشككين «(ص ١٢٤)، وزارة الأوقاف المصرية . ١٤٢٣هـ

(٢٧) انظر : ابن نجيم، زين الدين « البحر الرائق شرح كنز الدقائق « (٥ / ١٣٤) – دار المعرفة – بيروت

معنىً يوجب حجة، ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاق آخر أو سنة ثابتة لا معارض لها، وقد اتفق أهل السنة والجماعة، وهم أهل الفقه والأثر على أن أحداً لا يخرجه ذنبه -وإن عظم- من الإسلام، وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر أن لا يكفَّر إلا من اتفق الجميع على تكفيره، أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة».(٢٨)

ويقول ابن حزم -رحمه الله- « والحق هو أن كل من ثبت له عقد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع وأما بالدعوى والافتراء فلا...».(٢٩)

وقال الشوكاني -رحمه الله-:«اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار».(٣٠)

والحكم بأن الفعل أو القول مكفر ليس مما يدرك بالعقل بل مدركه الشرع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في سياق هذه المسألة-«.. لأن الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرا في الشرع ،كما أنه ليس كل ما كان صوابا في العقل تجب في الشرع معرفته».(٣١)

وممن أجمع على تكفيره:

من ادعى أن النبوة مكتسبة، أو أنه يبلغ بصفاء القلب إلى مرتبتها، أو ادعى أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة، أو ادعى أنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها، ويعانق الحور، فهو كافر بالإجماع قطعا، ومن دافع نص الكتاب أو السنة المقطوع بها المحمول على ظاهره، ومن أصر على جحد وجوب ماعلم وجوبه من الدين بالضرورة كالصلاة المفروضة والزكاة وصوم رمضان والحج.(٣٢)

المبحث الثاني
الشروط المتعلقة بالمحكوم عليه بالتكفير

وذلك بأن تتحقق فيه شروط ثبوت الردة، وهي على النحو الآتي:

الشرط الأول: التكليف، أي أن يكون عاقلاً بالغاً: فيشترط لصحة الردة التكليف، بأن يكون عاقلاً بالغاً، إذ غير المكلف لا يتعلق به حكم خطابي .

وقد قال النبي ﷺ:((**رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق**)).(٣٣)

فلا تصح الردة إلا من عاقل، فأما من لا عقل له كالطفل الذي لا عقل له والمجنون، ومن زال عقله بإغماء أو نوم أو مرض أو شرب دواء يباح شربه فلا تصح ردته ولا حكم لكلامه بغير خلاف . وهناك خلاف في صحة ردة كل من السكران، والصبي المميز.(٣٤) وفيما يلي بيان ذلك:

أولا: ردة السكران: وللفقهاء في صحة ردته قولان:

(٢٨) التمهيد، لابن عبد البر(١٧ / ٢١)

(٢٩) ابن حزم، علي بن أحمد « الفصل في الملل والأهواء والنحل « (٣ / ١٣٨)، مكتبة الخانجي - القاهرة

(٣٠) الشوكاني، محمد بن علي» السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار «، الطبعة الأولى (٥٧٨/٤)، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٥هـ .

(٣١) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم « درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول» (٢٤٢/١) تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣٢) النووي، محيي الدين، روضة الطالبين وعمدة المفتين (٢٨٩/٧-٢٩٠)، دار الكتب العلمية . وانظر : ابن نجيم، « البحر الرائق شرح كنز الدقائق « (١٣١/٥)، الأزهري، صالح عبد السميع «الثمر الداني»٣٦١/١، ٢ / ١٥٢)، النووي، محيي الدين « المجموع شرح المهذب «(٣ / ١٥)، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧م ، البهوتي، منصور بن يونس، «كشاف القناع عن متن الإقناع «، (٢ / ٢٥٦)، دار الفكر

(٣٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث « سنن أبي داود «(٥٤٤/٢) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ابن ماجه، سنن ابن ماجه (٦٥٨/١) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، الترمذي، محمد بن عيسى» الجامع الصحيح سنن الترمذي «(٣٢/٤) تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت . النسائي، سنن النسائي (١٥٦/٦)، مكتب المطبوعات الإسلامية –حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة، وصححه الحاكم، وابن حبان، وابن خزيمة، وغيرهم . انظر: الحاكم، /المستدرك على الصحيحين(٦٧/٢)، ابن حبان، محمد بن حبان « صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان «(٣٥٥/١) ، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م تحقيق : شعيب الأرنؤوط . ابن خزيمة، محمد بن إسحاق «صحيح ابن خزيمة»(١٠٢/٢)، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٣٩٠هـ– ١٩٧٠م، تحقيق:د. محمد مصطفى الأعظمي .

(٣٤) الصبي المميز: هو الذي يفهم الخطاب ويحسن رد الجواب، ولا ينضبط بسن بل يختلف باختلاف الأفهام. البعلي، المطلع على أبواب المقنع (ص ٥١).

القول الأول: لا تصح ردة السكران، وهو مذهب الحنفية[٣٥]، وظاهر مذهب المالكية[٣٦]، وإحدى الروايتين عند الحنابلة[٣٧].

واحتجوا بما يلي:

١- أن ذلك يتعلق بالاعتقاد والقصد، والسكران لا يصح عقده ولا قصده، فأشبه المعتوه .

٢- أنه زائل العقل فلم تصح ردته كالنائم.

٣- أنه غير مكلف فلم تصح ردته كالمجنون، والدليل على أنه غير مكلف أن العقل شرط في التكليف، وهو معدوم في حقه ؛ ولهذا لم تصح استتابته.[٣٨]

القول الثاني: تصح ردة السكران . وهو مذهب الشافعية[٣٩]، وأظهر الروايتين عند الحنابلة.[٤٠]

واحتجوا بما يلي:

١- أن الصحابة-رضي الله عنهم- قالوا في السكران: إذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، فحدوه حد المفتري، فأوجبوا عليه حد الفرية التي يأتي بها في سكره، وأقاموا مظنتها مقامها.

٢- أنه يصح طلاقه فصحت ردته كالصاحي.[٤١]

وأجابوا عن قول الفريق الأول إنه ليس بمكلف، فقالوا: إن هذا ممنوع؛ فإن الصلاة واجبة عليه، وكذلك سائر أركان الإسلام، ويأثم بفعل المحرمات، وهذا معنى التكليف، ولأن السكران لا يزول عقله بالكلية؛ ولهذا يتقي المحذورات، ويفرح بما يسره ويساء بما يضره، ويزول سكره عن قرب من الزمان، فأشبه الناعس بخلاف النائم والمجنون.[٤٢]

الترجيح: الراجح -فيما يظهر- هو القول الثاني، فتصح ردة السكران وتكون معتبرة؛ وذلك لقوة حجة أصحاب هذا القول، وإجابتهم عن حجة القول الأول.

ثانيا: ردة الصبي المميز:

واختلفوا في صحة ردته على قولين:

القول الأول: صحة ردته. وبه قال أبو حنيفة ومحمد بن الحسن من الحنفية[٤٣]،وهو مذهب المالكية[٤٤]، والحنابلة[٤٥].

واحتجوا: بأنه صح إيمانه وإسلامه، فتصح ردته.[٤٦]

القول الثاني: عدم صحة ردته، وبه قال أبو يوسف من الحنفية[٤٧]، وهو مذهب الشافعية[٤٨]، ورواية عن الإمام أحمد[٤٩]

واحتجوا بما يلي:

١- قوله ﷺ - ((**رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ** ..)) الحديث. وهذا يقتضي أن لا يكتب عليه ذنب ولا شيء، ولو صحت ردته لكتبت عليه[٥٠].

٢- عدم تكليفه ، فلا اعتداد بقوله واعتقاده.

٣- أن الردة أمر يوجب القتل فلم يثبت حكمه في حق الصبي كالزنا[٥١].

وأجابوا عن حجة أصحاب القول الأول بأن هناك

(٣٥) انظر: الكاساني، علاء الدين «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»(٣/٩٩)، دار الكتاب العربي- بيروت -سنة النشر ١٩٨٢م، ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم، «الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان «(ص١٨٩)، ط ١٤٠٠هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

(٣٦) انظر: الدسوقي، محمد عرفة، « حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير « (٣/٦)، دار الفكر بيروت .

(٣٧) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد « المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني « (١٠ / ٩٩)، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ ، الناشر : دار الفكر – بيروت، المرداوي، علي بن سليمان، « الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل « (١٠/٣٣١)، الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق محمد حامد الفقي .

(٣٨) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد « المغني « (١٠ / ٩٩) .

(٣٩) انظر : الماوردى، أبو الحسن، الحاوى الكبير (١٣ / ٣٧٤) دار الفكر . بيروت ، النووي، روضة الطالبين (٧ / ٢٩٠) دار الكتب العلمية

(٤٠) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد « المغني»(١٠/٩٩)، المرداوي، علي بن سليمان، « الإنصاف « (١٠ / ٣٣١) .

(٤١) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد « المغني « (١٠/٩٩) .

(٤٢) انظر : ابن قدامة، عبد الله بن أحمد « المغني « (١٠ / ٩٩)

(٤٣) الكاساني، بدائع الصنائع - (٧ / ١٣٤) .

(٤٤) ابن عليش، محمد بن أحمد « فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك «(ص٤٤٠)، جمع وتحقيق : علي بن نايف الشحود.

(٤٥) ابن قدامة، المغني (١٠ / ٨٨).

(٤٦) الكاساني، بدائع الصنائع (٧ /١٣٤) ، ابن قدامة، المغني (٨٨/١٠)

(٤٧) الكاساني، بدائع الصنائع (١٣٤/٧).

(٤٨) النووي، « روضة الطالبين»(٧١/١٠)، الشربيني، «مغني المحتاج « (١٣٧/٤).

(٤٩) انظر : ابن قدامة، المغني (٨٨/١٠).

(٥٠) ابن قدامة، المغني - (٨٨/١٠).

(٥١) انظر: ابن قدامة، المغني (٨٨/١٠)، الشربيني، «مغني المحتاج « (١٣٧/٤).

فرقا بين الحكم بصحة إيمانه وإسلامه والحكم بصحة ردته ؛ لأن الإسلام في حال تصحيحه منه يكتب له، في حين أن الردة إذا صحت منه تكتب عليه، ولأن الإسلام إنما صح منه لأنه تمحض مصلحة فأشبه الوصية، والردة تمحض مضرة ومفسدة فلم تلزم صحتها منه.(٥٢)

الترجيح: الراجح -والله أعلم- هو القول الثاني، وهو عدم الحكم بصحة ردة الصبي المميز؛ وذلك لقوة حجة هذا القول، والإجابة عن حجة أصحاب القول الأول .

الشرط الثاني: أن لا يكون هناك عارض مثل الجهل والإكراه ونحوهما، على ما سبق بيانه في موانع التكفير:

فلا بد للحكم بكفر الشخص أن يُعلم تعمده إتيان الكفر عن علم وتعمد وقصد واختيار، وما لم نتيقن ذلك فقد اختل شرط الحكم بالتكفير، ولا يجوز إطلاقه على هذا الشخص؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥] فهذه الآية أصل في ترتيب المؤاخذة على وجود التعمد، وحينئذ فالخطأ والنسيان لا مؤاخذة فيهما.

وقال عز وجل:﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[النحل: ١٠٦]، فإننا نرى النص القرآني يبني الحكم بالكفر من عدمه على ما انعقد عليه القلب، حتى وإن تلفظ المرء بالكفر مكرها فإنه لا يؤاخذ بذلك .

وفي هذا المعنى نصوص أخرى من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

الشرط الثالث: انتفاء الشبهة والتأويل فيما ذهب إليه:

والشبهة: وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له.(٥٣)

(٥٢) ابن قدامة، المغني (١٠ / ٨٨).

(٥٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم (١ / ١٤٠)، دار الكتب العلمية - بيروت .

والمتأول هو: صارف اللفظ عن ظاهره لدليل.(٥٤)

وكل من الشبهة والتأويل حائل دون معرفة الحق من غير تعمد من القلب فيما يظهر، ولابد من إزالة الشبهة، وإبطال التأول الذي أوقع في الكفر. وإقامة الحجة بالبرهان قبل الحكم بكفر من عرضت له شبهة أو تأويل. يقول ابن تيمية: « وليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحَجَّة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة ».(٥٥)

الشرط الرابع: إقامة الحجة عليه:

والحجة هي: نصوص الكتاب والسنة التي بموجبها يتم دفع مادة الأعذار عمن يحتج بها، وبعدمها يكون العذر. وقد سبق آنفا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال أيضا:«ولا يُكفر الشخص المعين حتى تقام الحجة ...»(٥٦)

وهناك مسالة أخرى هي من الأهمية بمكان، وهي ضرورة فهم الحجة من قِبَل من تقام عليه، فليس من المتصور أن تأمر شخصاً بفعل أمر ما وهو لا يفهمه ولا يعقله .قال ابن القيم -رحمه الله- : « قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص ؛ فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئا ولا يتمكن من الفهم ..»(٥٧)، ولابد لإقامتها من سلامة عرضها، ثم تيقن فهمها ممن تقام عليه . لأن هذا هو معنى إقامة الحجة .

الشرط الخامس: ثبوت الردة بالبينة أو

(٥٤) البعلي، المطلع على أبواب المقنع في الفقه، (ص ٤٠٩) المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٥٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢ / ٤٦٦)

(٥٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٦١٩)

(٥٧) ابن القيم، محمد بن أبي بكر « طريق الهجرتين وباب السعادتين « (ص ٦١١)الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ .

الإقرار:(٥٨)

وذلك لأن الحكم بالردة حكم شرعي يترتب عليه حد شرعي، والحدود الشرعية لا تثبت إلا ببينة أو إقرار .

وتثبت الردة بالإقرار أو بالشهادة ؛ ولإثباتها بالشهادة شرطان هما:

أ- شرط العدد: فلابد من شاهدين في ثبوت الردة.(٥٩)

ب- تفصيل الشهادة: يجب التفصيل في الشهادة على الردة بأن يبين الشهود وجه كفره، نظرا للخلاف في موجباتها، وحفاظا على الأرواح.(٦٠)

وأما إذا ثبتت الردة بالإقرار ؛ فيجب أخذ إقرار المرتد مفصلا، وواضحا، وبيان الأمر الذي حصلت به الردة.(٦١)

والله أعلم

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم الله برسالته الرسالات،وعلى آله وصحبه، وبعد:

ففي ختام هذا البحث أورد أهم النتائج المستفادة منه، وهي على النحو التالي:

١- عظم شأن التكفير وخطورته .

٢- الواجب توقي الحكم بالتكفير، إلا على من ثبت الحكم بكفره شرعا وقضاء.

٣- الحكم بالتكفير من شأن العلماء الراسخين في العلم المخولين بالفتوى من قبل ولي الأمر،والحكم القضائي الذي تترتب عليه أحكام الردة لا يتم إلا عن طريق القضاة المعتمدين.

٤- الخوض في التكفير من شأنه تفريق جماعة المسلمين، وإشاعة الفوضى واختلال الأمن .

٥- للتكفير شروط محكمة تجعله عزيز المنال .

٦- من ثبت إسلامه بإجماع لا تثبت ردته إلا بإجماع، أو نص شرعي لا مدفع له، والذي ينزل هذا النص على شخص بعينه هم الراسخون في العلم أهل الفتوى المعتمدون والقضاة الشرعيون .

٧- لزوم إقامة الحجة على المتهم بالردة من قبل المسوغ له الحكم بالكفر، ولا تقوم الحجة إلا ببيانها وتيقن فهمها.

٨- لابد لتوجيه التهمة بالردة من الشهادة المعتبرة أو الإقرار من المتهم . ولا يعني كل ذلك الحكم بالردة، بل لابد من توفر جميع الشروط الأخرى .

٩- لا يصح التعجل في الحكم بالكفر على من قال كفرا أو فعل كفرا، حتى يستبين ما لديه، وتقام الحجة عليه.

التوصيات

١- ضرورة تقنين الحكم بالتكفير، وإصدار لائحة رسمية حكومية خاصة بالحكم بالتكفير .

٢- طرح موضوعات بحثية تعنى بشرح النصوص الشرعية المشتملة على الحكم بالتكفير وبيان تفسيرها، وأقوال أهل العلم في معانيها.ونشر تلك الأبحاث أو نتائجها النافعة بشكل موسع داخل البلاد وخارجها.

٣- إيجاد خطة رسمية واضحة من قبل الجهات المعنية (الشؤون الإسلامية، شؤون الحرمين، التربية والتعليم، التعليم العالي..)للعمل على نشر مبدأ التورع عن التكفير بمستوى ثقافة المجتمع كافة داخليا، والتنسيق لنشر ذلك خارجيا.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

* * *

قائمة المراجع

١- ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان،ط ١٤٠٠هـ -

(٥٨) انظر: الكاساني،»بدائع الصنائع»(٤٦/٧)، النووي،»روضة الطالبين» (٢٩١/٧)، ابن قدامة، «المغني» (٩٣/١٠)،البهوتي،»كشاف القناع»(١٨٥/٦)، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٩١/٢٢)، العتيبي، « الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة بالأنظمة المعمول بها في المملكة العربية السعودية «، ص ٤١٤) الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ

(٥٩) انظر: المغني (٩٣/١٠).

(٦٠) انظر: الشربيني، محمد الشربيني الخطيب « الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع «(٥٥٢/٢) دار الفكر – بيروت ١٤١٥هـ

(٦١) الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة بالأنظمة المعمول بها في المملكة العربية السعودية ص ٤١٤)

دار الكتب العلمية – بيروت.

٢-الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد . الاقتصاد في الاعتقاد، ط١ ١٤٢٣هـ، تحقيق دكتوره/ إنصاف رمضان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق – بيروت.

٣- الشربيني، محمد الشربيني الخطيب، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، دار الفكر – بيروت ١٤١٥هـ

٤- المرداوي، علي بن سليمان، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق محمد حامد الفقي .

٥- ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي الحسني القاسمي . إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، الطبعة الثانية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٧م

٦- ابن نجيم، زين الدين الحنفي . البحر الرائق شرح كنز الدقائق، الناشر: دار المعرفة – بيروت

٧- الكاساني، علاء الدين . بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي- بيروت -سنة النشر ١٩٨٢م

٨- الطبري، محمد بن جرير . تفسير الطبري، المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبعة: الأولى، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٩- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي . تفسير ابن كثير، المسمى: تفسير القرآن العظيم، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع .

١٠-ابن أمير الحاج، محمد بن محمد، التقرير والتحبير، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، تحقيق:عبد الله محمود محمد عمر . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

١١- النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري .

١٢- المناوي، محمد عبد الرؤوف. التوقيف على مهمات التعاريف . الطبعة الأولى، الناشر: دار الفكر المعاصر ، دار الفكر- بيروت ، دمشق - ١٤١٠هـ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية .

١٣- أمير بادشاه، محمد أمين، تيسير التحرير، دار النشر / دار الفكر .

١٤- الأزهري، صالح عبد السميع الإبى، الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبى زيد القيرواني، المكتبة الثقافية – بيروت .

١٥- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين .

١٦- الدسوقي، محمد عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، دار الفكر بيروت .

١٧- الماوردى، أبو الحسن . الحاوى الكبير، دار النشر / دار الفكر . بيروت.

١٨- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم . درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول . دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م . تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن .

١٩- ابن عابدين، محمد أمين . الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٠- النووي، محيي الدين، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - على محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية .

٢١- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود، الناشر: دار الفكر، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد .

٢٢- ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، سنن ابن ماجه، الناشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٣- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي،

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية — حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

٢٤- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، تحقيق: محمود إبراهيم زايد .

٢٥- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر، شبهات المشككين، وزارة الأوقاف المصرية . ١٤٢٣هـ

٢٦- الزركشي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، قدم له ووضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، بيروت .

٢٧- ابن النجار، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي، شرح الكوكب المنير، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م تحقيق: محمد الزحيلي و نزيه حماد .

٢٨- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح ؛ تاج اللغة وصحاح العربية ، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت - الطبعة: الرابعة- يناير ١٩٩٠م .

٢٩- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، صحيح البخاري، المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، الطبعة الثالثة، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة — بيروت، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا .

٣٠- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الطبعة الثانية، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت، ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط .

٣١- ابن خزيمة، محمد بن إسحاق، صحيح ابن خزيمة، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي .

٣٢- مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٣- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، طريق الهجرتين وباب السعادتين، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م، الناشر: دار ابن القيم - الدمام تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر

٣٤- آل الشيخ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن . عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، الطبعة الأولى، دراسة وتحقيق: حسين محمد بوا، الناشر: مكتبة الرشد — الرياض

٣٥- السبكي، الإمام أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي . فتاوى السبكي، الناشر دار المعرفة لبنان/ بيروت

٣٦- ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية)

٣٧- ابن عليش، محمد بن أحمد، فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك ، جمع وتحقيق: علي بن نايف الشحود

٣٨- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، الفصل في الملل والأهواء والنحل - مكتبة الخانجي — القاهرة .

٣٩- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ دمشق، تحقيق: محمود بيجو .

٤٠- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط ٨، ١٤٢٦هـ مؤسسة الرسالة

٤١- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، كشاف القناع عن متن الإقناع ، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال- دار الفكر- بيروت -١٤٠٢ هـ

٤٢- ابن منظور، محمد بن مكرم . لسان العرب ، الطبعة الأولى، الناشر: دار صادر — بيروت —

٤٣- النووي، محيي الدين، المجموع شرح المهذب، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧م

٤٤- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى ابن تيمية، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن

قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٤٥- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت طبعة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر .

٤٦- النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم، المستدرك على الصحيحين ومع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا .

٤٧- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت .

٤٨- البعلي، محمد بن أبي الفتح، المطلع على أبواب المقنع في الفقه، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، تحقيق: محمد بشير الأدلبي .

٤٩- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، الطبعة الثانية، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي .

٥٠- قلعه جي،ا.د محمد رواس، قنيبي، د . حامد صادق، معجم لغة الفقهاء الطبعة الثانية - دار النفائس بيروت -١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٥١- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. «معجم مقاييس اللغة»، الناشر: دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. تحقيق: عبد السلام محمد هارون .

٥٢- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .، الناشر: دار الفكر – بيروت،

٥٣- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت .

٥٤- المنتقى من فتاوى الفوزان، مكتبة مشكاة الإسلامية .

٥٥- العتيبي، سعود بن عبد العالي، الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة بالأنظمة المعمول بها في المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ

٥٦- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، الطبعة الثانية، دارالسلاسل – الكويت .

* * *

Conditions of Takfir

M.M.Al-Harthy
Islamic Culture - Faculty of Education - Jazan University

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, prayer and peace upon our Prophet Muhammad and his family and companions, and then: This is a topic entitled: Conditions of Takfir (Excommunication, i.e. declaring someone as being disbeliever in Islam).

1. With the prevalence of takfir phenomenon amongst those trivializing it, the importance of knowing the takfir conditions rises. To those who understand them, these conditions are considered as the protector of a Muslim's honour, blood and money, since they create an impenetrable bulwark protecting every Muslim man from being judged as a disbeliever merely for the slightest suspicion or whim.

2 - The knowledge of these conditions limit the intrusiveness into the takfir scourge for everyone who he is willing to ponder and protect themselves from taking adventure in this regard so as not to risk their religion and fate.

3 - The knowledge of these conditions would also make the takfir issue entrusted to those who are qualified, namely the scholars who are firmly grounded in knowledge, and judges specialised in the field of blood, honor and money jurisprudence...

Methodology

This study follows the legitimate researches theoretical methods as follow:

1. Documentation of research issues.
2. Reliance on historical (e.g. verses of Koran, Hadiths –the prophet's sayings and deeds, etc.) and prudent (rational) evidence in making judgements.
3. Matching verses (of Koran) to their chapters with their numbers.
4. Extraction of Hadiths from the original sources (text books) of Science of Hadith.
5. Terminology definition and odd terms explanation
6. Reliance on original scientific references.
7. Research plan as shown in the research foreword.

Keywords: Apostasy - A particular person – Apostate – Evidence – Exegesis – Compulsive act - Incident– Blameworthiness - Suspicion.

الأساليب النبوية في تنمية المسؤولية الاجتماعية

عبد الرحمن علوش مدخلي

قسم الثقافة الإسلامية- كلية التربية - جامعة جازان

المُلخّص

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد/ فإن الهدف من هذا البحث إبراز أهم الأساليب النبوية التي رسمها النبي ﷺ وبينها للأمة في التأصيل و التربية على تحمل المسئولية الاجتماعية. وقد بدا الباحث بحثه بمقدمة ذكر فيها أهداف البحث وخطته التي سار عليها، وبعد المقدمة التمهيد حيث ذكر فيه تعريف المسئولية لغة واصطلاحاً وأنواع المسئولية، وما هي أهم مسئوليات الفرد نحو مجتمعه وما هي مبررات هذه المسئوليات. ثم ختم التمهيد بذكر نطاق ومجالات المسئولية الاجتماعية وأنها تبدأ من الفرد نفسه وتتسع لتشمل الأمة كلها. ثم كان الحديث في الفصل الأول عن «ترغيبه ﷺ في التكافل والمواساة وتحقيق النفع العام لكل الناس ويشتمل على ذكر أهم الوسائل الشرعية التي تحقق التكافل في الإسلام، كما تم الحديث عن أهم مظاهر التكافل المادية والمعنوية ومن أهمها إغاثة المنكوبين ومساعدة المحتاجين وكفالة الأيتام وإكرام الضيف، ورعاية الشيوخ، وكبار السن، والإصلاح بين الناس، ورعاية حقوق الجار، وذوي الأرحام وغير ذلك. ثم انتقل الحديث في الفصل الثاني عن توثيق روابط الأخوة الإسلامية بين المسلمين نظرياً وعملياً بذكر أهمية الإخوة والوسائل التي تقوي هذه الإخوة والإشارة إلى أعظم تآخٍ تم في التاريخ بين المهاجرين والأنصار ثم ختم الفصل بذكر تحذيراته ﷺ من الأسباب التي تخل بالإخوة الإسلامية وتفكك روابطها. وأخيراً ختم البحث بالفصل الثالث والذي كان الحديث فيه عن اختياره ﷺ للقدرات والمواهب الشابة المؤهلة وإسناده المسئوليات الاجتماعية إليهم ومن ذلك اختياره للدعاة كمصعب بن عمير ومعاذ بن جبل، واختيار فريق آخر لجباية الزكاة، وفريق ثالث لقيادة الجيوش وإمارة المدن والنواحي، وهلم جرا، ولا أدعي حصر الأساليب النبوية فيما ذكرته، وإنما ذكرت أمثلة على ذلك والله التوفيق.

الكلمات المفتاحية : المسئولية الاجتماعية- التكافل الاجتماعي –الأساليب النبوية –الروابط الاجتماعية – بناء أواصر الأخوة –المواساة – النفع العام – الحث على العمل –الإصلاح بين الناس –الحقوق الاجتماعية –الوسائل الشرعية .

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ،

فإن المسئولية الاجتماعية من الأهمية بمكان في حياة الناس ، أيًا كانت أوطانهم وجنسياتهم وأديانهم ، تلك المسئولية التي تتمثل في تحمل القادرين من أبناء المجتمع لكثير من الأعباء المادية أو المعنوية التي تعجز الفئات الأخرى عن احتمالها ، وإن تنمية المسئولية الاجتماعية لدى المسلم هي تنمية للجانب الخلقي الاجتماعي في شخصيته ، لا تنفصل عنه بل تتكامل معه ، وتنمية هذا الجانب جزء أصيل من التربية العامة للشخصية المسلمة .

ولقد كان هَدْيُ النبي ﷺ في تنمية هذا الجانب وتربية أبناء الأمة على تحمله واستشعاره واضحًا في أساليب نبوية كثيرة متنوعة سيرد بعضها في ثنايا هذا البحث بمشيئة الله .

ويُبَيِّنُ عليه الصلاة والسلام فَضْلَ هذا العمل ومنزلته العالية من الدين فيما رواه عبد الله بن عمر –رضي

البريد الإلكتروني : allosh60@gmail.com
ردمد : ١٦٥٨-٦٠٥٠

الله عنهما- أنه قال : " **أَحَبُّ الناسِ إلى الله أنفعُهم للناسِ ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى الله سرورٌ تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأنْ أمشيَ مع أخي المسلم في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام**"(١).

ومن هذا المنطلق أحببت كتابة هذا البحث ، وجعلت عنوانه :

الأساليب النبوية في تنمية المسئولية الاجتماعية

وإن أهم أهداف هذا البحث : -

١- بيان أهمية المسئولية الاجتماعية في الإسلام .

٢- حصر أهم الأساليب النبوية في التربية على تحمل المسئولية الاجتماعية.

٣- ترغيب شباب الأمة المعاصر على تحمل المسئولية الاجتماعية ، وأن يكونوا فاعلين في مجتمعاتهم.

وقد سرت في هذا البحث وفق الخطة التالية : -

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة : وفيها أهداف البحث وخطته .

التمهيد : وفيه الحديث عن مفهوم المسئولية الاجتماعية وأنواعها وشموليتها ومجالاتها.

المبحث الأول : وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي ومظاهره ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي .

المطلب الثاني : مظاهر التكافل الاجتماعي .

المبحث الثاني : فضل التآخي والتحذير من الأسباب الموجبة للفرقة وفيه مطالب :

المطلب الأول : بيانه ﷺ لفضل التآخي بين المسلمين ، وذكر الأسباب التي تقوي هذه الأخوة.

المطلب الثاني : مؤاخاته ﷺ بين المهاجرين والأنصار عندما قدم المدينة.

المطلب الثالث : تحذيره ﷺ من الأسباب التي تخل بالأخوة الإسلامية .

المبحث الثالث : اختيار القدرات الشابة المؤهلة وإسناد المسئوليات الاجتماعية إليهم وفيه مطالب :

المطلب الأول : إرساله الدعاة للتعليم والتوجيه ونشر الإسلام .

المطلب الثاني : تكليف عدد من الصحابة بجمع الزكاة من القبائل المسلمة.

المطلب الثالث : اختيار الأَكْفَاءِ للإمرة والقيادة.

الخاتمة :

المصادر والمراجع .

هذا ، وسيكون منهجي في هذا البحث — بعون الله – وفق التالي :-

– ذكر أبرز الآيات والأحاديث والآثار الواردة في ذلك واستنباط الفقه منها .

– تخريج الأحاديث والآثار من مظانها ، فإن كان في الصحيحين ، فقد اجتاز القنطرة ، وإن كان في غيرهما بينت درجته نقلاً عمن ذكر ذلك من علماء الشأن.

ولا أدعي أني أوفيت الموضوع حقه ، بل ما ذكرته مجرد إشارات تفتح الطريق لمن أراد أن يستوفي الموضوع ، وأقر بالعجز والتقصير ، غير أن ما يشفع لي أني بذلت جهدي ، فإن أحسنت فمن توفيق الله ، وإن أسأت فمن نفسي والشيطان ، والله ورسوله منه بريئان ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد

المسئولية : مصدر مأخوذ من مادة (س أ ل) التي تدل على استدعاء معرفة ، أو ما يؤدي إلى المعرفة ، أو استدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال ، يقال : سألته الشيء ، وسألته عن الشيء سؤالاً ومسألة ، والأمر منه اسْأل ، ورجل سُؤلة كثير السؤال ، وتساءلوا : سأل بعضهم بعضهم بعضًا ، وأسألته سؤلته ومسألته أي

(١) أخرجه الطبراني في الكبير[٤٥٣/١٢ رقم ١٣٦٤٦] وفي الأوسط [١٣٩/٦ رقم ٦٠٢٦] والصغير [١٠٦/٢رقم ٨٦١] وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج [٤٧ رقم ٣٦] وأبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه [ص١٢٢ رقم ٩٤] وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير [ص١١٠ رقم ١٧٦] : حسن، ويشهد له حديث جابر الآتي تخريجه .

قضيت حاجته[٢].

ولفظ " المسئولية " من الألفاظ المحدثة التي يراد بها التبعة ، يقال : أنا برئ من مسئولية هذا العمل ، أي : من تبعته .

وقيل : المسئولية : ما يكون به الإنسان مسئولاً ومطالبًا عن أمور أو أفعال أتاها ، والمسئولية عند أرباب السياسة هي الأعمال التي يكون الإنسان مطالبًا بها[٣].

وتعرف المسئولية اصطلاحًا بأنها حالة يكون فيها الإنسان صالحًا للمؤاخذة على أعماله ، وملزمًا بتبعاتها المختلفة[٤].

وقيل : هي تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى ، وأمام ضميره في الدرجة الثانية ، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة.

وقال الخاقاني : يراد بالمسئولية الشعور بأداء الواجب والإخلاص في العمل[٥].

وقال الدكتور دراز : تعني المسئولية كون الفرد مكلفًا بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدم عنها حسابًا إلى غيره... إلى أن قال :... والمسئولية قبل كل شيء هي استعداد فطري إنها هذه المقدرة على أن يلزم الإنسان نفسه أولاً ، والقدرة على أن يفي بعد ذلك بالتزامه بوساطة جهوده الخاصة[٦].

وبالتأمل في التعريفات السابقة نجد بينها تقاربًا شديدًا ، ولعل أقربها تعريف الدكتور صالح بن حميد ؛ لاختصاره وشموله.

للمسئولية أنواع عدة من أهمها :-

١- المسئولية الدينية : وهي التزام المرء بأوامر الله ونواهيه، وقبوله العقوبة حال المخالفة للواجبات أو الوقوع في المحرمات ، وحرمان الثواب حال ترك المندوبات ، أو فعل المكروهات .

٢- المسئولية الأخلاقية : وهي حالة تمنح المرء القدرة على تحمل تبعات أعماله ، وآثارها ومصدرها الضمير .

٣- المسئولية الاجتماعية : وهي التزام المرء بقوانين المجتمع ونظمه وتقاليده .

وقيل : هي تحمل القادرين من أبناء المجتمع لكثير من الأعباء المادية والمعنوية ، والتي تنوء الفئات الأخرى عن احتمالها لاسيما في أوقات الشدائد .[٧] ، وهذه المسئولية هي محور حديثنا.

ومسئولية الفرد نحو المجتمع تتلخص في التالي :-

١- الالتزام بقانون الجماعة ، وهذا يستلزم من الأفراد الالتزام بقوانين المجتمع الأساسية التي تعد أمانة اجتماعية.

٢- التعاون مع الجماعة في سبيل الخير العام .

٣- تقديم العمل الصالح والتنافس في هذا السبيل .

٤- نشر العلم الذي يسهم إسهامًا إيجابيًا في بناء المجتمع وتطويره . قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٨].

٥- ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومما يعلل ما سبق ويجعل الفرد مسئولاً عن إصلاح المجتمع المسلم والرقي به واستشعار تلك المسئولية الاجتماعية :-

أ- النصوص الشرعية المتوافرة في ذلك ، ومنها :

- قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٩].

- قول النبي ﷺ : «**خير الناس أنفعهم للناس**»[١٠].

(٢) الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد ، ١٩٦١م «المفردات» [٢٥٠] ، الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، ١٤٠٤هـ» الصحاح [١٧٢٣/٥]» ، ابن الأثير الجزري ، مجد الدين أبي السعادات» النهاية» [٣٢٨/٢] ابن منظور ، محمد بن مكرم « ١٩٨١م» « لسان العرب» ، [مادة س أ ل ١٩٠٦/٣٢].

(٣) اليسوعي ، لويس معلوف» ١٩٨٨م» « المنجد» [٣١٦].

(٤) ابن حميد ، صالح بن عبد الله ومجموعة من المختصين ، ١٤٢٥هـ» « نضرة النعيم ، [١/١٨-٣٤] ، دراز ، محمد بن عبد الله» ١٩٨٢ ، دستور الأخلاق في القرآن- دراسة مقارنة للأخلاق [١٣٨] ، الخاقاني ، محمد ، ١٩٨٧م ، علم الأخلاق- النظرية والتطبيق [١٤١].

(٥) الخاقاني ، محمد «١٩٨٧» علم الأخلاق –النظرية والتطبيق [١٤١] .

(٦) دراز ، محمد بن عبد الله» ١٩٨٢» دستور الأخلاق في القرآن- دراسة مقارنة للأخلاق [١٣٨] .

(٧) عثمان ، أحمد سيد» المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة [٢٦٩]

(٨) سورة المائدة آية [٢]

(٩) سورة التوبة آية [١٢٢]

(١٠) رواه ابن حبان في المجروحين [٧٩/٢] والقضاعي في مسند الشهاب ، [٢٣٠/٢ رقم ١٢٣٤] والطبراني في المعجم الأوسط (٥٧٨٧)من حديث جابر ، ورواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج [ص٤٠ رقم ٣٦] وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة [٤٢٥/١ رقم ٤٢٦] وصحيح الجامع الصغير [١٢٤/٣ رقم ٣٢٨٤]

- قوله ﷺ :«**كلكم راع ومسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكلم مسئول عن رعيته**» (١١).

- قوله ﷺ :«**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» (١٢).

- قوله ﷺ :«**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**» (١٣).

- قوله ﷺ :«**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ، ولم نؤذِ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**» (١٤).

وغير ذلك من النصوص الشرعية في التكافل والترابط ، وستأتي الإشارة إليها في ثنايا البحث بمشيئة الله.

ب- يتأثر الفرد -في الغالب- بالمجتمع الذي يعيش فيه ، فتمرض روحه أو تهزل ، أو تصح وتقوى ؛ تبعًا لصلاح المجتمع أو فساده.

ج- النجاة من العقاب الجماعي ، فقيام الأفراد بإصلاح المجتمع ينجيهم وينجي المجتمع من الهلا سورة الشمس آية [٧] ك الجماعي أو العقاب الجماعي ، وهذه سنة إلهية أن المجتمع الذي يشيع فيه المنكر ، وتنتهك فيه حرمات الله ، ويسكت الأفراد عن الإنكار والتغيير فإن الله يعمهم بعقاب من عنده ، يصيب به الصالح والطالح ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(١٥). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾(١٦)

نطاق ومجالات المسئولية الاجتماعية :

لقد توافرت النصوص الشرعية على تقرير مبدأ المسئولية الفردية ، وأن الإنسان بصفة عامة والمسلم بصفة خاصة مسئول عن تصرفاته وأفعاله ، وأنه لم يخلق عبثًا أو هملاً ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴾(١٧) وقال تعالى:﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴾(١٨) ويقول تعالى:﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾(١٩) وقال :﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾(٢٠).

ومن السنة يقول النبي ﷺ :«**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيمَ أنفقه ، وماذا عمل فيما علم**»(٢١).

إلى غير ذلك من النصوص التي تؤصل مبدأ المسئولية الفردية ، وأنها المنطلق للمسئولية الاجتماعية وغيرها من أنواع المسئوليات .

ولقد اهتم النبي ﷺ في توجيهاته بالفرد المسلم ، فرغب في الإيجابية والفاعلية وحذر من السلبية والاتكالية .

فمن ذلك الأحاديث الواردة في الحث على العمل والترغيب في عمل اليد والكسب الحلال ومنها :

- قول النبي ﷺ : «**ما أَكَلَ أحدٌ طعامًا قط خير من أن يأكل من عمل يده**»(٢٢).

قلت : يقويه - أيضًا - حديث ابن عمر السابق فيكون حسنا لغيره .

(١١) رواه البخاري [٤١٤/٢ رقم ٨٤٤] ومسلم [٣٥٢/٩ رقم ٣٤٠٨] من حديث عبد الله بن عمر

(١٢) رواه البخاري [٢١/١ رقم ١٢] ومسلم [١٥٨/١ رقم ٦٤] من حديث أنس بن مالك.

(١٣) رواه البخاري [٢٨٩/٢ رقم ٤٥٩] ومسلم [٤٦٧/١٢ رقم ٤٦٨٤] من حديث أبي موسى الأشعري.

(١٤) رواه البخاري [٣٩٩/٨ رقم ٢٣١٣] من حديث النعمان بن بشير.

(١٥) سورة الأنفال آية [٢٥]

(١٦) سورة هود آية [١١٧]

(١٧) سورة المؤمنون آية [١١٥]

(١٨) سورة القيامة آية [٣٦]

(١٩) سورة الصافات آية [٢٤]

(٢٠) سورة الشمس آية [٧]

(٢١) رواه الترمذي [٢٤١٧] من حديث أبي برزة الأسلمي وقال : حسن صحيح ،ورواه الطبراني في المعجم الكبير[٦١/٢٠/رقم١١١] من حديث معاذ بن جبل وصححه الألباني في الصحيحة [٦٢٩/٢ رقم ٩٤٦]بمجموع طرقه و شواهده.

(٢٢) رواه البخاري [٢٣٥/٧ رقم ١٩٣٠] من حديث المقدام بن معد

- وقوله ﷺ : «**من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورًا له**»(٢٣).

- قوله ﷺ : «**ن قامت الساعة ، وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**»(٢٤).

ومن ذلك تحذيره ﷺ من المسألة وتكفف الناس أعطوه أو منعوه ، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة منها :

- قوله ﷺ : «**والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه أو منعه**»(٢٥).

- حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : «**سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال لي : يا حكيم ، إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى. قال حكيم : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا** ... الحديث (٢٦). فكان كذلك .

- قوله ﷺ : «**ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ، وليس في وجهه مزعة لحم**»(٢٧).

- قوله ﷺ : «**من سأل شيئًا وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم قالوا : يا رسول الله ، وما يغنيه ؟ قال : ما يغديه أو يعشيه**»(٢٨).

وفي الجانب التربوي يأمر الإسلام بتزكية النفس وتهذيبها ودفعها إلى الخير وحجزها عن الشر **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾(٢٩).

ونهى عن إتلاف النفس فقال ﷺ : «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالد مخلدًا فيها أبدًا**»(٣٠).

وحرم عليه تعاطي كل ما يؤثر على صحته وعقله فحرم الخمر والخنزير وغيرها من المخدرات والمسكرات التي تؤثر على الصحة والعقل .

ثم يتسع نطاق المسئولية ليشمل الأسرة فجعل المسئولية مشتركة بين الرجل وزوجته : « **كل راع وكل مسئول عن رعيته فالرجل راعٍ في أهل بيته ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**... الحديث»(٣١).

وأرسى لتحقيق هذه المسئولية المشتركة داخل الأسرة مبادئ وضمانات منها : -

- حسن اختيار الزوجة فقال : «**تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(٣٢).

- حسن اختيار الزوج : «**إذا أتاكم مَن ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»(٣٣).

- حسن المعاملة بينهما فقال ﷺ : «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم**»(٣٤).

- وكان ﷺ الأنموذج الأكمل في ذلك فقال : «**وأنا خيركم لأهلي**»(٣٥).

يكرب.

(٢٣) رواه الطبراني في الأوسط [٢٨٩/٧ رقم ٧٥٢٠]وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة [١٣٢/٦ رقم ٢٦٢٦] : ضعيف ، وقال المناوي في فيض القدير [٨٨/٦] : قال الحافظ العراقي : سنده ضعيف .

(٢٤) رواه البخاري في الأدب المفرد [١٦٨/١ رقم ٤٧٩] وأحمد [٦٣/٤] من حديث أنس بن مالك ،وقال الألباني في السلسلة الصحيحة [٨/١ رقم ٩] :إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢٥) رواه البخاري [٥٣٥/٢ رقم ١٤٠١] من حديث أبي هريرة .

(٢٦) أخرجه البخاري [١٠١٠/٣ رقم ٢٥٩٩] من حديث حكيم بن حزام.

(٢٧) أخرجه البخاري [٥٣٦/٢ رقم ١٤٠٥] ومسلم [٤٠٤/٦ رقم ٢٤٤٥] من حديث عبد الله بن عمر.

(٢٨) رواه أحمد [١٨٠/٤] وأبو داود [١١٧/٢ رقم ١٦٢٩] من حديث سهل بن الحنظلية ، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير [٦٢٨٠] : صحيح.

(٢٩) سورة الشمس الآيات [٧-١٠]

(٣٠) أخرجه البخاري [٢١٧٩/٥ رقم ٥٤٤٢] ومسلم [٧٢/١ رقم ٣١٣] من حديث أبي هريرة.

(٣١) رواه البخاري [٤١٤/٢ رقم ٨٤٤] ومسلم [٣٥٢/٩ رقم ٣٤٠٨] من حديث عبد الله بن عمر.

(٣٢) أخرجه البخاري [١٩٥٨/٥ رقم ٤٨٠٢] من حديث أبي هريرة.

(٣٣) أخرجه الترمذي [٣٩٤/٣ رقم ١٠٨٤] من حديث أبي هريرة ، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير [٢٧/١ رقم ٢٧٠] حسن.

(٣٤) رواه الترمذي [٤٦٦/٣ رقم ١١٦٢] من حديث أبي هريرة وقال : حسن صحيح وقال الألباني في الصحيحة [٥٧٣/١ رقم ٢٨٤] صحيح

(٣٥) رواه الترمذي [٧٠٩/٥ رقم ٣٨٩٥] من حديث عائشة وقال :

- الإنفاق على الأسرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾(٣٦)

الاعتناء بالأولاد رعاية وتربية ، فقال عليه السلام : «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**»(٣٧).

- وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٣٨).

ويأمر الأبناء بطاعة والديهما والبر بهما ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾(٣٩)

وعندما يُسْأَلُ النبي ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله يقول : «**الصلاة على وقتها قيل ثم أي قال : بر الوالدين**.. الحديث»(٤٠).

ويحذر من الكبائر فيقول : «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا : بلى يا رسول الله : قال : الإشراك بالله : قيل ثم أي : قال : عقوق الوالدين** ... الحديث(٤١).

ثم تتسع لتشمل القرية والحي يقول النبي ﷺ : «**أيما أهل عرصة فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله**»(٤٢).

وأخيرًا تكتمل دائرة المسئولية لتشمل الأمة كلها ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٤٣).

ويقول النبي ﷺ : «**المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم**»(٤٤).

ومن جانب آخر نجد أن المسئولية الاجتماعية واسعة النطاق تشمل النواحي المادية والمعنوية ، فهي لا تقتصر على النواحي المادية شأن الأنظمة الوضعية العقيمة ، بل تشمل سائر المناحي الأدبية والروحية من حب وتعاطف وتعاون وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ففي جانب البناء والتعاون ، يقول تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٤٥).

ومسئولية في المحافظة على الأمة وصيانة وحدة الجماعة المسلمة : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(٤٦).

وإن حدث خلافٌ بين أبناء الأمة جاء الأمر بالإصلاح لتسوية ذلك الخلاف ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٤٧).

المبحث الأول : وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي ومظاهره

التكافل في اللغة يرد بمعنى القيام بأمر المكفول ، وبمعنى الحلف والتعاهد ، وبمعنى الضمان(٤٨).

حسن غريب صحيح ، وقال الألباني في الصحيحة [٥٧٥/١ رقم ٢٨٥] : صحيح.

(٣٦) سورة الطلاق آية [٧]

(٣٧) رواه أحمد [١٨٤/٢] والبيهقي [٩٤/٧]من حديث عبد الله بن عمرو وقال الألباني في إرواء الغليل [٢٦٦/١] : صحيح

(٣٨) سورة التحريم آية [٦] .

(٣٩) سورة الإسراء آية [٢٣] .

(٤٠) رواه البخاري [١٩٧/١ رقم ٥٠٤] ومسلم [٦٣/١ رقم ٢٦٤] من حديث عبد الله بن مسعود.

(٤١) رواه البخاري [٩٣٩/٢ رقم ٢٥١١] ومسلم [٦٤/١ رقم ٢٦٩] من حديث أبي بكره

(٤٢) أخرجه أحمد [٣٣٢] وأبو يعلى في المسند [١١٥/١٠ رقم ٥٧٤٦] قال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١١٠٠) : منكر ، وقال حسين أسد : ضعيف.

(٤٣) سورة آل عمران آية [١٠٣] .

(٤٤) رواه أبو داود [٣٤/٣ رقم ٢٧٥٣] وابن ماجة [٨٩٥/٢ رقم ٢٦٨٣] وقال الألباني : صحيح .

(٤٥) سورة المائدة آية [٢]

(٤٦) سورة البقرة آية [١٩٠]

(٤٧) سورة الحجرات [٩]

(٤٨) الفيروز بادي ، محمد بن يعقوب» ١٤٢٦هـ» ، [مادة «كفل ٦٧/٤] ابن

والتكافل الاجتماعي يقصد به في المعنى اللفظي أن يكون أفراد الشعب في كفالة الجماعة ، وأن يكون كل أفراد المجتمع متلاقين على المحافظة على مصالح كل فرد منهم ، ودفع الضر عنه .

والهدف للتكافل الاجتماعي أن يحس كل فرد في المجتمع أن عليه واجبات يتعين عليه أداؤها(٤٩).

وبهذا الإحساس تتكامل المسئولية الاجتماعية في أبهى صورها، وأوسع مجالاتها، ومن هنا آثرت البدء بهذا المبحث مستشعرًا أن ثمة ترابطًا قويًا بين التكافل والمسئولية الاجتماعية ،بل إن القيام بهذه المسئولية يأتي من طرق وصور التكافل الاجتماعي.

وإن أعظم أوجه العظمة في دين الله الإسلام أنه جاء بما يزرع النظرة الكريمة للمجتمع في النفوس ، ويؤكد عمومية هذه النظرة ما رواه القضاعي في مسند الشهاب عن جابر رضي الله عنه ، أن الرسول ﷺ قال : «**خير الناس أنفعهم للناس**»(٥٠) أيًا كان دين أو ملة أو مذهب هؤلاء الناس ، والمنتفع أو مقدم النفع ؛ لأنهم جميعًا عباد الله ، وأحبهم إليه أكثرهم نفعًا للناس بنعمة يسديها أو نقمة يزويها عنهم دينًا أو دنيا ، ومن مقتضي الخيرية للأهل – أي المجتمع ككل – أن صاحب الثروة لا يضن بها على أبناء مجتمعه ، أيًا كان نوع هذه الثروة– مادية أو معنوية– طالما استعمالها يعود بالنفع على الجميع ، فكما أن صاحب المال ينفقه لتيسير أمور الحياة المادية ، فإن صاحب العلم ، يبذله لمن يطلبه بقصد الانتفاع به فيما يصلح شأنه في الدين والدنيا.

المطلب الأول
وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي

تنقسم الوسائل الشرعية في تحقيق المواساة والتكافل المادي في الإسلام إلى قسمين : واجبة ومندوبة .

وفي هذا التقسيم حكمة ؛ لأن الناس صنفان : صنف يندفع إلى الإحسان بدافع من طبعه ؛ لما به من السخاء ومحبة الخير .

وصنف لا يندفع إليه من تلقاء نفسه ، ولكن بدافع الإلزام والجبر وخوف العقوبة ، فلم يجعل الإسلام المواساة كلها اختيارية ؛ لئلا يحرم المحتاجون مواساة فريق كثير من الناس ، ولم يجعلها واجبة فقط ؛ لئلا يحرم المحتاجون وفرة المؤسسات بعد أن يحصلوا على المواساة الواجبة ، ولئلا يحرم المؤمنون فضيلة السخاء بالوقوف عند الواجب .

وأول الوسائل الواجبة الزكاة ، ركن الإسلام الثالث ، وهي صدقةٌ مُقَدَّرةٌ جاءت حقيقتها في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له حينما بعثه إلى اليمن : « ... **فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**»(٥١).

ولأهميتها ذكرت مواردها ومصارفها ، وبالجملة فالزكاة أساس التكافل الاجتماعي ، ومادة المساعدات الاجتماعية التي تقدم للفقراء والمحتاجين ، وليست إحسانًا شخصيًا عند جمهور الفقهاء ، بل اعتبروها حقًا ماليًا يتبع المال كيفما كانت حال مالكه من حيث الأهلية والتصرفات ، كما أنه يؤدى من تركته بعد وفاته على رأي جمهور الفقهاء»(٥٢).

ومنها صدقة الفطر ، وهي صدقة يجب إخراجها يوم عيد الفطر بعد شهر رمضان من غالب قوت البلد ، وهي واجبة على كل مسلم : الرجل والمرأة ، الصغير والكبير ، وهدفها كما قال ﷺ : «**أغنوهم عن الطلب في هذا اليوم**»(٥٣).

ومنها إسعاف المحتاج ، حيث يلتزم من علم أن جاره جائع ، ولا يجد ما يأكل أن ينقذه إذا كان ذلك في استطاعته ؛ لقول رسول الله ﷺ : «**ما آمن بي من بات شبعانَ ، وجاره جائع إلى جنبه ، وهو يعلم**

منظور ، محمد بن مكرم ، ١٩٨١م ، « لسان العرب» [٥٨٨/١١] الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، ١٤٠٤هـ ، « الصحاح [١٨١٠/٥]

(٤٩) الصالح ، محمد «١٤١٣هـ» التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية «[١٦-١٧]

(٥٠) رواه ابن حبان في المجروحين [٧٩/٢] والقضاعي في مسند الشهاب ، [٢٣٠/٢ رقم ١٢٣٤] من حديث جابر ، ورواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج [ص٤٠ رقم ٣٦] وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة [٤٢٥/١ رقم ٤٢٦] وصحيح الجامع الصغير [١٢٤/٣ رقم ٣٢٨٤].

(٥١) رواه البخاري [٥٠٥/٢ رقم ١٣٣١] ومسلم [٣٧/١ رقم١٣٠]

(٥٢) الخياط ، عبد العزيز « ١٤٠١هـ» المجتمع المتكافل في الإسلام ،[٢٢٥] وأحال على كتاب الدورة الثالثة من حلقة الدراسات الاجتماعية من مقال للشيخ عبد الوهاب خلاف ومحمد أبو زهرة ، ص٢٥٦.

(٥٣) رواه البيهقي [١٧٥/٤] والدار قطني في السنن [١٥٢/٢] وقال الألباني في إرواء الغليل [٣٣٢/٣] : ضعيف .

به»(٥٤)

والإسلام يعطي الحق لمن وصل إلى هذه الدرجة أن يأخذ ما يدفع عنه الجوع من الآخرين ، ولو بالقوة ، إن احتاج الأمر لذلك .

أما الوسائل الشرعية المندوبة فأشهرها في الإسلام الصدقة ، وهي مِنْ أول ما أمر به الإسلام في مكة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾(٥٥)، وسورة المدثر من أوائل ما نزل من القرآن .

ثم حث النبي ﷺ عليها الرجال والنساء حين قدم المدينة ، فقال عليه الصلاة والسلام : «**يا معشر النساء تصدقن**»(٥٦).

وفي الصحيح عن أبي مسعود الأنصاري قال : **كان رسول الله ﷺ إذا أمر بالصدقة انطلق أحدُنا إلى السوق ، فيحامل فيصيب المد ، وإن لبعضهم لمائة ألف**... الحديث»(٥٧).

ومن المندوبة الوَقْفُ فقد شرع الإسلام الوقف ، وجعله من أفضل الأعمال في قوله ﷺ : «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علمه ونشره ، وولدًا صالحًا تركه ، ومصحفًا ورثه ، أو مسجدًا بناه ، أو بيتًا لابن السبيل بناه ، أو نهرًا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته من بعد موته**»(٥٨).

ومنها الوصية ، والعارية ، والهدية ، والهبة .

وإذا كان الإسلام قد أعطى عناية كبيرة لوسائل التكافل الفردية ، فإنه لم يكتفِ بها ، بل أقام إلى جانبها الوسائل العامة التي جعلها من مسئولية الدولة وواجباتها الاجتماعية ، وبَيَّنَ النبي ﷺ حقيقةَ هذا التكافل بين الفرد والدولة بقوله : «**ما مِن مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم** : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٥٩).

المطلب الثاني
مظاهر التكافل الاجتماعي

يُبَيِّنُ لنا النبي ﷺ فَضْلَ هذا التكافل بين المسلمين بموقف عملي ينقله لنا الصحابي الجليل جرير بن عبد الله رضي الله عنه حيث قال : «**كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار ، فجاء قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر ، فتَمَعَّرَ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً** ، فأذن وأقام ، فصلى ثم خطب ، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ إلى آخر الآية إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ والآية التي في الحشر : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ **تصدق رجل من دينار ، من درهمه ، من صاع بره ، من صاع تمرة حتى قال : ولو بشق تمرة . قال : فجاء رجل من الأنصار بِصُرَّةٍ كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل حتى كأنه مذهبة ، فقال رسول الله ﷺ : " مَن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"**(٦٠).

إن من دواعي تكافل المجتمع المسلم واستشعار أفراده للمسئولية الاجتماعية وتحملهم لها أن يأخذوا بيد من أصابته مصيبة في نفسه ، وماله حتى لا يبقى عالة يتكفف الناس ، وينشأ حاقدًا على مجتمعه وأمته ، وقد يدفعه ذلك الحقد لارتكاب حماقات وذنوب تؤذي المجتمع وتنخر في استقراره وتفقده أمنه ، وإن تفريج كرب

(٥٤) أخرجه الطبراني في الكبير [٢٥٩/١ رقم ٧٥١] والبزار كما في كشف الأستار [٧٦/١ رقم ١١٩] من حديث أنس بن مالك وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب [٣٥٨/٣] والهيثمي في مجمع الزوائد [١٦٧/٨] والحافظ في القول المسدد [٦١] وقال الألباني في صحيح الجامع [رقم ٥٥٠٥] (صحيح).

(٥٥) سورة المدثر الآيات [٤٢-٤٤]

(٥٦) أخرجه البخاري [١١٦/١ رقم ٢٩٨] من حديث أبي سعيد الخدري ومسلم [٦١/١ رقم ٢٥٠] من حديث عبد الله بن عمر

(٥٧) رواه البخاري [٧٩٤/٢ رقم ٢١٥٣]

(٥٨) رواه ابن ماجة [٨٨/١ رقم ٢٤٢] من حديث أبي هريرة ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [١٨/١] : حسن . ورواه مسلم [٧٣/٥ رقم ٤٣١٠]مختصرا بلفظ«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له».

(٥٩) أخرجه البخاري [٨٤٥/٢ رقم ٢٢٦٩] من حديث أبي هريرة .

(٦٠) رواه مسلم [٨٦/٣ رقم ٢٣٩٨] من حديث جرير بن عبد الله.

المعدمين والمحتاجين من أعظم القربات التي بينها النبي ﷺ في قوله : «**مَن نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نَفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(٦١).

وفي الجانب العملي ينقل لنا أبو سعيد الخدري حادثة وقعت في عهد النبي ﷺ حيث قال : «أُصِيبَ رجلٌ في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها ، فكثر دينه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «**تَصَدَّقُوا عليه**» فتَصَدَّقَ الناسُ عليه ، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه ، فقال النبي ﷺ لغرمائه : «**خذوا ما وجدتم ، وليس لكم إلا ذلك**»(٦٢).

ومن هذا الباب مَن أصابته جائحة أو تَحَمَّلَ غرامة لإصلاح ذات البين ؛ لما ورد في الصحيح من حديث قبيصة بن مخارق الهلالي قال : «**تحملت حمالة ، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال : « أَقِمْ حتى تأتينا الصدقة ، فنأمر لك بها» ثم قال : « يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش- أو قال سدادًا من عيش- ورجل أصابته فَاقَةٌ حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قرابة قومه فيقولون : « لقد أصابت فلانًا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش أو قال سداد من عيش ، فما سواهن من المسألة سحت يأكلها صاحبها سحتًا**»(٦٣).

وإغاثة الملهوف أهم من إغاثة المكروب والمنكوب ، قال عليه السلام : «**على كل مسلم صدقة ، قيل : أرأيت إن لم يجد؟» قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق ، قيل : إن لم يستطع ؟ قال : يعين ذ الحاجة الملهوف**(٦٤).

(٦١) رواه مسلم [٧١/٨ رقم ٧٠٢٨] من حديث أبي هريرة.
(٦٢) رواه مسلم [٢٩/٥ رقم ٤٠٦٤] من حديث أبي سعيد الخدري.
(٦٣) رواه مسلم [٩٧/٣ رقم ٢٤٥١] من حديث قبيصة بن مخارق.
(٦٤) رواه البخاري [٥٢٤/٢ رقم ١٣٧٦] ومسلم [٨٣/٣ رقم ٢٣٨٠] من حديث أبي موسى الأشعري.

وبمجموع الأحاديث السابقة يقرر النبي ﷺ ضرورة تكافل المجتمع في إغاثة المنكوب والمكروب ، ومساعدة المحتاجين ودفع الظلم عن المظلومين ، وتنفيس الهموم عن المهمومين ، مما يدعو إلى قوة الأمة وترابطها وتلاحم مشاعرها وعواطفها ، وتساند أفرادها وجماعاتها.

ومن ذلك كفالة اليتيم ، وهذا الخلق الإيماني يدل على التعاطف والتراحم بين أبناء المجتمع المسلم الذي يستشعر مسئوليته عن كل من واجه صعوبات وعقوبات في حياته : صغيرًا كان ، أو كبيرًا ففي هذا المعنى يحذر المولى -عَزَّوَجَلَّ- من ازدراء اليتيم وإساءة معاملته يقول تعالى :﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾(٦٥).

ويُبَيِّنُ النبي ﷺ في تطبيق حكيم لهذه القاعدة فضل رعاية شئون الأيتام فيقول: «**أيما مسلم ضم يتيمًا بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني وجبت له الجنة**»(٦٦). وقال : «**أنا وكافل اليتيم كهاتين ، وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما**».(٦٧).

ورعاية اليتيم التي حث عليها النبي ﷺ لا تقتصر على النواحي المادية ، بل تشمل النواحي النفسية والتربوية لمن أصابه الذل والانكسار بذهاب والده الذي يلبي جميع احتياجاته.

وإذا اعتاد الإنسان المسلم على الإحسان إلى اليتيم ازدادت رقة قلبه ، وحسنت عاطفته ، فقد شكا رجل إلى النبي ﷺ قساوة قلبه فقال : «**أتحب أن يرق قلبك وتدرك حاجتك؟ قال : نعم . قال : ارحم اليتيم ، وامسح برأسه ، وأطعمه من طعامك ، يَلِنْ قلبك ، وتدرك حاجتك**»(٦٨).

(٦٥) سورة الماعون الآيات [١-٣]
(٦٦) رواه أحمد [٣٤٤/٤] وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند [٤٤١/٣٣] :وهذا إسناد ضعيفلسوء حفظ ابن لهيعة،وقد تابعه الأوزاعي،وهذا يعني أنه صحيح لغيره .
(٦٧) رواه البخاري [٢٠٣٢/٥ رقم ٤٩٩٨] من حديث سهل بن سعد.
(٦٨) أخرجه معمر بن راشد في الجامع [ص١١٠ رقم ٦٣٣] والخرائطي في مكارم الأخلاق(٦٦١)،والطبراني -كما في جامع المسانيد -والسنن لابن كثير (١٢٠٥٠) من حديث أبي الدرداء ،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد برقم(١٣٥٠٩) : في إسناده من لم يسم ، وبقية مدلس ، وذكره الألباني في الصحيحة برقم(٨٥٤)وقال في صحيح الجامع [رقم ٨٠] : صحيح .

فَحَرِيٌّ بالمسلمين في هذا الزمن أن يولوا الأيتام كل رعاية بكل وسيلة شرعية وإبعادهم عن التشرد والضياع كإنشاء دور الأيتام والمدارس وغير ذلك.

ومن ذلك إكرام الضيف الغريب ، وهي من قضايا المسئولية الاجتماعية التي كانت معروفة في الجاهلية يفاخرون بها ، وجاء الإسلام ليتممها ويضع لها ضوابطها ويجعلها حقًا واجبًا حق الضيافة للضيف على مضيفه.

وهذا الخلق مما امتاز به المجتمع المسلم ، ويعمل على تقوية العلاقات بين الناس ، ويقوي أواصر الأخوة والمودة.

وترغيب النبي ﷺ في هذا الخلق كان مخاطبة لعقول الأمة ووجدانها وعاطفتها وفطرتها مستثيرًا ذلك بأسمى صفة تؤثر في الإنسان حيث قال : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه**»(٦٩).

ويؤكد هذا الواجب بقوله فيما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : «**قلنا يا رسول الله : إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقروننا فما ترى؟ فقال لنا رسول الله ﷺ : إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا ، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لكم**»(٧٠).

ويقول عليه السلام في حديث آخر مبينًا أن إكرام الضيف حق على كل مسلم : «**ليلة الضيف حق على كل مسلم فمن أصبح بفنائه فهو عليه دين إن شاء اقتضى وإن شاء ترك**»(٧١).

بل يظهر هذه المسئولية الاجتماعية مبينًا أن جميع أفراد المجتمع مشتركون في إيفاء الضيف هذا الحق فيقول : «**أيما رجل أضاف قومًا فأصبح الضيف محرومًا ، فَإِنَّ نَصْرَهُ حق على كل مسلم حتى يأخذ بقرى ليلة من زرعه وماله**»(٧٢).

قال ابن حزم : الضيافة فرض على البدوي والحضري والفقيه والجاهل ، فيوم وليلة مبرة وإتحاف ، ثم ثلاثة أيام ضيافة ، فإن منع الضيافة الواجبة فله أخذها مغالبة ، وكيف أمكنة ، ويقضى له بذلك(٧٣).

وقد استشهد أبو محمد بن حزم بما روى أن ناسًا من الأنصار سافروا فأرملوا فمروا بحي من العرب ، فسألوهم القرى فأبوا عليهم ، فسألوهم الشراء فأبوا ، فضبطوهم فأصابوا منهم ، فأتت الأعراب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأشفقت الأنصار ، فقال عمر : تمنعون ابن السبيل ما يخلف الله تعالى في ضروع الإبل بالليل والنهار ؟

ابن السبيل أحق بالماء من الثاوي عليه»(٧٤).

وفي الجانب العملي يتولى النبي ﷺ مواساة الضيف وإكرامه بنفسه ، فيرسل إلى بيوت نسائه يسألهم عما يوجد عندهم لإكرام ضيف رسول الله ، فعندما لا يجد شيئًا لا يترك ضيفه ، أو يعتذر له ، بل يبحث عمن يكرمه من أصحابه حتى يجد من يستعد لإكرامه ، ويكرمه ذلك الرجل مقدمًا ضيفه على نفسه وأولاده حتى يعجب الله من صنيعه .

فقد ورد في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : «**جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني مجهودٌ ، فأرسل إلى بعض نسائه ، فقالت : والذي بعثك بالحق نبيًا ما عندي إلا ماء ، ثم إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، فقال : «من يضيفه هذه الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، وانطلق به إلى رحله فقال لامرأته : هل عندك شيء ؟ فقالت : لا إلا قوت صبياننا فقال : فعلليهم بشيء ، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج ، وأَرِيهِ أَنَّا نأكل ، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه قال : فقعدوا فأكل الضيف ، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال : قد عجب الله من صنيعكما**

(٦٩) رواه البخاري [٢٢٧٢/٥ رقم ٥٧٨٤] ومسلم [١٣٧/٥ رقم ٤٦١٠] من حديث أبي شريح الكعبي .

(٧٠) رواه البخاري [٨٦٨/٢ رقم ٢٣٢٩] ومسلم [١٣٨/٥ رقم ٤٦١٣] من حديث عقبة بن عامر.

(٧١) رواه أبو داود [٣٩٨/٣ رقم ٣٧٥٢] من حديث المقدام أبي كريمة ، وقال الألباني في الصحيحة [٢٣٩/٥برقم ٢٢٠٤] : صحيح.

(٧٢)) رواه أبو داود [١٢٩/٤ رقم ٣٧٥١] والطيالسي [١٥٦ رقم ١١٤٦] والحاكم [١٤٧/٤] والدارمي [١٣٤/٢ رقم ٢٠٣٧] وقال الألباني في ضعيف سنن أبي داود [٣٦٩] : ضعيف

(٧٣)-(٧٤) المحلى لابن حزم [١٧١/١٠-١٧٣]

بضيفكما الليلة»[٧٥].

وهكذا فالضيافة في ظل تعاليم الإسلام واجبٌ وحق ، وهي بهذا تُعَدُّ من أسس التكافل في المجتمع الإسلامي يراها الضيف وابن السبيل حقًا له يطلبه ويأخذه إن منع منه ، ويرى فيها المسلمون واجبًا يحيي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤلف بين القلوب ويحقق التعاون والتكافل بينهم .

ومن ذلك تنظيم الإسلام العلاقة بين الخدم والمخدومين ، فأوجب على السيد حسن معاملة خدمه فقال : «**إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[٧٦].

وسأله عبد الله بن عمر : **كم نعفو عن الخادم ؟ فقال : اعف عنه في اليوم سبعين مرة**»[٧٧].

وكلف سلمان الفارسي خادمه بعملٍ ، فجلس يعجن محله حتى لا يجمع عليه عملين في وقت واحد»[٧٨].

وفي المقابل أوجب على الخادم أن يلتزم الأمانة في عمله ، فقال ﷺ : «**أول ثلاثة يدخلون الجنة ، فذكر منهم : عبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده**»[٧٩].

وهكذا نجد الأسرة المسلمة تعامل الخادم كأحد أفرادها ، فإذا بالخادم ينتقل إليه هذا الإحساس فتصدر عنه جميع تصرفاته بشعور ابن الأسرة الحريص عليها ، فأي تعاون وتكافل أقوى وأقبل من هذا الشعور المتبادل المفعم بالأخوة والمحبة[٨٠].

ومن ذلك رعاية الشيوخ وكبار السن ، فهذا الإنسان الذي ألقى عصا التسيار ، بعد أن أخذ السير وعمل في الحياة دءوبًا مجاهدًا مكافحًا يقطع دربها الطويل بصبر وجلد ، حتى بلغ سن الشيخوخة وآن له أن يستريح ، لابد أن يجد في كنف المجتمع رعاية ، وأن يلقي من الناس العناية ، وهذا جزء من مسئولية المجتمع نحو الشيخوخة ، ووجه من أوجه كفالة المجتمع للشيوخ والعاجزين بسبب السن ، وتوفير الراحة لهم ، وتأمين سبل الحياة من أجلهم .

ولقد راعى الإسلام في أحكامه وتعاليمه أن توفر للشيوخ كل أنواع التقدير والاحترام والرعاية والعناية ، والأصل في ذلك قوله تعالى :﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا**﴾[٨١].

وقوله ﷺ : «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويُوَقِّر كبيرنا**»[٨٢]. ففي الآية الكريمة أكد الله سبحانه وتعالى بر الوالدين في حالة الكبر وبلوغ سن الشيخوخة ، مع دعوته إلى الإحسان إليهما في كل حال ، لكنها في حال الكبر آكد وأوجب ، فهي الحال التي يحتاج فيها الوالدان إلى رعاية الأبناء وكفالتهما كما كانت حال الضعف عند الولد مدعاة للرعاية من الوالدين في صغره ، قال ﷺ : «**ما أكرم شابٌ شيخًا إلا قيَّضَ اللهُ له عند سنه مَن يكرمه**»[٨٣]. ومعنى ليس منا ، أي ليس من سنتنا ، أو ليس من جماعة المسلمين من لم يوقر الكبير ، ويعرف حقه ، ويرحم الصغير ويحنو عليه .

وقد جاءت أحكام الإسلام المختلفة فيها الشفقة على المسنين والرحمة بهم ، ففي الصلاة خَفَّفَ الله عمن لا يستطيع القيام من الشيوخ أن يصلي قاعدًا ، والقيامُ ركنٌ من أركان الصلاة لا يصح تركه إلا إذا كان غير قادر عليه فيصلي جالسًا .

---

(٧٥) رواه مسلم [١٢٧/٦ رقم ٥٤٨٠] من حديث أبي هريرة .

(٧٦) رواه البخاري [٢٠/١ رقم ٣٠] ومسلم [٩٣/٥ رقم ٤٤٠٥] من حديث أبي ذر .

(٧٧) رواه أبو داود [٥٠٦/٤ رقم ٥١٦٦] والترمذي [٣٣٦/٤ رقم ١٩٤٩] وقال : حديث غريب وقال الألباني في الصحيحة [٨٨٠/١ رقم ٤٨٨] صحيح

(٧٨) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء [٢٠١/١]

(٧٩) رواه أحمد [٤٢٥/٢] وابن أبي شيبة [٢٦٨/٧ رقم ٣٥٩٦٩] والبيهقي [٨٢/٤] قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ، وقال الألباني في ضعيف الترغيب [١١٨/١] : ضعيف .

(٨٠) الصالح ، محمد» التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية» [٥٦-٥٧].

(٨١) سورة الإسراء آية (٢٤).

(٨٢) رواه الترمذي [٣٢١/٤ رقم ١٩١٩] من حديث أنس وقال : حديث غريب ، وقال الألباني في الصحيحة (٢١٩٦) : صحيح.

(٨٣) رواه الترمذي [٣٧٢/٤ رقم ٢٠٢٢] من حديث أنس بن مالك وقال الترمذي : هذا حديث غريب وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٠١٢) : ضعيف .

وفي الصوم يَسَّرَ الله على الشيوخ ، فأباح لهم الفطر مع إخراج الفدية بقوله تعالى :﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾(٨٤). ومن الذين يطيقونه بمشقة زائدة الشيوخ .

وفي الحج أبيح لمن لا يقدر على الطواف ماشيًا أن يطاف به محمولاً ، وكذلك في السعي بين الصفا والمروة لمن لم يقدر على السعي بينهما ماشيًا ، وفي النفقة أوجبها الإسلام على القرابة القريبة لمن كان لا يستطيع الكسب بسبب كبر السن ، وليس له مال فينفق منه ، وهو من صلة الرحم ، وحق القرابة لقوله تعالى : ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨٥).

وكان الحكام يفرضون للعجزة من الشيوخ مرتبات من بيت المال إذا لم يكن هناك من ينفق عليهم ، وقد فرض عمر بن الخطاب ﷺ للشيخ اليهودي الفاني من بيت المال ما يكفيه حاجته ، وهو لا يستطيع الكسب لشيخوخته ، وفرض للشيوخ من المسلمين مثل ذلك.

وروى أبو عبيد أن الخيار بن أوفى النهدي مر على عثمان ﷺ فقال : « كم معك من عيالك يا شيخ؟»فقال : « إن معي كذا » فقال:« أما أنت يا شيخ فقد فرضنا لك في خمس عشرة – قال زهير : يعني ألفاً وخمسمائة – ، ولعيالك مائة مائة»(٨٦).

وقد جاء في كتاب خالد بن الوليد إلى أهل الحيرة» وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيًا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام(٨٧)، وواضح من كتاب خالد ﷺ أن يفرض لكل شيخ ما يكفيه وعياله من بيت المال ، وهذا من روعة الإسلام في تقرير مسئولية المجتمع نحو هذه الفئة من الناس .

وإن من مظاهر هذا التكافل الاجتماعي في الإسلام ، ويعد أصلاً في تقرير المسئولية الاجتماعية مراعاة حاجات المجتمع أفرادًا وجماعات مادية كانت أو معنوية.

فالفرد المسلم في المجتمع المسلم مسئول عن حفظ النظام وعن كل تصرف يسيء إلى أفراد المجتمع ويعطل مصالحهم ، وأن يكون وجوده فعالاً ومؤثرًا قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٨٨).

وقال ﷺ : «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»(٨٩).

وبيَّنَ ﷺ حال تكافل وتكامل أفراد المجتمع المسلم واستشعار كل فرد مسئوليته الاجتماعية بقوله : «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاونهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»(٩٠).

ومن مظاهر هذه المسئولية الإصلاح بين الناس ، فقد رغب فيه الإسلام وأعلى مكانة المصلحين قال تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٩١).

ويقول النبي ﷺ مبينًا فضل الإصلاح ، فعن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى ، قال : صلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**»(٩٢).

(٨٤) سورة البقرة آية [١٨٤]
(٨٥) سورة الروم آية [٣٨]
(٨٦) رواه أبو عبيد في كتاب الأموال [٢٣٨]
(٨٧) رواه أبو يوسف في كتاب الخراج [١٤٤]

(٨٨) سورة المائدة آية [٢]
(٨٩) رواه البخاري [٢٨٩/٢ رقم ٤٥٩] ومسلم [٤٦٧/١٢ رقم ٤٦٨٤] من حديث أبي موسى الأشعري .
(٩٠) رواه البخاري [٢٢٣٨/٥ رقم ٥٦٦٥] ومسلم [٢٠/٨ رقم ٦٧٥١].
(٩١) سورة النساء آية [١١٤] .
(٩٢) رواه أبو داود [٤٣٢/٤ رقم ٤٩٢١] والترمذي [٦٦٣/٤ رقم ٢٥٠٩] وقال : حسن صحيح ، وأحمد [٤٤٤/٦] والبخاري في الأدب المفرد [١٤٢/١ رقم ٣٩١] من حديث أبي الدرداء ، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد : صحيح

ولبيان منزلة الإصلاح يقول عليه السلام : «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، فيقول خيرًا وينمي خيرًا**»(٩٣).

ولتأصيل هذا المبدأ وترسيخه في نفوس الصحابة يذهب النبي ﷺ بنفسه ليصلح بين الناس عند تنازع أهل قباء فندب أصحابه وقال : «**اذهبوا بنا نصلح بينهم**»(٩٤).

وكان السلف حريصين على هذا الخير مستشعرين لهذه المسئولية وفي هذا يقول الإمام الأوزاعي رحمه الله : «ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين»(٩٥).

ومن ذلك رعاية حقوق الجار ، فقد أكد الإسلام على حق الجار وإن لم يكن مسلمًا قال تعالى:﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾ (٩٦).

ويقول النبي ﷺ :«**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»(٩٧). فحق الجار في الإسلام أن نكف عنه الأذى ، وأن نحسن معاملته ونتحمل أذاه .

ومن ذلك صلة الأرحام ، فقد رغب النبي ﷺ في صلة الرحم وحذر من قطيعتها ، قَالَ تَعَالَى:﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ ﴾(٩٨).

وقال عليه السلام : «**الرحم شجنة فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**»(٩٩).

وبين عليه السلام فضل صلة الرحم في الدنيا والآخرة فقال : «**من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»(١٠٠).

وينسأ : يؤخر والأثر الأجل كذا قال الحافظ في الفتح ، وقال : « قال القرطبي : الرحم التي توصل عامة وخاصة : فالعامة رحم الدين ، وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة ، وأما الرحم الخاصة فتزيد للنفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم»(١٠١).

وحذر النبي ﷺ من عقوبة قطع الرحم في الدنيا والآخرة فقال : «**ما من ذنب أجدر أن تعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»(١٠٢)

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب استشعار هذه المسئولية والقيام بها وعدم إهمالها ، وأن رحم الإنسان كل قراباته بنسب أو سبب فتبدأ من والديه وإخوانه وتنتهي عند كل من تربطه به أدنى رابطة أو سبب .

ومن ذلك الحث والترغيب على حفظ سفينة المجتمع عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن المسئوليات الكبرى التي تقع على المجتمع المسلم الحفاظُ على سفينة الأمة لإيجاد مجتمع فاضل يتجلى فيه الخير والإصلاح تأمر فيه الجماعة بالمعروف وتنهى عن المنكر لحماية المصالح المعتبرة في الشريعة .

ولقد كان المنهج النبوي في تأصيل هذه القضية واستشعارها وعدم التفريط فيها والتشديد على القيام بها واضحًا غاية الوضوح ، فالله تعالى يقول في كتابه الكريم : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ

(٩٣) رواه البخاري [٩٥٨/٢ رقم ٢٥٤٦] ومسلم [٢٨/٨ رقم ٦٧٩٩] من حديث أم كلثوم بنت عقبة .
(٩٤) رواه البخاري [٩٥٨/٢ رقم ٢٥٤٧] من حديث سهل سعد .
(٩٥) القرطبي ، محمد بن أحمد «١٣٨٤هـ» الجامع الأحكام القرآن[٣٨٥/٥] .
(٩٦) سورة النساء آية [٣٦] .
(٩٧) رواه البخاري [٢٢٩/٥ رقم ٥٦٦٨] ومسلم [٣٧/٨ رقم ٦٨٥٤] من حديث عبد الله بن عمر .
(٩٨) سورة محمد الآيتين [٢٢-٢٣]
(٩٩) رواه البخاري [٢٢٣٢/٥ رقم ٥٦٤٣] من حديث عائشة .
(١٠٠) رواه البخاري [٧٢٨/٢ رقم ١٩٦١] ومسلم [٨/٨ رقم ٦٦٨٧] من حديث أنس بن مالك .
(١٠١) فتح الباري [٤١٨/١٠] .
(١٠٢) رواه الترمذي [٦٦٤/٤ رقم ٢٥١١] من حديث أبي بكرة ، وقال : حسن صحيح ، ورواه ابن ماجة [١٤٠٨/٢ رقم ٤٢١١] وقال الألباني : صحيح.

بِاللَّهِ ﴾[١٠٣].

ويبين النبي ﷺ سعة هذه المسئولية من حيث المغيِّر والمغيَّر فيقول : «**مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان**»[١٠٤].

ويحذر من إهمال هذه الفريضة ؛ إذ يؤدي ذلك إلى الهلاك ونزول العذاب ، ويضرب لنا المثل بالأمم السابقة التي فرطت في القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيقول فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله على قلوب بعضهم ببعض ثم قال : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم إلى قوله (فاسقون).. الحديث[١٠٥]

ويضرب عليه السلام مثلاً واضحًا للتفريق بين استشعار مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإهماله فيقول : «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعاً**»[١٠٦].

ويحتسب النبي ﷺ بنفسه عندما يرى منكرًا ، وذلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام ، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال : يا صاحب الطعام ما هذا ؟ قال : أصابته السماءُ يا رسول الله ، قال : «**أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ ثم قال : «من غش فليس منا**»[١٠٧]

وقد استعمل رسول الله ﷺ سعيد بن سعيد بن العاص بعد الفتح على سوق مكة[١٠٨] وكان السائب بن يزيد وعبد الله بن عتبه بن مسعود عاملين لعمر بن الخطاب على سوق المدينة[١٠٩].

المبحث الثاني
فضل التآخي والتحذير من الأسباب الموجبة للفرقة

من الأساليب النبوية التي بناها النبي ﷺ في قلوب أصحابه ورسمها لأمته من بعده ، ولها الأثر القوي في ترابط المسلمين واستشعار المسئولية الاجتماعية تجاه بعضهم بعضًا قضية الأخوة الإسلامية وتوثيق الروابط الاجتماعية بين المسلمين .

وقد تنوعت صور تأسيس هذا المبدأ والترغيب فيه نظريًا وعمليًا :

المطلب الأول : بيانه ﷺ لفضل التآخي بين المسلمين وذكر الأسباب التي تقوي هذه الأخوة :

فقد رغب النبي ﷺ في التآخي بين المسلمين وبين أنه من أفضل القربات فمن ذلك : قوله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر ، كما يكره أن يقذف في النار**»[١١٠] .

وجعل عليه السلام المتحابين في الله من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**». **وذكر منهم** :« **ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»[١١١].

---

(١٠٣) سورة آل عمران آية [١١٠] .

(١٠٤) رواه مسلم [٥٠/١ رقم ١٨٦] من حديث أبي سعيد .

(١٠٥) رواه أبو داود [٢١٣/٤ رقم ٤٣٣٨] والبيهقي في شعب الإيمان [٨٠/٦ رقم ٧٥٤٥] وأبو يعلى [٢٧/٩ رقم ٥٠٩٤] وقال الألباني : ضعيف .

(١٠٦) رواه البخاري [٣٩٩/٨ رقم ٢٣١٣] من حديث النعمان بن بشير.

(١٠٧) رواه مسلم [٦٩/١ رقم ٢٩٥] من حديث أبي هريرة .

(١٠٨) التلمساني ، علي بن محمد ، «١٤٠١» تخريج الدلالات السمعية [٢٩٩]

(١٠٩) التلمساني ، علي بن محمد ، «١٤٠١» تخريج الدلالات السمعية [٢٩٩]

(١١٠) رواه البخاري [١٤/١ رقم ١٦] ومسلم [٤٨/١ رقم ١٧٤] من حديث أنس بن مالك .

(١١١) رواه البخاري [٢٣٤/١ رقم ٦٢٩] ومسلم [٩٣/٣ رقم ٢٤٢٧] من حديث أبي هريرة .

والأحاديث في هذا الباب والآثار كثيرة جدًا .

وقد أشار النبي ﷺ إلى أسباب عدة لها آثار عظيمة في تقوية أواصر الأخوة والمحبة وتقوية العلاقات الاجتماعية بين المسلمين ، فرَغَّبَ فيها وحث عليها ومنها :

التزاور والتواصل :

وفي ذلك يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : «**وجبت محبتي للمتحابين فِيَّ ، والمتجالسين فِيَّ ، والمتزاورين فِيَّ ، والمتباذلين فِيّ**»(١١٢).

طلاقة الوجه وطيب الكلمة :

وورد في ذلك أحاديث كثيرة منها حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»(١١٣).

ومنها حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : «**ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم**»(١١٤).

ومن ذلك العفو والتسامح ودفع السيئة بالحسنة :

فقد رغب النبي ﷺ في العفو والصفح وامتثله عمليًا في تصرفاته ممن أخطأ عليه ممتثلاً قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(١١٥).

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١١٦).

ومن ترغيبه ﷺ في العفو قوله : «**ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**»(١١٧).

وكان عليه السلام قدوة الأمة في العفو والسماحة ، فقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت : «**لم يكن فاحشًا ، ولا متفحشًا ، ولا صخابًا بالأسواق ، ولا يجزئ بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح**»(١١٨).

والمواقف العملية من حياة النبي ﷺ في العفو والصفح كثيرة ، ولعل من أشهرها عفوه العام عن قريش عندما قال لهم : «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١١٩).

وذكر ابن هشام رحمه الله قصة فضاله بن عمير الليثي الذي هَمَّ بِقَتْلِ رسول الله ﷺ، وهو يطوف بالكعبة يوم فتح مكة ، قال : «.....**إن فضالة بن عمير بن الملوح الليثي أراد قَتْلَ النبي ﷺ، وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله ﷺ : أفضالةُ ؟ قال : نعم ، فضالة يا رسول الله ؟ قال : وماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله ، قال : فضحك النبي ﷺ ثم قال : «استغفر الله» ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليَّ منه**»(١٢٠).

وقصة عفوه عن ثمامة بن أثال وغيره كلها تبين أن النبي ﷺ كان يقرن بين القول والفعل فأثر في أعدائه قبل أتباعه .

ومن ذلك إفشاء السلام :

وهو تحية المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾(١٢١). وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم**»(١٢٢).

وهناك وسائل كثيرة رغب فيها الإسلام وحث عليها

(١١٢) رواه مالك في الموطأ [٩٥٣/٢] وأحمد [٢٣٣/٥] والطبراني [٨٠/٢٠ رقم ١٥٠] وابن حبان [٣٣٥/٢ رقم ٥٧٥] قال المنذري [٢٤٨/٣] : رواه مالك بإسناد صحيح .

(١١٣) رواه مسلم [٣٧/٨ رقم ٦٨٥٧] من حديث أبي ذر .

(١١٤) رواه البخاري [١١٠٤/٣] ومسلم [١٥٧/٧ رقم ٦٥١٩].

(١١٥) سورة الشورى آية [٤٠]

(١١٦) سورة آل عمران آية[١٥٩]

(١١٧) رواه مسلم [٢١/٨ رقم ٦٧٥٧] من حديث أبي هريرة .

(١١٨) رواه الترمذي [٣٦٩/٤ رقم ٢٠١٦] من حديث عائشة وقال : حسن صحيح ، وقال الألباني : صحيح .

(١١٩) رواه البيهقي في السنن الكبرى [١١٨/٩ رقم ١٨٠٥٥]

(١٢٠) ابن هشام ، عبد الملك بن هشام» ١٣٧٥هـ» السيرة النبوية [٨٠/٥] وابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر» ١٣٩٥هـ» السيرة النبوية [٥٨٣/٣] ، الصالحي ، محمد بن يوسف» ١٤١٤هـ» ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد [٢٣٥/٥]

(١٢١) سورة النساء آية [٨٦]

(١٢٢) رواه مسلم [٥٣/١ رقم ٢٠٣] من حديث أبي هريرة

مذكورة في كتب السنة غير ما ذكر أوردها ذكرًا منها :-
- الدعوة إلى الطعام وإجابته .
- التواضع وقبول الحق .
- حسن الظن .
- نصرة المظلوم .
- ستر المسلم .
- تعليم الجاهل والرفق به .
- النصح لكل مسلم .
- تشميت العاطس .
- عيادة المريض .
- شكر الناس .
- حفظ حقوق الطريق والمرافق العامة(١٢٣).

وأختم بحديث البراء بن عازب ﷺ قال : **أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ، ونهانا عن سبع ، فذكر : عيادة المريض ، وإتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، ورد السلام ، ونصر المظلوم ، وإجابة الداعي ، وإبرار المقسم**»(١٢٤).

المطلب الثاني : مؤاخاته ﷺ بين المهاجرين والأنصار عندما قدم المدينة :

من أسس البناء الحقيقي للمجتمع الإسلامي الذي تم في المدينة بعد وصول النبي ﷺ إليها مهاجرًا المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، فقد ذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين قالوا : لما قدم النبي ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين ، وآخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة وكانوا يتوارثون فلما نزل : ﴿**وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ**﴾ بطلت المواريث بينهم بتلك المؤاخاة(١٢٥).

قال السهيلي : آخى بين أصحابه ؛ ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويتآنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد بعضهم أزر بعض(١٢٦).

وكان من مستلزمات هذه الأخوة المواساة في جميع مرافق الحياة ، وقد أثمرت هذه الأخوة واستشعر الجميع تلك المسئولية ، يدل على ذلك ما رواه الخرائطي عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً من كثير ، لقد كفونا المؤونة ، وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال : «**لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم**»(١٢٧).

وبلغ من ارتفاع هذا المستوى النادر من التآخي واستشعار المسئولية أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله ، فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلني على السوق»(١٢٨).

وموقف آخر أن الأنصار حرصوا على نقل ملكية ما يملكون من النخيل لإخوانهم المهاجرين ، غير أن رسول الله ﷺ لم يسمح لهم بذلك ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : **قالت الأنصار : أقسم بيننا وبينهم النخل . قال : لا ، يكفونا المؤونة ويشركونا في الثمر ، قالوا : سمعنا وأطعنا**»(١٢٩).

ولما عرض النبي ﷺ على الأنصار أن يقطعهم البحرين رفضوا إلا أن يشرك معهم إخوانهم من المهاجرين ، فقد أخرج أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : **دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين ، فقالوا : لا ، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها ، قال : أما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم بعدي أثرة**»(١٣٠).

وهذا الترابط والتكافل لم يكن حكرًا على الأنصار ، بل أصبح خلقًا لكل أبناء المجتمع في عهد النبي ﷺ يذكره

(١٢٣) انظر : الأهدل ، عبد الله القادري ١٤٠٩هـ» أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي [٢٠٩-٢٨٥] ، ياسين ، حكمت بشير ، ١٤٢٦هـ ، عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان[١٧٨-٢٠٤].

(١٢٤) رواه البخاري [٢٣٠٢/٥ رقم ٥٨٨١] من حديث البراء بن عازب

(١٢٥) الواقدي ، محمد بن عمر. ١٩٨٩م.» المغازي[٧٣٩/٢] ، الغضبان ، منير « ١٤٢٦هـ ، المنهج التربوي للسيرة النبوية- التربية القيادية [٢٧٨/٢-٢٧٩]

(١٢٦) السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله ، «١٣٩٨هـ» الروض الأنف [٢٥٢/٢]

(١٢٧) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق رقم(٥٣٨)ورواه أبو يعلى في مسنده [٤١٠/٦ رقم ٣٧٧٣] وأحمد في مسنده [٢٠٠/٣] وابن أبي شيبة [٦٨/٩]من حديث أنس ، وقال حسين أسد عن إسناد أبي يعلى : ضعيف، وقال شعيب الأرنؤوط عن إسناد أحمد : صحيح على شرط الشيخين .

(١٢٨) رواه البخاري [١٤٣٢/٣ رقم ٣٧٢٢]

(١٢٩) رواه البخاري [٩٦٩/٢ رقم ٥٢٧٠] من حديث أبي هريرة

(١٣٠) رواه البخاري [٨٣٧/٢ رقم ٢٢٤٧]

ويشيد به ، ومن ذلك ما كان يصنعه الأشعريون ، حيث قال النبي ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : «**إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو ، وقل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم**»(١٣١).

وأخيرًا أختم بما قاله الشيخ محمود شلتوت رحمه الله حيث قال : « ومن لوازم الأخوة ، بل هو من أبرز لوازمها ، وهو شعور الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ، ومحمول على أخيه ، يسأل عن نفسه ، ويسأل عن غيره»(١٣٢).

المطلب الثالث : تحذيره صلى الله عليه وسلم من الأسباب والخصال التي تخل بالأخوة الإسلامية والحقوق الاجتماعية وتقدح فيها :

في الوقت الذي حرص فيه النبي ﷺ على توثيق أواصر الأخوة والتواصل والتعاون بين أبناء المجتمع المسلم شدَّد وحذر من الخصال التي تؤدي إلى القطيعة ، وتفكك أواصر المجتمع ، وتفتت كيانه ، وتجعله متشرذمًا متطاحنًا هزيلاً لا ترابط بينه ، ومن ذلك : -

نهيه ﷺ عن التباغض والتحاسد والتجسس وسوء الظن :

وذلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا**»(١٣٣).

ومن ذلك اجتناب الظلم :

الظلم أول ما يناقض الأخوة الإسلامية ، ويفقد الترابط بين المسلمين ؛ ولذلك حذر منه النبي ﷺ فقال : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**.... الحديث»(١٣٤).

وجاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ قال : «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**»(١٣٥).

والنهي عن الظلم لحماية جميع حقوق الإنسان ؛ لأن الظلم يُحَوِّلُ الحياة إلى شريعة الغاب التي تدهور كل الحقوق الاجتماعية .

قال الجرجاني : الظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، وفي الشريعة : عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور(١٣٦).

ومن ذلك النهي عن الاحتقار والسخرية والأمر باجتنابهما : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١٣٧)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(١٣٨)

فالأتقى هو الأكرم عند الله ، والاحتقار والسخرية بسبب لون أو خلقة أو دمامة أو بلد أو نسب أو غير ذلك مما يخالف هذا الأدب الرباني ، ويفرق شمل المسلمين ، ويزرع الأحقاد والحسد والكراهية والتباغض بين أبناء المجتمع المسلم ، فتتأصل القطيعة ، وينعدم الشعور بالمسئولية الاجتماعية بين أبناء المسلمين(١٣٩).

والسخرية من أعمال الجاهلية ؛ ولذا لما عَيَّرَ أبو ذر أحدَ الصحابة بأمه قال له النبي ﷺ : **إنك امرؤ فيك جاهلية**(١٤٠).

---

(١٣١) رواه البخاري [٨٨٠/٢ رقم ٢٣٥٤] ومسلم [١٧١/٧ رقم ٦٥٦٤] من حديث أبي موسى .

(١٣٢) شلتوت ، محمود» ١٩٦٦م» ، الإسلام عقيدة وشريعة [ص ٤٤٣]

(١٣٣) رواه البخاري [٢٢٥٣/٥ رقم ٥٧١٧] ومسلم [١٠/٨ رقم ٦٧٠١] من حديث أبي هريرة .

(١٣٤) رواه البخاري [٨٦٢/٢ رقم ٢٣١٠] ومسلم [١٨/٨ رقم ٦٧٤٣] من حديث ابن عمر .

(١٣٥) رواه مسلم [١٦/٨ رقم ٦٧٣٧] من حديث أبي ذر .

(١٣٦) الجرجاني ، علي بن محمد» ١٤٠٥هـ» التعريفات [ص٤٤]

(١٣٧) سورة الحجرات آية [١٣]

(١٣٨) سورة الحجرات [١١]

(١٣٩) انظر : الأهدل ، عبد الله القادري» ١٤٠٩هـ» أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي [٢٩٢-٢٩٣].

(١٤٠) رواه البخاري [٢٢٤٨/٥ رقم ٥٧٠٣] ومسلم [٩٢/٥ رقم ٤٤٠٣] من حديث المعرور بن سويد عن أبي ذر

ومن ذلك اجتناب الهجر والتقاطع :

أخرج مسلم بسنده عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»(١٤١).

وفي هذا الحديث النهي عن آفات تنخر في بنية المجتمع ، ومنها الهجران بين المسلمين أكثر من ثلاثة أيام ، وقد جاء التحريم صريحًا فيما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»(١٤٢).

وإنما كان الهجر منافيًا لمقتضى الأخوة الإسلامية ؛ لما فيه من الصدود والأضغان ، ولما يحدث في نفوس المتهاجرين من النفرة والظنون السيئة التي يوسوس بها الشيطان لكل منهما في الآخر بأن يبغضه ويغتابه ويدبر له المكائد ، فيفقد كل واحد منهما الثقة في أخيه ، ولا يأمن كل منهما الآخر.

وفي الحديث السابق بيان لخطورة الهجران الذي يبدد حقوق الإنسان ويحولها إلى العدوان(١٤٣).

وهناك خصال أخرى حذرنا من الوقوع فيها نبينا ﷺ ؛ لما لها من أثر بالغ في تقويض أواصر الأخوة الإسلامية والترابط الاجتماعي ومن ذلك : -

- الابتعاد عن كل ما يثير الشك والخوف في نفس المسلم ، كحمل السلاح ، والنهي عن التساهل فيه ، وكالنهي عن النجوى وغيرها .
- اجتناب الغيبة والنميمة .
- النهي عن الكبر والتعالي على عباد الله واحتقارهم .
- ترك المنافسة للمسلم فيما بدأ فيه من المعاملات الشرعية المباحة ، كالنهي عن الخِطْبة على خِطْبة المسلم ، والبيع على بيعه ، والنجش ، ونهي المرأة أن تطلب طلاق ضرتها ، وغير ذلك(١٤٤).

المبحث الثالث
اختيار القدرات الشابة المؤهلة وإسناد المسئوليات الاجتماعية إليهم

من الأساليب النبوية في التربية والتدريب على تحمل المسئولية الاجتماعية أن النبي ﷺ كان يختار الرجل المناسب من أصحابه للمسئولية المناسبة ويكلفه بها ، هذا وإن كانت الأساليب النبوية تشمل جميع طبقات الأمة لكنها بالشباب أخص وبحيويتهم ألصق ؛ إذ هم الذين يملكون النشاط والقوة والحيوية ، والناظر في الواقع العملي للسيرة النبوية يجد أن غالب الذين أسندت إليهم المسئوليات من جيل الصحابة رضي الله عنهم من الشباب ، ومن ذلك : -

المطلب الأول : إرساله الدعاة للتعليم والتوجيه ونشر الإسلام ، ومن ذلك :

أ-إرساله مصعب بن عمير لتعليم أهل المدينة ومبايعتهم : فقد روى محمد بن عمر عن شيوخه قال : « لما انصرف أهل العقبة الاثنا عشر ، وفشا الإسلام في دور الأنصار أرسلت الأنصار رجلاً إلى رسول الله ﷺ ، وكتبت إليه كتابًا : **ابعث لنا رجلاً يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير ، فقدم فنزل على أسعد بن زرارة ، وكان يأتي الأنصار في دورهم وقبائلهم فيدعوهم إلى الإسلام ، ويقرأ عليهم القرآن ، فيسلم الرجل والرجلان حتى ظهر الإسلام ، وفشا في دور الأنصار كلها والعوالي ، وكان مصعب يقرئهم القرآن ويعلمهم**»(١٤٥).

لقد استشعر مصعب ﷺ المسئولية الاجتماعية ، فبدأ بالتعليم والمرور على الأنصار في دورهم وقبائلهم ، وواجه في ذلك عقبات ومصاعب ، ولكنه ﷺ حمد وصبر حتى انتشر الإسلام في المدينة وفشا .

ب-إرسال علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل

(١٤١) أخرجه البخاري [٥/٢٢٥٣ رقم ٥٧١٨] ومسلم [٨/٨ رقم ٦٦٩٠]

(١٤٢) رواه البخاري [٥/٢٢٥٦ رقم ٥٧٢٧] ومسلم [٨/٩ رقم ٦٦٩٧] من حديث أبي أيوب الأنصاري .

(١٤٣) انظر : ياسين ، حكمت بشير»١٤٢٦هـ» عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان [ص٢٠٨]

(١٤٤) انظر : ياسين ، حكمت بشير ، «١٤٢٦هـ» عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان [٢٠٥-٢١٥] ، الأهدل ، عبد الله القادري ، ١٤٠٩هـ ، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي [٢٨٩-٣١٠]

(١٤٥) انظر : الصالحي ، محمد بن يوسف» ١٤١٤هـ» سبل الهدى والرشاد [١٩٧/٣] ، الغضبان ، منير» ١٤٢٦هـ» المنهج التربوي للسيرة النبوية –التربية القيادية [٧٠/٢-٧٢]

وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم إلى اليمن للدعوة والتعليم : فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب ﷺ قال : «**بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد إلى اليمن . قال : ثم بعث عليًا بعد ذلك مكانه فقال : « مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فيقبل ، فكنت فيمن عقب معه قال : فغنمت أواقي ذوات عدد**»(١٤٦).

وروى الخبر البيهقي في السنن والدلائل مطولاً قال البراء : **فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا ، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب مكان خالد وأمره أن يقفل خالدًا ، وقال : مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل . قال البراء : فكنت فيمن عقب مع علي ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلى بنا علي ، ثم صفنا صفًا واحدًا ، ثم تقدم بين أيدينا ، وقرا عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، فأسلمت همدان جميعًا ، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم ، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خَرَّ ساجدًا ، ثم رفع رأسه ، وقال : «السلام على همدان» مرتين** . رواه البخاري مختصرًا(١٤٧).

وأما بعثه لمعاذ ﷺ فقد رواه ابن عباس ﷺ . قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل : «**إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعوهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

وثبت من حديث أبي بردة بن أبي موسى قال : «**بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن ، قال : وبعث كل واحد منهما على مخلاف ، ثم قال : يَسِّرَا ولا تُعَسِّرَا ، وبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا**..... الحديث»(١٤٨).

(١٤٦) رواه البخاري [١٥٨٠/٤ رقم ٤٠٩٢] من حديث البراء بن عازب.

(١٤٧) أخرجه البيهقي في سننه [٣٦٩/٢]وفي دلائل النبوة (٣٩٦/٥)

(١٤٨) أخرج حديث ابن عباس البخاري [٥٤٤/٢ رقم ١٤٢٥] ومسلم [٣٤/١ رقم ١٣]وأخرج حديث أبي بردة البخاري [١٥٧٨/٤ رقم ٤٠٨٦] ومسلم [١٤١/٥ رقم ٤٦٢٣].

ومعاذ خَلَّفَهُ النبي ﷺ مع عتاب بن أسيد يُفَقِّهُ أهل مكة الدين ، ويعلمهم القرآن .

جـ- بعث عمرو بن العاص إلى عمان وذلك لمقابلة ملكيها جيفر وعبد ابني الجلندي ودعوتهما إلى الإسلام : وذهب عمرو ﷺ ، وحاورهما طويلاً ، وجلس معهما جلسات عدة إلى أن دخلا في الإسلام عن قناعة تامة لا غبار عليها ، وقَدَّمَا له الصدقات طوعًا(١٤٩).

كما بعث غيرهم من الصحابة كالعلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، وقيس بن سعد الصدائي إلى اليمن وغيرهم .

وقد فطن الصحابة رضي الله عنهم هذه المسئولية فبدؤوا يعملون من أنفسهم ، فقد ذكر ابن الجوزي في كتاب «مسلك الصحيحين» أن عبادة بن الصامت كان يعلم أهل الصُّفَّة القرآن(١٥٠).

المطلب الثاني : تكليف عدد من الصحابة بجمع الزكاة من القبائل المسلمة :

مر بنا حديثا ابن عباس وأبي بردة عندما بعث النبي ﷺ معاذا ﷺ إلى اليمن فكان مما أوصاه به : «.. ف**أخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تُؤْخَذُ من أغنيائهم ، وتُرَدُّ على فقرائهم**»(١٥١).

وقد كلف النبي ﷺ عددًا من الصحابة بجمع الصدقات . قال محمد بن عمر : حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري وعبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمرو قالا : **لما رجع رسول الله ﷺ من الجعرانة ، قدم المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة ، فأقام بقية ذي القعدة وذي الحجة ، فلما رأى هلال المحرم بعث المصدّقين ، فبعث بريدة بن الحصيب إلى أسلم وغفار بصدقتهم ، ويقال : كعب بن مالك ، وبعث عباد بن بشر الأشهلي إلى**

(١٤٩) انظر : الغضبان ، منير» ١٤٢٦هـ» المنهج التربوي للسيرة النبوية – التربية الجماعية [٢٧٤/٢-٢٨٣].

(١٥٠) التلمساني ، علي بن محمد «١٤٠١هـ» تخريج الدلالات السمعية [ص٦٥]

(١٥١) أخرج حديث ابن عباس البخاري [٥٤٤/٢ رقم ١٤٢٥] ومسلم [٣٤/١ رقم ١٣]وأخرج حديث أبي بردة البخاري [١٥٧٨/٤ رقم ٤٠٨٦] ومسلم [١٤١/٥ رقم ٤٦٢٣].

سليم ومزينة ، وبعث رافع بن مكيث إلى جهينة ، وبعث عمرو بن العاص إلى فزارة ، وبعث الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب ، وبعث بسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب ، وبعث ابن اللتيبة الأزدي إلى بني ذبيان ، وبعث رجلاً من بني سعد بن هذيم على صدقاتهم»(١٥٢).

وكان عليه السلام يوصي هؤلاء العاملين على الصدقات بتوجيهات تبقى نبراسًا للتعامل مع المجتمع ، ومن ذلك قوله عليه السلام : «**أما بعد ، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله ، فيأتي فيقول : هذا مالكم ، وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا ؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا منها بغير حقه ، إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة فلأعرفن أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر» ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه ثم قال : « اللهم ، هل بلغت ؟ « بصر عيني وسمع أذني .**

وفي الرواية الثانية : ثم قال : «اللهم هل بلغت؟» مرتين(١٥٣).

ومن الوصايا التي نقلتها لنا كتب السيرة وصيته لعباد بن بشر رضي الله عنه :

«**يا عباد سِرْ إليهم فخذ صدقات أموالهم ، وتَوَقَّ كرائم أموالهم**»(١٥٤). وسبق في وصيته لمعاذ رضي الله عنه أنه قال له : «**واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(١٥٥).

وفي تلك الوصايا يظهر لنا أن المسئولية الاجتماعية لها ضوابط وقيم ينبغي أن يراعيها المسلم حتى لا يبغض الناس في التكافل ، ويفهم منه الآخرون أنه لتحقيق مصالح شخصية ، فيعزفون عن التكافل والترابط .

المطلب الثالث : اختيار الأكفاء للإمرة والقيادة:

فقد اختار النبي ﷺ لإمرة مكة التي حوت الملأ من قريش ، والتي كان فيها مالا يقل عن مائة زعيم وقائد اختار لها عتّاب بن أسيد ابن العشرين عامًا ؛ لما تميز به من قدرات(١٥٦).

كما اختار أسامة بن زيد رضي الله عنه ، وهو شاب ليكون قائدًا على جيش فيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهم جميعًا(١٥٧).

ومن المسئوليات الاجتماعية التي تدرب عليها أصحاب النبي ﷺ وتربوا عليها وتحملوها غير ما سبق:

– عبد الله بن سعيد بن العاص ، كان يُعَلِّمُ الرجال الكتابة بالمدينة(١٥٨).

– وكانت الشفاء أم سليم بن أبي حثمة تُعَلِّمُ النساء ، وقد عَلَّمَتْ حفصة أم المؤمنين وغيرها(١٥٩).

– كان عدد من الصحابة يفتون في عهد النبي ﷺ ، ذكر ابن الجوزي في المدهش جملة منهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى وغيرهم(١٦٠).

– امرأة سوداء أو شاب كان يَقُمُّ المسجدَ في عهد النبي ﷺ ، فلما توفيت أو توفي صلى النبي ﷺ على قبرها(١٦١).

– كان عدد من الصحابة يحرسون النبي ﷺ منهم سعد بن أبي وقاص ، وسعد بن معاذ ، وأبو أيوب الأنصاري ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم(١٦٢).

وهناك مجالات وجوانب غير ما ذكر استوفاه بتحقيق وجمع مستوف الإمام أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالخزاعي التلمساني في كتابه القيم «تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف

(١٥٢) الواقدي ، محمد بن عمر ، «١٩٨٩م» المغازي [٩٧٣/٣]

(١٥٣) رواه البخاري [٢٥٥٩/٦ رقم ٦٥٧٨] ومسلم [١١/٦ رقم ٤٨٤٥] من حديث أبي حميد الساعدي .

(١٥٤) الواقدي ، محمد بن عمر ، «١٩٨٩م» المغازي [٩١٨/٣]

(١٥٥) سبق تخريجه برقم(١٥١) .

(١٥٦) انظر :التلمساني ، علي بن محمد ، «١٤٠١هـ» تخريج الدلالات السمعية [٢٦٠-٢٦١] الغضبان ، منير» ١٤٢٦هـ» المنهج التربوي للسيرة النبوية – التربية الجماعية [٥١٨/٢]

(١٥٧) صحيح البخاري [١٣٦٥/٣ رقم ٣٥٢٤]

(١٥٨) التلمساني ، علي بن محمد « ١٤٠١هـ» تخريج الدلالات السميعة [٧٠] ، وابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله» ١٤١٢هـ» الاستيعاب في معرفة الأصحاب[٣٩٤/١]

(١٥٩) سنن أبي داود [١٣/٤ رقم ٣٨٨٩] تخريج الدلالات السمعية [٧١]

(١٦٠) ابن الجوزي ، عبد الرحمن» ١٩٨٥م» المدهش [ص٥١]

(١٦١) رواه البخاري [١٧٦/١ رقم ٤٤٨] ومسلم [٥٦/٣ رقم ٢٢٥٩]

(١٦٢) التلمساني ، علي بن محمد» ١٤٠١هـ» تخريج الدلالات السمعية [٤٥٢-٤٦٣]

والصنائع والعمالات الشرعية(١٦٣).

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الشيقة في ثنايا هذا الموضوع الاجتماعي التربوي الشيق الذي يهم الأمة أفرادًا وجماعات ، آن للقلم أن يستريح ليسطر الثمرات والنتائج التي خرج بها من خلال جولته في هذا الموضوع ، ومنها : -

- أن المسئولية الاجتماعية في الإسلام منظومة منهجية متكاملة تبدأ من الفرد المسلم نفسه ، وتتسع لتشمل المجتمع ، فالأمة كلها .

- أن الإسلام قد سبق الأنظمة المعاصرة التي تدعي الترابط والتكافل بما جاء به من وسائل ومظاهر للترابط والتكافل بين المسلمين بعضهم بعضًا ، بل مع غير المسلمين من الذين لهم عند المسلمين ذمة وعهد وميثاق.

- أن الإسلام جاء بوسائل شاملة للتكافل واستشعار مسئولية المسلم تجاه الآخر بشمولية وتكامل لا تدع مجالاً لمسلم أن يعتذر عن تقديم الخير للغير أو أن يكون نافعًا إيجابيًا في مجتمعه وأمته .

- أن مظاهر التكافل بين المسلمين كثيرة ومتنوعة : مادية ومعنوية ، ومظاهر للأسرة ، وأخرى للمجتمع ، وكلها ضمن منظومة تقديم النفع للآخرين واستشعار المسئولية الاجتماعية التي رغب فيها النبي ﷺ وحث عليها .

- من الأساليب النبوية التي رغب فيها النبي ﷺ لتوثيق أواصر المسئولية الاجتماعية بين المسلمين الأخوة الإسلامية بمفهومها الواسع الشامل.

- أن ثمة أسبابًا وخصالاً حث عليها النبي ﷺ لها الدور الأكبر في توثيق أواصر الأخوة بين المسلمين .

- من أظهر الأساليب النبوية العملية لتعميق أواصر المسئولية الاجتماعية بين أبناء الجسد الواحد مؤاخاته ﷺ بين المهاجرين والأنصار في المدينة .

- حذر الإسلام من خصال وأسباب تنخرُ في جسد الأمة ، وتفرق جمعها وكلمتها ، وتزرع الحسد والحقد بين أبناء الجسد الواحد ، وتفقدهم أخوتهم وترابطهم .

- أن النبي ﷺ كان يختار من أصحابه ذوي القدرات والإمكانات ، ويسند لهم المسئوليات التي تليق بكل منهم ، وتجعله عضوًا فاعلاً في مجتمعه .

وختامًا لقد بذلت جهدي ، ولم آل في تحبير هذا البحث وإظهاره بالصورة المرضية ، فإن أحسنت فمن الله ، وإن أسأت فمن نفسي والشيطان ، والله ورسوله منه بريئان .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المراجع

١. أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي للدكتور عبدالله القادري الأهدل، نشر دار المجتمع، جده الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢. الأدب المفرد، للإمام البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
٣. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
٤. الإسلام عقيدة وشريعة، للشيخ. محمود شلتوت، دار القلم، ١٩٦٦م.
٥. الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: خليل هراس، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
٦. تخريج الدلالات السمعية للعلامة أبي الحسن علي بن محمد الخزاعي التلمساني، تحقيق: أحمد سلامة، مطبوعات وزارة الأوقاف المصرية، طبع القاهرة، ١٤٠١هـ.
٧. الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٨. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الأولى،

(١٦٣) للعلامة أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالخزاعي التلمساني المتوفى سنة ٧٨٩هـ ، تحقيق الأستاذ الشيخ أحمد محمد أبو سلامة من علماء الأزهر طبع بالقاهرة سنة ١٤٠١هـ من مطبوعات وزارة الأوقاف المصرية- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي .

١٤٠٥هـ.
٩. التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية، د. محمد الصالح ، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
١٠. التوبيخ والتنبيه، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: أبي الأشبال حسن المندورة، نشر مكتبة التوعية الإسلامية، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.
١١. الجامع لمعمر بن راشد، تحقيق: حبيب الأعظمي، المكتب الإسلامي ، بيروت، الطبعة الثانية،
١٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ،نشر دار الكتاب العربي بيروت ،الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥
١٣. دستور الأخلاق في القرآن الكريم دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.
١٤. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لأبي القاسم السهيلي دار المعرفة، بيروت، ط١٣٩٨هـ
١٥. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
١٧. السلسلة الصحيحة للألباني لطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ،المكتب الإسلامي.
١٨. سنن الترمذي المسمى بالجامع الصحيح، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون
١٩. سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر : دار الفكر بيروت
٢٠. سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، نشر دار الفكر ،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد
٢١. سنن البيهقي الكبرى ،لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ،نشر مكتبة دار الباز مكة المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤،تحقيق : محمد عبد القادر عطا
٢٢. سنن الدارقطني لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني الناشر : دار المعرفة بيروت ، ١٣٨٦ ١٩٦٦
٢٣. سنن الدارمي لعبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي،نشر دار الكتاب العربي بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٧،تحقيق فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي
٢٤. السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف، نشر دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.
٢٥. السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة بيروت ، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.
٢٦. شرح مشكل الآثار، للطحاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ.
٢٧. شعب الإيمان ،لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ،نشر دار الكتب العلمية– بيروت ،الطبعة الأولى،١٤١٠هـ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول
٢٨. الصحاح لإسماعيل بن حماد الأنصاري،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين،بيروت،الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.
٢٩. صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،نشر دار ابن كثير ، بيروت ،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ ١٩٨٧تحقيق : د. مصطفى ديب البغا
٣٠. صحيح الجامع الصغير، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
٣١. صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت
٣٢. ضعيف سنن أبي داود، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٣٣. علم الأخلاق النظرية والتطبيق، محمد الخاقاني، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م.
٣٤. عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان للدكتور

حكمت بشير ياسين، نشر جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
٣٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي، نشر المكتبة التجارية الكبرى — مصر،الطبعة الأولى ، ١٣٥٦
٣٦. القاموس المحيط، للفيروزأبادي ، دار الجيل، بيروت.
٣٧. قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٣٨. القول المسدد في الذب عن المسند—لابن حجر العسقلاني، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
٣٩. كتاب الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، المطبعة السلفية، الطبعة الرابعة، ١٣٩٢هـ.
٤٠. كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة لنور الدين الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
٤١. لسان العرب، لابن منظور، القاهرة ن دار المعارف، ١٩٨١م.
٤٢. المجتمع المتكافل في الإسلام ، د. عبد العزيز خياط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ
٤٣. المجروحين ، لابي حاتم البستي، تحقيق محمود إبراهيم زائد، دار المعرفة ،
٤٤. مجمع الزوائد، لنور الدين الهيثمي، دار الفكر بيروت، ١٤١٢هـ.
٤٥. المحلى لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، مكتبة الجمهورية، مصر، ١٣٨٨هـ.
٤٦. المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، ١٩٩٤م.
٤٧. المدهش في المواعظ، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
٤٨. المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ.
٤٩. مسند ابن أبي شيبة، تحيق: عادل يوسف وأحمد فريد ، دار الوطن ، الرياض.
٥٠. مسند أحمد بن حنبل أبو عبدا لله الشيباني، نشر مؤسسة قرطبة — القاهرة
٥١. مسند الشهاب ،لمحمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي،الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ،الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.
٥٢. مسند الطيالسبي، لأبي داود الطيالسي، دار المعرفة ، بيروت.
٥٣. مسند أبو يعلى لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق : حسين سليم أسد،دار المأمون للتراث،الطبعة الأولى١٤٠٨هـ
٥٤. المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، احمد سيد عثمان، القاهرة.
٥٥. المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المكتب الإسلامي— بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣
٥٦. المعجم الأوسط، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن الحسيني، دار الحرمين.
٥٧. المعجم الكبير ،لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ،الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ ١٩٨٣تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي
٥٨. مغازي الواقدي، تحقيق: الدكتور. مارسدن جوس، عالم الكتب، بيروت.
٥٩. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، القاهرة، ١٩٦١م.
٦٠. المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف اليسوعي، بيروت، ١٩٨٨م.
٦١. المنهج التربوي للسيرة النبوية التربية الجماعية، د. منير الغضبان، دار الوفاء، الطبعة الرابعة،١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
٦٢. المنهج التربوي للسيرة النبوية،التربية القيادية، د. منير

الغضبان، دار الوفاء، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ.
٦٣. الموطأ للإمام مالك، رواية يحيى الليثي، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، مصر.
٦٤. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، إعداد: مجموعة من المختصين بإشراف أ.د. صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٥هـ.
٦٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير الجزري،تحقيق محمود محمد الطناحي،المكتبة الإسلامية،دار إحياء التراث العربي ،بيروت لبنان.

Methods of the Prophet (PBUH) in the development of social responsibility

A.A.Madkhli
Islamic Culture - Faculty of Education - Jazan University

Abstract

1 - Explain the importance of social responsibility in Islam.
2 –Collect the most important methods of the Prophet (PBUH) to take the social responsibility in education.
3 - Encourage today's Muslim youth to take the social responsibility (towards their communities) , and to be active in their communities.
The researcher began his research with an introduction stating the objectives and the plan which he followed in his research. After that, the prologue where a definition of responsibility (linguistically and idiomatically), types of responsibility, what are the main responsibilities of each individual towards his/her society and the justifications of these responsibilities were stated. Finally, the prologue was concluded by stating the scope and the areas of social responsibility and indicating that social responsibility starts from the individual himself /herself and it is extended to include the whole nation.
The first chapter talks about the Prophet's (PBUH) encouraging of solidarity and sympathy (between people) and to achieve public benefit for all people. In addition, it mentions the most legitimate means that achieve solidarity in Islam. Furthermore, it talks about the most important aspects of material and moral solidarity such as and importantly: relief of afflicted people , help the needy and orphans, being generous, take care of the elderly, reform among people, and care for the rights of the neighbour and relatives, and so on.
Then the talk continues in the second chapter about strengthening the relationship of Islamic brotherhood among Muslims in theory and in practice by stating the importance of brotherhood , what are the means which strengthens this brotherhood and the reference to the greatest in the history fraternity which has been done between immigrants and supporters (of the Prophet Mohammad peace be upon him). Finally, the chapter is concluded by mentioning his warnings peace be upon him of the reasons which disturb and the dissolution of ties the Islamic brotherhood.

Keywords: Social responsibility - Important methods – Encourage today's – Muslim – PBUH – Prophet Mohammad.

E-mail: allosh60@gmail.com
ISSN: 6050-1658

Contents

Page

Rhetorical analystic Study for Descriptive Hadith Applied in the Tow Books of Hadith for El-Bukhari and Muslim

M.A.Al-Hmzawi 5

The previous nations and their attitude regarding call of the prophets and messengers.

Al-M.M.Abdel-Fattah 28

Climate and fruits Agriculture in Tihama plain -Jazan Province.

A.A.Arishi 43

trategic Vision for leadership of Future School in K.S.A.

K.A.El-Harby 76

Conditions of Takfir

M.M.Al-Harthy 111

Methods of the Prophet (PBUH)in the development of social responsibility

A.A.Madkhli 126

Journal of Jazan University
Human Sciences Branch

Vol.1 No.1 December 2011 (Muharram 1433 H)

General Supervisor

Prof. Mohammed A. Haiza

Deputy Supervisor

Prof. Mohammed A. Rubiya

Editor-in-Chief

Prof. Abdallah Y. Basahy

Managing Editor

Ibrahim A. Masmali

Editorial Board

Prof. Ali M. Arishi

Prof. Ali A. Al-Kamli

Prof. Sultan H. Al-Hazmi

Dr. Mohammed H. Abu-Rasain

Dr. Yahya M. Hakami

Correspondence

Address correspondence to an appropriate Division Editor as follows:
Journal of Jazan University
4421- Arrawabi
Unit No. 8
Jazan 82822-6561
Kingdom of Saudi Arabia
E-Mail: jju@jazanu.edu.sa

© 2011 (1433 H) Jazan University

All rights are reserved to the *Journal of Jazan University.* No part of the journal may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording، or via any storage or retrieval system, without written permission from the Editor-in-Chief.